

محمد علي ضناوي

# الطريق إلى حكم الإسلام

28236

الطريق  
إلى  
حكم إسلامي

محمد علي الضناوي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

للهِ مُنَادٍ

إِلَى دُعَاةِ الْحِكْمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ

أَهْدِي هَذَا الطَّرِيقَ

م.ج.مض





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### بَيْنَ يَدَيِ الطَّرِيقِ

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا .

وبعد ...

فإذا نظرنا الى مسلم اليوم، رأينا كيف تتجاذبه التيارات الضخمة وكيف  
تعكس هذه ... في أعماقه صراعاً « داخلياً » عميقاً .

فهو بفطرته يحن الى إسلامه وماضيه، وهو بواقعه خاضع لمؤثرات فكرية  
غربية أو شرقية ، ولمحاكاة نموجية في أكثر المناحي والشؤون . لعادات  
الغرب ومدنيته .

وإذا نظرنا إليه مجدداً رأينا كيف يعيش في كل جانب من جوانب  
حياته نكسة خطرة ، لعل أبرزها وأوضحها انه بعد عن ربه فتلاشت  
دولته التي أرادها له الله . وطبيعي أن انساناً يعيش انتكاسة في روحه  
وجوده مضطرباً « تأثراً » تتخطفه الفلسفات وتتجاذبه المذاهب ، مقطوع

الصلة بماضيه ومبتور العلاقة بحضارته ، لا يعرف دوره في الحياة ولا يدرك غايته في الوجود ، لا دولة ترعاه ولا نظام يحفظه ، لا يمكن له أن ينتصر في معركة الحياة والوجود !!؟

ويترتب على ما تقدم أن المسلم اليوم لا يملك إسلامه أو لا يملكه إسلامه وان مجتمع اليوم لا يجوز أن ينعت بالإسلامية ، أو يتحمل أوزاره ومساوئه الإسلام الغريب ...

وفي أعماق هذه المأساة يحاول دعاة الإسلام أن يعيشوا إسلامهم أولاً ، أن يعيشوه في أنفسهم وفي عائلاتهم وفي مراكز أعمالهم. ثم يحاولون ثانياً أن يوجدوا وسطاً « إسلامياً » خاصاً بهم ، يعيشون فيه مناخ الحياة الإسلامية وجوها المابق بالهبة والمعودة والاخلاق الكريمة. ويحاولون ثالثاً تضخيم هذا الوسط حتى يتمخض عنه تيار يقوى على مجابهة تيار اللإسلامية وعلى إعادة الإسلامية السليمة الى هذا المجتمع المنكود .

\*\*\*

والحقيقة أن « الطريق » الى حكم إسلامي ، في هذا الجو المشحون بالتناقضات ، أمر صعب تكتنفه كثير من المخاطر والأهوال . بيد أنه لا مفر ولا مهرب منه إلا اليه ...

فالحكم الإسلامي فريضة والطريق اليه واجب ، والتخلف عنه ردة ، وهو مآل الرجاء وغاية الاطمئنان ..

ففي ظلال هذا الحكم يشعر المسلم بوجوده ويدرك أبعاد شرعه ويحيا معاني الحياة الكريمة العزيزة ...

إذن لا بد من وضع الخطى على أول الطريق... ولا بد من المسير الدائب الحثيث ، ولا بد أخيراً من طرق أبواب السلطة ... ولا بد من اعلان لا إله إلا الله ، نداء خفاقاً ، للانسانية والحياة ...

وأول الطريق أن يقرر المسلم انتهاء أزمته في الوجود وانتهاء أزمته في الحضارة وذلك بتعرفه العميق على غاية وجوده وعلى دوره في الحياة وأنه خليفة في الأرض مستناب بأمر الله ...

وثانيه : أن يتفهم معنى الحضارة ومفردى النظام ويدرك بعمق ان الاسلام هو الحضارة وان الانسان ، الخليفة ، لا يصلح له إلا نظام الاسلام .

وبعد ان تتأكد هذه المعاني لا بد من التساؤل عن مفهوم الدولة الصحيح حتى إذا ما أدركناه ، وعقدنا العزم على ترجمته الى واقع حي ، كان لزاماً علينا أن نمي باخلاص ، تجربة الماضي ، حين آبت مجتمعاته الى فطرتها السوية فوافقت ، بذلك ، مستوى الاسلام في منهجه وأسلوبه ... وكان علينا أيضاً ، أن نحلل بعمق ، تجربة أخرى حين أريد لهذا الواقع المسلم أن يتحلل من التزاماته وأن يتمرد على ذاته وأن ينقلب الى ضده ...

أي لا بد من دراسة مفهوم الدولة السوي والكيفية التي أقام بها الاسلام دولته والكيفية التي دالت بها تلك الدولة الراشدة .

ثم علينا ونحن في طريقنا الى بناء حكم الاسلام من جديد أن نصور واقعنا المظلم كما هو وكما أعده وأخرجه أعداء هذا الدين ... فنقله من مراجعه ومصادره دون أن نزيد عليه أو ننقص لأن دراسة أرض المعركة بصدق من أهم العوامل التي تؤثر في مجريات الأحداث ...

فأمامنا « هجوم ماكر » على الاسلام ، وأمامنا أيضاً « ردة الفعل الطبيعية » حركة المجاهبة لصد هذا الهجوم ولتخذيذه وللاتتصار عليه .

وبعد ان درسنا الماضي وتعرفنا على أبعاد الحاضر وجب طرح السؤال « كيف نقيم حكم الاسلام من جديد ؟ » ووجب الاطلاع على مختلف أساليب العمل في اقامة الحكم .

وهذا كله شق في المسألة !

والشق الآخر يواجهنا بقوة إذا ما من الله علينا بحكم الاسلام من جديد !



... ما منهاج هذا الحكم أي ما هي مقوماته الأصلية وخصائصه الذاتية ؟  
ومن أين تستقى هذه المعالم الأساسية وكيف يمكن أن تتكيف هذه في كل  
واقع وفي كل مكان وزمان ؟

ثم كيف يمكن أن يتجمع المسلمون من جديد وكيف يكون الترابط  
فيما بينهم وعلى أي شكل من أشكال التجمع يلتقون أو يجب ان يلتقوا ؟  
ثم كيف يحقق الاسلام دوره الفعال في مجموعة الأمم المتصارعة ليعيد الأمن  
والسلام لهذا الانسان التائه في هذا العالم المضطرب ؟ .

ولا ريب ان هذه المحاولات محفوفة بالمخاطر والأشواك لذلك فهي بحاجة  
الى مزيد من التخطيط وروية في التفكير ودقة في التوجيه والتنفيذ .  
وكأي محاولة ، لا بد لها : من « قاعدة » تنطلق منها و« طريق »  
تسعى اليه للوصول الى « الهدف » المنشود .

وكل محاولة تفقد هذه العناصر الأساسية : القاعدة والطريق والغاية .  
أو بعضها ، يكون مصيرها ، في الأعم الأغلب ، الفشل والاحباط ، وبقدر  
ما تمتلك المحاولة الوضوح والعمق في أساسها بقدر ما تقوى على تجسيد نفسها  
في واقع حي فعال .

\* \* \*

كل ما تقدم ... فصول في كتاب جعلتها في قسمين :  
القسم الأول وهو الذي بين يديك ، والقسم الثاني وهو الذي يتحدث عن  
منهج وشكل التجمع آمل أن يصدر قريباً ان شاء الله .  
وان كان لي من حق التمني على القارئ الكريم فهو أن يقرأ الكتاب  
بالتتابع وأن لا يقفز عن آية أو حديث أو رأي أو خبر كان في علمه ...  
فالكتاب فصول متصلة وحلقات مترابطة والقفز يسيء الى المعنى ويفقد  
التكامل في البحث . .

وأخيراً.. ان وفقت فيما ذهبت اليه فمن الله.. وإن أخطأت فمن نفسي..  
وأحمد الله وأستغفره في الحالتين وأرجوه أن يتقبل مني عملي وأن يحقق  
أمنيته وأن نرى حكم الاسلام في الوجود ...  
انه طريق شائك وطويل .  
لكن لا بد من سلوكه ...  
فهو المضمون ...  
ولا نصر لنا إلا به ...  
« فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله » .

المؤلف

طرابلس

أول شعبان سنة ١٣٩٠ هـ

أول تشرين أول سنة ١٩٧٠ م



توطئة في فصلين

غاية الوجود الإنساني

المحاضرة والنظام





## غاية الوجود الإنساني

إن أعقد مشكلة يواجهها الإنسان عند دراسته لنفسه وللعالم المحيط به « معرفة » موضعه في هذا العالم و « معرفة » الارتباط الصحيح الذي يجب أن يقوم بينه وبين كائنات هذا الوجود المعجيب . هذه المشكلة التي تفرض ذاتها بقوة وعمق ، لا يستطيع الإنسان - أو ليس من مصلحته - أن يتهرب من مواجهتها أو أن يتقبل المعالجة الجزئية السطحية دون التغلغل لأعماقها وملامسة جوهرها ...

### مشكلة الوجود الانساني

هذه المشكلة ، معرفة وجوده الكوني وصلته بالوجود ، تخلق في روحه حالة من القلق والاضطراب تحييه في تمزق داخلي ، وتدفعه لأزمة شعورية هائلة ، لا يقدر على إزالة آثارها وإعادة البناء النفسي المتكامل العميق ، إلا عندما يجد الحل ويهتدي الى السبيل ! إن مرحلة التفتيش عن الذات الواعية المدركة ، ومرحلة التعرف على مكانة « هذه الذات » بين العوالم ومرحلة إقامة الصلات الصحيحة بينها هي أخطر المراحل ، منهجاً ونتيجة ، على حياة الإنسان في هذه الأرض ، فالمنهج الذي يتبناه الإنسان في بدايه « التطلع » الكوني هذا ، له أثره البعيد في ترتيب النتائج الحاسمة : في ضياعه عن « ذاته » أو معرفته الكلية ..

## تشويه التصور

الإنسان ، لا يعيش وحده فهو في كون فسيح مليء بالأحداث والآيات . مليء بالموجودات والأشياء ومليء بالإنسان ذاته . . . . يخلو الإنسان لنفسه ويستبطن الكون - فيسمع صوتاً « عميقاً » يخرج من لدن الكون يناديه ، « بعمق الفطرة » كي يتناغم معه في حياة مبنية على نظام ، واطمئنان قائمة على معرفة أصيلة أزلية وليست عارضة صدوفة . . .

وبحاول الإنسان أن يكون هو والكون والحياة في تناغم مستمر وفي انسجام دفاق حي . لكن ما أن يهم في محاولته هذه حتى يرتطم بمحجبات معمية تشوه معالم التصور السليم فتفقده السبيل وتحرفه عن الصراط وتدفعه دفعا بسياط من حديد نحو مصيره الأسود المحتوم . . . وهي ، في أثناء تشويهها ومسوخها للتصور وللارتباط الكوني ، تنفي هذا « الإنسان المحاول » بالوصول الى الهدف المنشود .

ان الشعور بالذات وبالمعالم شعور متين عميق نظيف من حيث المبدأ ، شعور يولد مع الإنسان وينمو ويتضخم ، ثم يندو معضلة انسانية تأخذ سبيلها الى « مجامع ذاته » بجدة وعنف فأما أن تهلكه وأما أن يجاهاها بحل عميق . الجذور يضرب الى مكان الحقيقة الأزلية الخالدة .

## المشكلة الأساسية هي في نوع العلاقة بين الفرد والعالم

من هنا يمكن أن نقول : « إن المشكلة الأساسية الأولى ليست كما تراها الفرويدية ، أي كبت تلك أو هذه الحاجة الفريزية بل هي كما وجد كثير من المفكرين والعلماء ، في نوع العلاقة التي تربط الفرد بالعالم »<sup>(١)</sup> . ويمكن أن نضيف : « قد يستطيع الإنسان أن يكيف نفسه بالنسبة لكل شيء ، ولكنه يعجز عن اجراء التكيف هذا بالنسبة لشيء واحد »

---

(١) الأيدولوجية الانقلابية ص ١٧٦ - ١٧٩ .

إلا وهو أن يرضى بموقف مبهم غامض حول الأشياء والأحداث التي تحيط به حول طبيعتها ومعناها ...

لكن الانسان يثير هذه المشكلة فيسأل نفسه : من أنا ؟ ما هو مكاني أو مبرر وجودي في هذا الكون ؟ ماذا يجب أن أصنع اليوم أو غداً ؟ « أو ماذا يجب أن أكون ... ؟ »

« الانسان هو المخلوق الوحيد ، الذي يحس عفويًا بأن هناك في الطبيعة أكثر مما تراه العين ، هذه المجهية للمجهول بالإضافة الى وعيه للموت أضافت الى وجوده بعداً « مثيراً » جملة يتجاوز القبول الحيواني الساكن الأبله للتاريخ ويحاول دائماً أن يعطي الحياة معنى مستقراً « ثابتاً » .

\*\*\*

هذه المشكلة ... مشكلة معرفة الوجود الذاتي وصلته بالكون العجيب ومعرفة ، مبدئه ومنتهاه ، وإدراك غاية الوجود الكلي للكون والانسان والحياة .. هذه المشكلة وما يتفرع عنها ويتصل بها من موضوعات كانت ولا تزال معضلة البحث الانساني وسبباً « أصيلاً » في لقاء الانسان مع الحقيقة أو ضياعه عنها .

لمعالجة المشكلة الانسانية اسلوبان بشري ورباني

ولقد تصدى الانسان لمعالجة هذه المشكلة ... تصدى لها وحيداً « منفصلاً » عن الحقيقة الكبرى عارياً من تصور عميق سليم .. وتصدى لها بفيض إلهي دفاق وبقبسات ربانية خالدة .. فلا غرو بعد ذلك أن نرى التصدي الأعزل عاجزاً عن استئصال الأزمة .. وحل المشكلة ، بينما التصدي الآخر ، يطلق للروح أشواقها فتري ، بأصالة ووضوح ، عمق الارتباط بين مختلف أجزاء الكون العجيب .

ان التصدي لمعالجة المشكلة جزءاً لا يتجزأ من الانسان بل هي حركة



دائبة متصلة بوجوده ، فاذا التوت - هذه الحركة - في خطوط متكسرة أو منحنية خوفاً من المجابهة الواضحة البيئة تكسر الانسان في أعماقه والتوى في سيره نحو المعرفة الكبرى ، وإذا تصاعدت في خط مستقيم تصاعد الانسان بعبقه الروحي وبكينونته الفطرية نحو شاطئ الأمان حيث الاطمئنان والاستقرار . . كذلك إذا خمدت هذه الحركة خمد الانسان وتلاشى عن الوجود الحياتي المعروف .

فللتصدي ، إذن ، قيمة كبرى . . لذلك كان على الانسان أن يقف طويلاً يراجع رصيده وزاده قبل أن ينطلق في حركة المجابهة والتفتيش . ومن خلال العرض السابق نجد أن أمام الانسان تصورين لا ثالث لهما :  
- فاما أن يتبنى التصور الإيماني للكون والانسان والحياة .  
- واما أن يتبنى مشكلة الوجود الكوني بمفرده بناء لتصوره الخاص عن معضلات هذا الوجود .

وبمعنى آخر هناك تصور رباني وآخر بشري أو تصور اسلامي وآخر جاهلي<sup>(١)</sup> ولا بد من الاختيار بينهما قبل الانطلاق نحو الهدف المنشود .

\* \* \*

### التصور البشري واحد وان اختلفت أشكاله :

ولقد انتقل التصور البشري عبر مراحل عديدة وكان لكل مرحلة شكل وموضوع حتى ملئت جعبة الفكر الانساني بمذاهب عديدة وبمنطلقات مختلفة وكاد الباحث يقول بتصورات « بشرية » لا « بتصور » واحد وبنظرات « انسانية » لا بنظرة واحدة . .

والحقيقة ان مجابهة المشكلة الوجودية للانسان والحياة - من لدن الانسان -

---

(١) راجع فصل « المجابهة » من هذا الكتاب .

كانت عبر الزمن ، مجابهة واحدة ، نظرة واحدة ، فلسفة واحدة ، تصوراً واحداً وان اختلفت أشكال المجابهة والنظرة والفلسفة والتصور .

فالتصور البشري اغريقياً كان أو كنسياً منحرفاً ، أو عقلياً ، أو حسيّاً طبيعياً أو مادياً ، أو مادياً جدلياً أو وجودياً دراوونياً أو فرويدياً ليبرالياً أو اشتراكياً أممياً أو قومياً أو ... أي شيء آخر تصور واحد يهدف الى شد الانسان نحو الارض وقطع كل صلة بينه وبين الحقيقة الأزلية الكبرى : الله ... تصور واحد يعمل لبتز الارتباط الروحي بالكون والانسان والحياة ويسعى لطمس معالم الفطرة النظيفة في أعماق النفس الانسانية السوية .. تصور واحد يحاول - بقصد أو عن غير قصد - تشويه غاية الوجود الانساني في هذه الدنيا ومسح دور الانسان على هذه الأرض ..

التصور البشري .. تصور واحد . . ولو اعتمد ، في سبيل الوصول الى أهدافه أساليب مختلفة .. فتأليه عقل الانسان او الطبيعة او المادة او الحرية اللاواعية او الجنس او الاقتصاد . . الخ . . كل ذلك أساليب مختلفة تستخدم غاية واحدة وتدفع هذا الكائن المعذب التائه « الانسان » نحو هوة سحيقة ليس لها قرار .. نحو قلق محتوم واضطراب مخيف وهم قتال ..

نحن إذ نقرر هذه النتيجة الخطيرة لجهد الانسان « الفرد الأعزل » في مجابهة ومواجهة مشكلة الوجود والارتباط الكوني ، لا ننسى أن نقدر في هذا الجهد ، القدرة المبدعة والقوة الخلاقة التي فيها وصل الى هذا التعدد في أساليب الفلسفة وطرق المعرفة . . وهما - أي القدرة والقوة - سر من أسرار هذا الانسان المعجز . ان هذه الأساليب والأشكال بقطع النظر عن غايتها المسيخة وهدفها الملوث ، - بقصد أو عن غير قصد - دليل أكيد على حاجة الإنسان لتفهم وجوده وصلته بالكون والحياة . . وهي فضلاً عن ذلك ذخيرة فكرية كبرى تُعِينُ « شكلاً » ، على تعميق فهم الوجود وإدراك البعد الإنساني في هذا الكون الفسيح ..

## من أشكال 'تصور البشري' : العقلية :

ومن أصحاب هذا التصور مفكرو المدرسة العقلية ، فهؤلاء جعلوا العقل أساس المعرفة الصحيحة ومنحوه حق الإشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين « وسموا عصرهم هذا - النصف الثاني من القرن الثاني عشر - بعصر « التنوير » أو بعصر الـ ( Deism ) أي عصر الإيمان الفلسفي بإله ليس له وحي وغير خالق للعالم .

## الحسية :

ومنهم الحسيون الوضعيون الذين جاؤوا - في فجر القرن التاسع عشر - بنقيض المعرفة الكنسية والمثالية العقلية وأعلنوا عن « معرفة يقينية حقة » ألا وهي الطبيعة . . فالطبيعة تنطق عن نفسها ويجب على الانسان أن يعتمد منطقها إذا أراد أن يعيش فيها ، ومنطقها وحده لا منطق المؤلهين ولا منطق العقلين ولا أي منطق آخر . . هو الذي يخطط الطريق المستقيم ويحدد أهداف الانسان الكبرى في الحياة . . (١)

## الماركسية :

والماركسيون - الماديون الجدليون ، حطموا القيم الذاتية وأولوا المادة ثقتهم الكبرى وجعلوها مصدر كل شيء حتى الإدراك والعقل فهو نتيجة المادة أو هو « مادة عالية التنظيم » وأما الذي يتحكم في سير التاريخ فهو تنازع الاضداد والطبقات ، فالعامل الاقتصادي هو أهم عوامل الحياة وهو الذي يسود الوجود الإنساني وبه تتحقق سعادة الفرد في ظل الجماعة . .

---

(١) راجع الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار للدكتور محمد البهي .

## الوجودية :

أما الوجوديون فقد جعلوا « الشعور » موجوداً لذاته أي أنه موجود ليحقق نفسه لا ليحقق ماهية خارجية عنه - كالأشياء المادية - . والموجود بالذات أي « الشعور » متغير ، قوامه النزوع المستمر نحو المستقبل والتنصل المستمر من الماضي ، فهو موجود له في كل لحظة حالة غير اللحظة السابقة على خلاف الأشياء المادية ذوات الذاتية الثابتة . . ومن هنا كانت حرية الإنسان صميم وجوده الشعوري القلق ، فهو حر لأنه يخلق نفسه بنفسه كل لحظة والقول : « إن الإنسان حر » مرادف للقول : « إن الله غير موجود »<sup>(١)</sup> ولم لا أكون حراً .. ما دمت حذفت كل جوهر من فوقى ومن خلفى فأنا غير مرتبط ولا مربوط بمثل ناموسية ..<sup>(٢)</sup> الخ .

وبعد هذا الاستعراض السريع نجد صواب ما ذهبنا اليه وهو ان التصور البشري تصور واحد يهدف لغاية واحدة وهي إبعاد الإنسان عن الحقيقة الكبرى وطمس معالم دوره الأصيل في الكون . . تصور واحد ولو تعددت المذاهب . . وجميعها - كما قلنا - تضع هذا الكائن المسكين « الإنسان » - عن قصد أو عن غير قصد - في حلبة صاخبة من الصراع المؤدي الى قلق وحيرة وارتباك ..

\* \* \*

أما التصور الإيماني فهو تصور بسيط قريب من الفطرة الانسانية وملاصق للطبيعة البشرية وملتحم مع الكون بأسره ..

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة - مادة جان بول سارتر صفحة ٩٤٢ .

(٢) كتاب من الجوهر الى الوجود لكمال الحاج .



التصور الايماني يخاطب الكينونة الانسانية ويردها الى الله :

التصور الإيماني تصور فعال لا تعقيد فيه ولا غموض ، يواجه المشكلة الإنسانية والكونية بسهولة ويسر . . يبسطها حتى تراها بوضوح ثم يعيد تركيبها لتراها بعد ذلك بوضوح أكثر . . . وأهم ما فيه أنه يمنح الانسان عندما يريد التصدي للمشكلة الوجودية ، قوة التصدي الإلهي ، فيغدو صاحبها ، كبيراً عظيماً سيد الموقف ، يواجه المشكلة وآثارها بلين وأناة .

هذا التصور .. يخاطب الكينونة الانسانية بكل جوانبها وبكل أشواقها وبكل حاجاتها وبكل اتجاهاتها ويردها الى جهة واحدة تتعامل معها ، جبهة واحدة تطلب عندها كل شيء وتتوجه إليها بكل شيء ..

كذلك يرد الكينونة الانسانية الى مصدر واحد تتلقى منه تصوراتها ومفاهيمها وقيمها وموازينها وشرائعها وقوانينها وتجد عنده إجابة على كل سؤال يجيش فيها وهي تواجه الكون والحياة والانسان ، بكل ما يثيره كل منها من علامات الاستفهام ..<sup>(١)</sup>

ولنا بعد ذلك أن نسأل التصور الاسلامي عن الانسان ومشكلته وصلته بالوجود ؟ من هو كيف وجد ولماذا ؟ ما ارتباطه بالأكوان والعالم وما علاقته بنفسه وبالآخرين ؟ ما هي قدراته وامكانياته ؟ كيف يعيش ولماذا يعيش وما هو مصيره ومصير العالم ؟ ..

وتبعاً لمنهج التصور الاسلامي في تبسيط المشكلة ثم إعادة تركيبها لتراها بوضوح أكثر فاننا نحدد أبعاد المشكلة بالانسان والكون والحياة<sup>(٢)</sup> .

ففي الانسان : يرفض الاسلام نظرية التجزئة التي تنادي بالعقل أو بالחס

---

(١) مقومات التصور الاسلامي وخصائصه - سيد قطب صفحة ١٢٦ .

(٢) خوفاً من الخروج عن نطاق البحث والاستطراد الكلي مع التوسع الموضوعي في هذا البحث الخطير فاننا سنضطر للايجاز آملين من الله ان يوفقنا لتوسيعه في كتاب مستقل .

أو بالقلب أو بالشعور كمصدر أساسي للمعرفة الصحيحة ، ويقول بكلية الانسان الشاملة ، بكيونوته المطلقة ، بروحه التي هي من الله .

ولا يعني هذا تحديداً لماهية الروح : فالروح من أمر الله وما أوتينا من العلم إلا قليلاً ، انما ندرس هنا خاصة من خواص الروح فنرى ، من خلال هذه الومضة الإلهية ، كل شيء في الوجود . ننظر بها الى أنفسنا الى الناس الى الكون الى الحياة . ، فلا يكل النظر ولا يرجع حسير ولا تضطرب معه المعرفة لأننا نظرنا بكلية شاملة لا تعرف التجزئة بكلية لا تعرف نقائص العقل والحس والقلب والشعور ، أو أي شيء آخر ..

### الروح أداة المعرفة الكبرى

والوعي خاصة من خواصها :

هذا التجميع لوسائل المعرفة يوجد الوحدة في أعماق الذات الانسانية فلا يدعها بعد ذلك فريسة للتجزئة أو للخطأ أو للظن ، أو لمحدودية العقل والحس والشعور . ان الروح الالهية التي حلت بالانسان الأول بالنفخة الربانية المباركة ( ونفخنا فيه من روحنا ) هي التي أوجدت في الانسان « القدرة الخاصة » المميزة له عن كل خلق الله ، عن الملائكة وعن الحيوان وعن الجماد . هي التي أوجدت فيه « الوعي » ووعي الذات ووعي الكون والحياة وهي التي منحت « الادراك » وكل ما يتصل به من خصائص ومقومات ..

لقد نشأ الوعي في الانسان ونشأ الادراك ، لحظة إيداع جسد الانسان روحاً من الله فاستحالت عندها مادة هذا الجسد الى ذات عاقلة مفكرة مدركة مميزة واعية تملك « القدرة » على معرفة ذاتها ومعرفة ما حولها وتملك « القدرة » على انشاء رابطة بينها وبين ما ترى ، وعلى « التمييز » بين هذه الأشياء بدقة وعمق ! هذه القدرة هي روح منحها الله سبحانه لهذا الانسان . وكأنها من علم الله الذي خص منه ما شاء لهذا الكائن العجيب تكريماً له وتشريفاً وتأهيلاً للقيام بالدور المقدس الذي رسمه له ( وإذ قال ربك

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ) ( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبثوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )<sup>(١)</sup> . ( ولقد كرّمنا بني آدم ... )<sup>(٢)</sup> .

فآدم ، الإنسان الاول ، منذ الوهلة الأولى من حياته استطاع أن يسمي الأشياء بأسمائها أي أن يعيها بعد أن « تعرف » عليها وبمعنى آخر ان « يميزها » بعد ان « عرف » صفاتها وخصائصها .

ولا ريب إن هذا « الوعي » أو « الإدراك » أو بمعنى شامل « المعرفة » ترتقي كلما تأصلت العلاقة بين الانسان وبين ما يحيط به : فكلما أحسن الصلة بما حوله من الوجود وأقام الارتباط المتين كلما تعمقت « معرفته » وتأصلت ، لا تخشى دركاً ولا حدا .

ومن هنا كان الوعي « خاصة » من خواص الروح لا كما تقول الماركسية ( خاصة مادة: عالية التنظيم ) - <sup>(٣)</sup> وتأکیداً على هذا المعنى يتلقى وعي الانسان ، وبصورة دائمة إمدادات خفية تنير له الدرب وتشع أمامه ما ظلم من جوانب الوجود فإذا هو يرى بنور الله .

جاء في الحديث : ( اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله )  
وجاء في الحديث القدسي : ( ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ... ) .

(١) الآيات ٣٠ - ٣٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٧٠ من سورة الاسراء .

(٣) المجلز .

## النبوة ارتقاء في وسيلة المعرفة :

وللإنسان قدرة على الارتقاء أكثر فأكثر وعلى تلقي « المعرفة » من مصدرها الأول .. لكنها « قدرة » مرتبطة بحالة فريدة لا تتكرر ولا تعمم ، حالة اختص بها صنف من الناس ، هم بشر ، لكن ارتقت أرواحهم وتفتح « وعيهم » وتوسع « إدراكهم » بإرادة الله ليتلقوا عنه مباشرة أو بواسطة وحي أو من وراء حجاب <sup>(١)</sup> أسلوباً في المعرفة ومنهجاً في الحياة .. أولئك هم الأنبياء ..

## الكون مسبح لله مسخر للإنسان :

أما الكون .. الكون العجيب .. ففيه من الآيات ما يدعو الى الدهشة والاستسلام .. فهذه الأكوان الفسيحة الهائلة .. هذه العوالم المتتالية المتصلة .. هذه السماوات والنجوم والشمس والأقمار .. هذه الأرض .. والجبال والبحار والأشجار .. هذا النسيم والهواء والرياح .. هذه الغيوم والثلوج والأمطار .. وهذه الدنيا بما فيها من معطيات .. هذه وتلك تدعوك برفق وإيمان الى إصاخة السمع لتعي عمق تسبيحها وتمجيدها للخالق المبدع ولتحرك في مكان من روحك ومضات التناغم والتجاوب فتتناغم مع الاكوان في تسبيح وتنزيه من خلَق ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار .. ) <sup>(٢)</sup> ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ، ) <sup>(٣)</sup>

---

(١) يقول الله سبحانه في سورة الشورى ( آية ) ٥٢ : ( ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء انه عليم حكيم . )  
(٢) الآيات ١٩٠ - ١٩٢ من سورة آل عمران .  
(٣) الآية ٤٤ من سورة الاسراء .

ثم ان لهذا الكون رسالة غير التسبيح الذي هو أصل وجوده - رسالة تحققها الأكوان بعفوية ونظام دون تعقيد ودون معارضة ( وأذنت لربها وحققت ) (١) تحققها بكليتها .. بكيونيتها المفطورة عليها .. فلا تشعر - وأنت تتبع آثار هذا التطبيق - بأي اختلال أو إنحراف .

فما انقطعت الشمس عن أنوارها ولا الغيوم عن أمطارها ولا الشجر عن ثمارها ولا الأرض عن دورانها .. بل كل في تأدية رسالته .. في خدمة هذا الانسان ..

فالأكوان مسخرة لهذا الانسان مذلة له .. قائمة على تلبية حاجاته ومتطلباته ( وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ) (٢) .

**فمن العجيب ان يتعبده الانسان !**

إن إرتباط الأكوان بالانسان إرتباط مصيري محتوم فلا معنى للأكوان دون الإنسان فإذا ما زال الانسان من الوجود زالت الأكوان بصورة تلقائية حتمية .. فخالقها قد أودعها وضمنها من الخصائص والقدرات والوظائف ما لا تتحمله دون هذا الكائن البشري فهي له بكل ما فيها وبكل أعماقها ..

والعجيب أن الإنسان ، الذي سخرت له هذه الأكوان ، حين يتصدى لفهمها يضل ويفتن ويتخبط في دياجير مظلمة من أفكار وفلسفات .. فهو مرة يتعبد لها ومرة أخرى يعتبرها مصدراً « أسيلاً » في « معرفة » وجوده ومرة ثالثة يجعلها مادة يصدر عنها هو بالذات ومرة رابعة .. وخامسة . الخ . أما التصور الإسلامي فانه يقيم الارتباط بين الكون والانسان على أساس

---

(١) الآية ٢ من سورة الانشقاق.

(٢) الآية ١٣ من سورة الجاثية.

السيادة .. السيادة المطلقة للإنسان على الكون وما فيه .. فهو ليس عبداً للكون وللمادة بل هو سيد يتصرف بالكون تصرف السيد ذي الارادة باذن الله .. وهكذا يجعل الانسان فوق الدنيا يسوئها لمصلحته وفق ما تقتضيه حاجاته .. فهي - أي الدنيا - ليست مصدراً للمعرفة ولا مصدراً للوجود .. وليست في ذاتها إلا حاجة يقضي الانسان العبد وطره منها وبدعها ليسمو فوقها وليصل بعد ذلك مع جوهر خلقها إلى تسبيح عميق للواحد الأحد ..

\* \* \*

أما الحياة .. فهي قبس من نور الله .. يضيئ إليها البهاء والجمال ويوحى بالخير والأمان . ولكم أغلقت الحياة وهي في عهدته هذا الإنسان ؟؟ ..

لقد تجاوز الإنسان غاية الوجود فرتع في حبور وظن أنه لن يحور فالحياة عند كثير من الناس ، فلاسفة وعاديين ، متعة وشهوة ، لذة وبهجة كالحيوان ، أكل وشرب ونوم ونكاح ، وإذا ما اخترع الانسان واكتشف فلتحقيق أسلوب أفضل في حياة المعدة والجنس وفي حياة الترف واللهو ..

### صراع الافكار في الحياة !

ولقد ازدحمت الفلسفات والأفكار حول معنى الحياة .. وراحت كل واحدة منها تدلي بدلوها وتقدم زبدة ما عندها .. وهي يجهدا هذا تحاول صبغ الحياة بصباغها وتحاول ان يفهم الانسان الحياة فهماً « ذاتياً » كما تريد .. واصطرعت الأفكار .. وكلها تبغي ظاهراً معالجة أسلوب الحياة خدمة لهذا الانسان وحتى يحيا حياة طيبة يسعد فيها ويهنأ .. فكانت المادية اللبرالية والماركسية والاشتراكية والاممية والقومية والوجودية والفرويدية وحتى الفوضوية ..

ولكن جميع هذه الأفكار بقيت في إطارٍ لم تتعداه بقيت في بحث واحد لم تتجاوزه: في الكسب والمعيشة والجنس والشهوة والفرد والأمة.. بقيت في هذا الحد المحدود البسيط الذي لا يشكل إلا جزءاً يسيراً وربما نافعاً من حياة الانسان ..

ودائماً تهربت هذه الفلسفات والتصورات المادية الجاهلة تهربت عن قصد أو عن غير قصد من معالجة جوهر الوجود غاية الوجود لماذا وجد هذا الانسان وما معنى الحياة ؟ من أجل الصراع .. صراع الذات مع الطبيعة أو مع المادة أو مع نفسها ؟ أم أجل تحقيق ذاته في وجود مبهم غائم ؟؟ .. أم من أجل طعام وشهوة ؟ أم من أجل رياسة وجاء ؟ أم من أجل ماذا ؟. اسئلة تلح بذاتها وتفرض نفسها بداهة على فكر وادراك هذا الانسان تشتد عليه وتطالبه برجاء وقوة أن يمنحها الجواب الشافي ؟؟.

ويعجز التصور الجاهلي أن يجيب على أي من هذه الأسئلة ويتهرب من الجواب ويحور في الكلام ويتشبث بالفاظ وبمشتقات الألفاظ حتى تسأم النفس البشرية من الحل فتتهاوى في الضياع واللامبالاة أو ترتد بقوة وارتفاع نحو التصور الايماني التصور الاسلامي .

**الانسان في الحياة : خليفة مستناب فعليه أن يعي دوره ويلتزم بحدود الامتنابة :**

فالاسلام يعطي للحياة معنى تشمر - وأنت تتلقاه - بتجاوب الكينونة البشرية معه، بتجاوب الأعماق الانسانية بالتحامها معه في كل فقرة من فقراته وبكل جزء من جزئياته ..

والاسلام يعلن بوضوح تام أن الانسان وجد في هذه الحياة نيابة عن الله سبحانه فدوره في الحياة دور خليفة مستناب في تصريف الأمور والشؤون . فالخلافة نظرية أصيلة في التصور الاسلامي ، وعلى ضوءها يفسر الاسلام

دور الانسان في الوجود ، دوره في الحياة ، دوره في التفاعل والابداع ..  
من أجل هذا سخرت له الأكوان وذللت له الأفلاك وسعى الوجود لخدمة  
من كرمه الله فاستنيب في الحياة ..

« إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود ،  
زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الابداع  
والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض  
من قوى وطاقات وكنوز وخامات وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة  
الضخمة التي وكلها الله إليه (١) .

وإذن ليس هناك في الوجود أسمى وأرقى من هذا الدور الخلاق .. دور  
الخلافة في الأرض .. وليس هناك من تفسير كلي للحياة أبلغ وأصوب من  
هذا التفسير العميق الدقيق .. الذي زوى بين طرفيه كل القيم الذاتية  
والمبادئ السليمة من أجل حياة أفضل .

ولا بد لهذا الانسان المستناب ، أن يعي دوره العميق هذا وان يقوم  
بمستلزمات الخلافة ولا يمكن أن يوفق في هذا إلا إذا اتبع منهج الله الذي  
استخلفه .. منهجه في الحياة وفي الوجود ، في صفات الأمور وكبائرها ،  
وفي مختلف الشؤون والفنون : في الدولة والحكم ، في الاقتصاد والسياسة ، في  
التشريع والتنظيم في التصور والتفكير ، وفي كل شيء ..

وغاية الخلافة غاية رفيعة مقدسة تتهاوى إزاءها كل الغايات وتتضاءل ..  
غايته أن يعرف هذا المستناب من أنابه .. فيرتد الى الأرض ليعيش فيها  
وليحقق ، إرادته بصدق وفق ما أراحه المستخلف وأمانة وإخلاص ..

---

(١) في ظلال القرآن - للأستاذ سيد قطب الجزء الأول صفحة ٦٥ الطبعة المصرية -



غاية الخلافة ، تحقيق عبودية الانسان لله في كل مجالات الحياة :

غاية الخلافة أن تتوحد الأرض والسماء ، والانسان والأكون ، والحياة والمات بحركة واحدة لا تعارض فيها ، وبنغم واحد لا نشاز فيه . فكل ما في الوجود من انسان وأكون وحياة يعبد الله .. يمجّد الله .. كل ما في الوجود، في ذاته وفي جوهره وفي واقعه، يعلن العبودية الكاملة لله.. فان تحركت الأكون ففي عبودية الله وان تحرك الانسان ففي عبودية الله وان استمرت الحياة ففي عبودية الله .

وفي هذا يقول الله سبحانه ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون )  
« فالتعبّد لله أي العبودية المطلقة له هو غاية الوجود وهو الوظيفة الكبرى الأساسية المكلف بها الانسان الحي الواعي - فعندما يمارس وظيفته هذه ، عند ذلك وعند ذلك فقط يدرك غاية الوجود ويحس انه موجود حقيقة في هذه الدنيا .. موجود لغاية سامية متناغمة مع غايات الأكون المحيطة به ، منسجمة مع وجود العوالم حوله ، فكلها تسير بدائرة العبودية لله ، كلها تتعبد لله ، تسبحه من أعماقها وتقده بحركاتها وتمجده بكليتها . وهذا العمق الایماني يستحيل الجماد الميت الى حي له وجود وله غاية يشارك الوجود الانساني غايته ويسيران معاً بانسجام وتناغم نحو الله ( والسماء بدينها ما بأيد وإنا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ) .

« هذه الحقيقة الكونية الهائلة هي التي تنير الدرب للانسان التائه وهي التي تقوده الى شاطئ الأمان والاستقرار ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ) روى ابن كثير في تفسيره ( يقول الله تعالى إِبْنُ آدَمَ : خَلَقْتُكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبْ ، وَتَكْفُلْتَ بِرِزْقِكَ فَلَا تَتْعَبْ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ فَتَكَ فَاتَكَ كُلَّ شَيْءٍ .. ) أما اذا

أراد هذا التائه أن يستكبر في الأرض ويتفقت من عبودية الله فيكون قد  
تعبد هواً ودخل عالم الظلام والنسيان والضياح .. ( الذين كفروا أولياؤهم  
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ) (١) .

### العبودية مظهر الوعي الانساني

#### ودليل على الوجود

ويؤكد التصور الاسلامي على العبودية ويسمى لتعميقها في مختلف جوانب  
الوجود .. فكل حركة وسكون من قبل هذا الخليفة المستناب ، يجب أن  
تفسر على ضوء العبودية وكأن هذا التصور أراد أن يربط وبصورة نهائية بين  
الحس الوجودي عند الانسان وبين العبودية .. فكما تعمق الانسان في فهم العبودية  
وتطبيقها على مظاهر وجوده كلها كلما أحس بوجوده وبارتباطه بالكون، وكلما  
بَعُدَ عنها بروحه وبوعيه وبفعله كلما ارتكس في هبوط بشع مفزع الى دون  
الانسانية الرفيعة بل الى دون الحيوانية .. وبهذا يصور القرآن الذين كفروا  
بأنهم كالأنعام بل هم أضل ..

\* \* \*

وبعد أن بسطنا المشكلة وعالجناها مجزأة في الكون والانسان والحياة ..  
كان لا بد — اذا أعدنا تركيبها لنراها بصورة إجمالية وفتاً لما أعلنه عن  
منهج التصور — ان ندقق بوجه عام في هذه الأجزاء الهامة .

#### مشكلة الانسان مشكلة التعرف الى الله :

فقد رأينا بوضوح كيف تناسقت الأجزاء في عقد فريد وفي التحام  
شديد لخدمة الغاية الكبرى وهي معرفة الله سبحانه .. ومن هنا نرى أن

---

(١) من مقال للمؤلف بعنوان « أنا عبد ... » الله اذن أنا موجود » منشور في مجلة حضارة  
الاسلام المجلد السابع العدد الثامن الصفحة ٢١

المشكلة الانسانية تتلخص في معرفة الله أو عدم معرفته .. وهو الصراع الاصيل في الانسان . فالانسان ، منذ مطلع التاريخ يعاني هذا الصراع فيمر بأزمة ايمان وأزمة روح تليها أزمة أخلاق وأزمة وجود حتى يقيض الله له نبياً أو نبياً رسولاً يهديه سواء السبيل ويعرفه بالله العلي القدير ويضع بين يديه منهج الحياة السليمة السوية .

فالمشكلة إذن ليست مشكلة مادة أو جنس أو إقتصاد أو حكم .. إنما هي مشكلة التعرف الى الله.. وهي بذلك بسيطة جداً ومعقدة جداً حين نواجهها بحاجة الى أن نواجهها بتصور سليم ، بتصور إيماني عميق ومعقدة حين نجابهها فرادى عزلاً ، بعقول قاصرة قطعت صلتها بالحقيقة الخالدة الكبرى : الله.

« أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » .

## الحضارة والنظام

يكاد « مدلول » لفظ الحضارة ينحصر في التقدم العلمي والرقى في وسائل الانتاج وفي مختلف أنواع الصناعات ..

وهذا المفهوم « الالى » للحضارة ، بمعنى الارتباط المصيري بين « التكنولوجيا » والحضارة مفهوم خاطىء بحاجة الى تصحيح وتقويم . « فالتكنولوجيا » ظل الحضارة وليست ذاتها ، فاذا انحسر الظل يوماً فلا يعني نفيها كما أن وجود « ظل » لا يحتم وجودها . فقد تكون أمة من الأمم متحضرة ، أو تملك مقومات الحضارة السليمة ، ومع هذا فهي ليست متقدمة علمياً والعكس هو الصحيح أي أن أمة من الأمم قد تملك العلم امتلاكاً ، وقد يخرج من مخبراتها اختراعاً واكتشافاً إلا أن المنطق السليم يحظر علينا أن ننعثها « بالحضارة » .

فالعلم ، أو التقدم العلمي ، أو التكنولوجيا نتيجة لفهم الانسان لما حوله من موجودات الأرض والسماء وكنوز التراب والجبال . فالعلم إذن إكتشاف العلاقة مع ماديّات الأرض وطريقة استخدامها ، فهو بالتالي ، وسيلة لغاية هي إسعاد الانسان وتحقيق ذاته « الانسانية » في الوجود ، وتلك هي الحضارة .

إن الإنسان الغربي اليوم على عكس هذا المستوى الكريم . فهو عبد للعلم ، ولثمرات العلم ، يدور حيثما دار العلم ، ويعطيه بدفع جنوني كل ما يملك قلبه وروحه وأعصابه وهو يصطرخ : هذه هي الحضارة ..

ولا يسعنا هنا إلا أن نورد دليلاً من الغرب على فظاظة هذا الموقف الخطير .. وهذا الدليل نسوقه من كتاب ( الإنسان ذلك المجهول ) لمؤلفه الطبيب الكسيس كاريل حيث يقول :

**حضارة العصر صدرت عن جهل بطبيعة الإنسان :**

« ان الحضارة العصرية تجرد نفسها في موقف صعب . لأنها لا تلائمنا . لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم . وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا <sup>(١)</sup> .

ويقول في موضوع تأثير الحضارة الصناعية على « الإنسان الغربي » :  
لقد أهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال ، إهمالاً تاماً عند تنظيم الحياة الصناعية . إذ أن الصناعة العصرية تنهض على مبدأ الحد الأقصى من الانتاج بأقل قدر من التكاليف حتى يستطيع فرد أو مجموعة من الأفراد أن يحصلوا على أكبر مبلغ مستطاع من المال .. وقد اتسع نظامها دون أي تفكير في طبيعة البشر الذين يديرون الآلات ودون أي اعتبار لتأثيرات التي تحدثها طريقة الحياة الصناعية التي يفرضها المصنع على الأفراد وأحفادهم <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

---

(١) صفحة ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ .

لا ندعو الى اهمال العلم ونتاجه انما الى تحديد مكانه من الانسان والحياة :

وما أثبتناه ، لا يشكل دعوة الى التخلي عن العلم وثمراته ، أو الى التوقف عن الاكتشاف والاختراع ، أو الى إهمال تحسين التكنولوجيا والتقدم العلمي ، والى الجمود على حد من الابداع في الانتاج المادي ، فهذا كله غير وارد في منهج التصور الاسلامي .. اذ أن الانتاج المادي ، وما فيه من ابداع ورفاه ، ضرورة ملحة لحياة هذا الانسان ولاستمرار نموه ، ودليل سريع على قيام هذا الانسان المُستخلف . بواجبات الخلافة .. انما الذي عنيدها أن يكون هذا الابداع بكل مدلولاته في خدمة الانسان ، فتلك هي إرادة الخالق الذي سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه .. ومن بديهية الخدمة ان تنمي خصائص الانسان بأن لا تناقضها أو تحتقرها فكيف يجعل دور الانسان في هذه الأرض دوراً ثانوياً أو تابعاً للابداع المادي كما هو الحال في حضارة القرن العشرين !!

ولو ان الانسان الغربي فهم هذا المعنى لما سمعنا من أبنائه من يتكلم بحرقه عن مصيره في ظل هذه الحضارة المادية وعن مصيرها هي ذاتها .

الانهيار في الحضارة المادية أو حي الى المفكرين ضرورة ايجاد فكرة أخرى للتقدم قائمة على سيادة الانسان :

فقد ذكر الدكتور كاريل في مقدمة كتبه (١) انه كتب هذا المؤلف لأوائك الذين يحدون شجاعة كافية ليدركوا - ليس فقط ضرورة إحداث تغيرات عقلية وسياسية واجتماعية - بل أيضاً ، ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أقرب للتقدم البشري .

وينمي الكاتب الروماني الشهير قسطنطين جور جييو في قصته ( الساعة الخامسة والعشرون ) المدنية الغربية : الاوربية والأميركية والروسية ويعلن

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ١٢ .

إفلاس هذه الحضارة الآلية في تقويم الحياة الانسانية بعد أن فقدت كل مقومات الحياة ويرنو ببصره ، من بعد الى أمة ذات أصالة تتفهم الواقع البشري وتتقدم لانقاذ البشرية بفكرة أقرب للتقدم كما قال كاريل - تنقذ بها الانسان الحضارة الصناعية من وهدة الشقاء ومن حظيرة العبودية لآلة صماء نكداء ، وهو في تطلعه هذا يحدد ابعاد الفكرة الجديدة التي ستنبثق منها حضارة جديدة فيؤكد قيامها على سيادة الانسان في الأرض وتحرره من ربقة الآلة وكل منجزات الحضارة الغربية واستخدامه لها بكونها وسيلة لغاية سامية وهى - كما أسلفنا - تحقيق ذاتية انسانية عليا .

ولندع كونستانتان جورجيو يقول ( ان هذا الانهيار الآلي سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولا شك من آسيا ولكن ليس من روسيا. إن الروس قد انحنوا خاضعين أمام نور الغرب الكهربائي فلن يعيشوا ليروا الاشرار . سيكتسح رجل الشرق المجتمع الآلي وسيستعمل النور الكهربائي لانهارة الشوارع والبيوت ولكن لن يبلغ به مرتبة الرقيق ولن يرفع له معابد وصوامع كما هو الحال اليوم في بربرية المجتمع الآلي الغربي انه لن يضئ بنور ( النيون ) خطوط القلب والفكر . ان رجل الشرق سيجعل نفسه سيداً للآلات والمجتمع الآلي<sup>(١)</sup> .

إذن ، لا إهمال للانتاج المادي ولا للتكنولوجيا ، ولا للتقدم الصناعي إنما فقط ، ربط هذا الانتاج بمركزية فكرية سليمة بتصور سليم ، بمعطيات سليمة .

المنهج الرباني يدعو الى استخدام الكون  
والى ربط العلم بنظام للحياة هابط من الله :

ان المنهج الرباني ، لا ينكر استخدام الكون بما فيه من طاقات بل يطلبه

ويوجبه فهذه سنة مؤكدة لا مناص منها ولا مهرب ، إنما يرفع الاسلام  
النكير عندما تعطي قلبك لهذا الانتاج وعندما تجعل التقدم الصناعي في  
قلبك لا في يدك أو كما قال جورجيو ان ترفع له المعابد والصوامع وتضىء  
القلب والفكر بخطوط ( النيون ) والذرة .. و ... الخ .

هذا المعنى الدقيق العميق في الفهم الحضارى هو ما أشار إليه القرآن  
وهو يحكي مواجهة نبي الله هود لحضارة ( عاد ) المادية الصناعية الهائلة  
فقال « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا  
بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون .  
أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعميرون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم '' »

فهود ، في مواجهته لتضخم التقدم العلمي ، لم يرفع المعول ليهدم هذا الصرح  
الشامخ من الصناعات والعلوم ، ولم يدعُ الى الانفصال عما وصلوا إليه ، كسبيل  
للإنقاذ ، بل راح يدعو الى ربط هذا التقدم العلمي واستخدام خيرات الأرض  
بالغاية الصحيحة التي 'خلق' من أجلها هذا الانسان والى « ضبط » هذا  
الربط ليكفل عدم الجنوح والخروج ، وعدم المعاودة الى التصور  
الجاهلي القديم ( فاتقوا الله وأطيعون ) وإلا فالمصير أسود مخيف ... عذاب  
يوم عظيم ..

هذه المجاهدة بكل أبعادها ومعالمها وبكل مقوماتها وأسسها ، هي التي  
نحتاجها اليوم ، اذا ما أردنا تلافي تدمير البشرية وتحقيق حفظ التقدم  
العلمي وحفظ السيادة الانسانية ولا يكون ذلك إلا في « ربط »  
الابداع المادي الغربي بالتصور الاسلامي السليم عن الكون والانسان  
والحياة « وضبط » هذا « الربط » بنظام للحياة لكل معالم الحياة ؛ للاقتصاد

---

( ٢ ) الآيات ١٢٧ - ١٣٥ من سورة الشعراء .



والسياسة والحكم والاجتماع، مستقى من مصدر هذا التصور، من الله سبحانه.. هذا « الربط » هو الذي يحقق لنا وللوجود البشري ، مرة ، أخرى ، حضارة صحيحة تستحق عن جدارة لفظ حضارة .

### على النظام مسؤولية كبرى في ضبط الربط :

ان عملية ضبط الحياة في نظام منسق متفق مع عمق التصور ومنسجم مع خصائص الانسان هو أدق من الربط نفسه ، فالنظام مسؤول عن استمرار الربط ومنع الانحراف ومسؤول عن بقاء الناس في الخط المستقيم ، وعن تأصيل ابعاد التصور فيهم وفي أجيالهم الصاعدة ، وأيضاً هو مسؤول عن نشر هذا التصور في العالم حتى يستقيم الناس جميعاً على أمر واحد وعلى نهج واحد وعلى حضارة واحدة .

إذن للنظام خطر كبير ، فهو صورة الفكر ، وهو الواقع التطبيقي للنظرية ، ولا حياة للتصور دون تطبيق ولا جدوى منه دون تنفيذ . والنظام . بقدر ما يكون عميقاً في الواقع بقدر ما تظهر آثار التصور واضحة جليلة ، وأي انحراف في النظام أو في نهجه أو في تطبيقه يصيب مقتلًا من التصور ويحجب اشعاعه من الوجود ..

ولا يمكن أن تستقيم حياة مجموعة من الناس إلا عندما تكون أنظمتهم في الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع، في الاسرة والحلي والدولة، تابعة من تصورهم للكون والانسان والحياة .. ولا يمكن أن يوجد الانسجام بين الناس وبين أنظمتهم إلا عند وجود صلة روحية بين الاثنين : تعارف يضرب يحدوره الى الأعماق ..

ان الإنسان السوي ليرفض التجزئة بين حياته الفكرية والواقعية فهو لا يقبل ، أو ليس من مصلحته أن يقبل، خضوعه لاتجاهات عديدة . فاتجاه يحكم قلبه وآخر عقله وثالث حياته الاجتماعية ورابع حياته السياسية وخامس

حياته الاقتصادية وسادس وسابع الخ .. فذلك يخلق التمزق في أعماقه وحياته ، التمزق الذي لن ينتج عنه إلا القلق والاضطراب والفوضى وبالتالي الانهيار الكامل ..

ماركس يبرر انفصاله عن الدين :

لقد كتب ماركس في تبريره الانعزال والانفصال عن الدين انه أي الدين يسبب التمزق في الشخصية الانسانية والدليل على ذلك أن الدين أي ( المسيحية ) - أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله - فأصبح الحكم السياسي والأنظمة الأخرى بيد الانسان يضعها حسب ما يريد ويشاء في حين بقي هذا الانسان خاضعاً في حياته الشخصية والخلقية للقيم الدينية .. فمثلاً الانسان في حالة الاعتداء عليه يكون في حالة متناقضة فالقيم الدينية تأمره بالفقران والتذلل ( من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر ) والقوانين البشرية تخوله الاقتصاص والتعويض فبأي الاتجاهين يأخذ ؟ ان استجاب لهاتف الدين ضاعت حقوقه وكتبت الذلة عليه وان استجاب لنداء فطرته في دفع الأذى والاقتصاص حسب القانون يكون قد خالف الدين وهكذا يقع هذا الانسان فريسة للتمزق !!!

هذا التبرير وان أصاب به ماركس بالنسبة للدين المسيحي المنفصل عن الحياة العامة ، إلا أنه لا يصدق إزاء الاسلام العظيم .. فالاسلام قد حاول دون وجود التمزع أصلاً بانبثاق نظام كامل للحياة عن تصوره السليم . وبالنسبة للمثل المضروب فالآية التالية ترينا كيف عالج الاسلام هذا الإشكال ببساطة وهدوء ( وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ) ( ١ ) . فمن أراد مبادلة السيئة بأخرى فهاكه نظام

---

( ١ ) الآية ( ٤٠ ) من سورة الشورى .

يضمن الحقوق ويكفل التنفيذ<sup>(١)</sup> . ومن أراد الصفح والعتو فهذا شأنه وله ذلك ، ما لم يمس النظام العام .

### النظام وليد الفكرة :

فالنظام ينبع من فكرة الأمة من مبادئها في الكون والحياة .. فكما انه لا يمكن تطبيق نظام الحكم الشيوعي مثلاً في أمريكا أو نظام الحكم الأميركي في روسيا .. كذلك يستحيل - دون تصادم ودون صراع وألم - تطبيق أي نظام في أرض لا تمدّه بأسباب الحياة .. لا يمكن مثلاً أن نقول بنظام ديمقراطي غربي أو شرقي أو نظام اقتصادي شيوعي أو رأسمالي، وإن نادى بالوقت نفسه بالتمسك بالقيم الدينية الإسلامية .. فهذا تناقض فاضح مرفوض شكلاً وموضوعاً كرفضنا تطبيق الرأسمالية في روسيا والشيوعية في أميركا .

الأنظمة تنبع من الفكرة .. فهي التي توجد الأنظمة وتنسقها وتفرضها . وليس العكس بصحيح بمعنى أن النظام لا يخلق الفكرة ، النظام يحافظ على الفكرة ، يدافع عنها ، لكنه لا يوجدها

\* \* \*

---

(١) ذكر الدكتور سعيد رمضان في مقال له في مجلة المسلمون - المجلد الخامس - العدد السادس سنة ١٩٥٦ صفحة ٥٢٩ أنه لما كان في أميركا حدثه استاذ كبير في علم الاجتماع بعد محاضرة ألقاها هناك وتحدث فيها عن العدالة الاجتماعية في الاسلام فقال له : « اذا صح ان الذي ذكرته الليلة موجود في الاسلام فانك تكون قد ساهمت اسهاماً كبيراً في معالجة عقدة عميقة في نفسي » قلت له : كيف ! فقال : « ان الذي وصلت اليه بعد كل دراساتي في الاجتماع جعلني أؤمن ان الجنس البشري ضعيف لا يؤمن على نفسه محدود تجعله حدوده يتعثر ويتغير ويهدم ما بناه ، ومقتضى العدالة الالهية اذا كان لهذا الكون اله ان يتدخل ليضع للذين خلقهم حدوداً تهدمهم أمام شهواتهم العارمة وجهلهم المركب وقد أصبحت أعتقد أن هذا التدخل ضرورة يفرضها العدل والرحمة بهذا الانسان الضعيف ! » فلما أطلعت في لقاء آخر على ترجمات لبعض آيات قرآنية وأحاديث ففر فاد في دهشة بالغة وأحسست بزلزال عجيب في نفسه فتأمل !!!

## الانسان مشكلة الحضارة الكبرى :

ان عناصر « الحضارة » كما يقول الاستاذ مالك بن نبي<sup>(١)</sup> أو مشكلتها تنحل الى ثلاث مشكلات أولية : مشكلة الانسان ، ومشكلة التراب ومشكلة الوقت ، فلكي تقوم حضارة لا يكون ذلك بأن نكس المنتجات وانما بأن تحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها .

ولا ريب ان الانسان العنصر الأهم ، إذ هو الذي يستطيع توجيه الوقت وتوجيه التراب أو هو الذي يملك الاستفادة من الكون في زمن محدود أو حد معلوم .

فمشكلة الانسان هي المشكلة الكبرى في الحضارة فاذا أدركنا توجيهه نكون قد وجهنا كل شيء وجهنا الوقت والتراب وبالتالي صنعنا الحضارة .

ولقد تحدثنا في الفصل السابق عن جوانب من المشكلة الانسانية .. وهنا في هذا الفصل . وانسجاماً مع مضمونه العام لا بد من تبسيط جوانب أخرى من المشكلة .

### الانسان - على الزمن - واحد لم يتغير فهو بحاجة الى تصور ثابت :

الانسان منذ وجوده الأول وحتى نهايته واحد ذو خصائص واحدة ومقومات واحدة . فلا يختلف أي انسان عن أي انسان آخر في أي زمان ومكان .. الانسان هو الانسان ، سواء كان أبيض أو أسود وسواء كان هنا أو هناك وسواء كان في لحظة الوجود الأولى أو في القرن العشرين .. هو الانسان بالحس والشعور ، بالطبائع والروح ، بالآشواق والضرورات بالآمال والآلام ولا عبء بعد ذلك ولا قيمة لشكل الثياب أو المسكن أو المركب فلو أن هذا الكائن سكن الخيمة أو القصر ، البادية أو المدينة ،

---

(٢) كتاب شروط النهضة ومشكلات الحضارة صفحة ٤٨ - ٤٩

البحر أو الجبل أو لبس من ألوان الثياب ما لبس أو ركب - كدابة له -  
جملأ أو قطاراً أو طائرة أو أي شيء آخر فإنه سيبقى انساناً بخصائصه  
وأعماقه . فقيمة الانسان في جوهره لا في مظهره ومهما كان المظهر ،  
من أشكال الحياة من أثر فانها لا تتجاوز دائرة ضيقة تبقى بعدها الخصائص  
الانسانية ثابتة لا تتغير .

واذا استقرأنا التاريخ <sup>(١)</sup> ودرسنا الانسان في كل عصر من العصور  
لوجدناه كما ذكرنا ثابتاً في الخصائص والمقومات .

ان هذا الثبات في الكينونة البشرية للانسان بحاجة الى ثبات في المنهج  
أو الى حضارة تضرب يحدورها الى معطيات ثابتة الى تصور ثابت لا يعرف  
الجمود أو كما قيل تصور له حركة ضمن إطار ومحور ثابت .

ان الاسلام وحده من بين جميع الأفكار القديمة والحديثة يملك معطيات  
البناء الحضاري في هذا الوجود ، فهو قد منح المؤمنين به فكرة كلية عن  
الكون والانسان والحياة متسقة دون تصادم ، عميقة دون تعقد ، واضحة  
دون أي لبس أو غشاوة . وهكذا غدت معالم الحياة الذات الانسانية  
والكون المعجيب مكشوفة جليلة .

ولم يكتف الاسلام بهذا الوضوح الأيدلوجي .. فأمد انسان هذه  
الحياة ، بأنظمة تكفلت ثبات تصوره من جهة وتجسيد فكره العالي بواقع  
حياتي سليم ، ومن أجل ذلك كانت الأنظمة الاسلامية في كل ما دق من الحياة  
وما عظم ..

انظمة الاسلام صدرت عن معرفة أصيلة بالانسان فهي ثابتة متطورة :

ان أنظمة الاسلام الحياتية شاملة لكافة نشاطات الانسان .. فيكاد لا  
يوجد أو الأصح لا يوجد مرفق من المرافق الحياتية إلا وللإسلام فيه رأى

---

(١) قصص الأنبياء مع أقوامهم أصدق تفسير في هذا الصدد .

وتوجيه أو ضبط وتنظيم ، فمن الفرائز الانسانية الى الأسرة الى المجتمع الى الدولة الى الحكم ، والاقتصاد ، والقضاء ، الى الحرب والسلم ، الى كل شيء .  
( ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ) .

وهذه الانظمة وضعت بناء لمعرفة أصيلة بحاجات الإنسان وامكانية تطور هذه الحاجات عبر الزمن . فهي لم تهمل عنصر المرونة في خصائصها ومقوماتها بل جعلتها قاعدة انطلقت منها فوافقت بذلك « حاجة التكيف » وفق مقتضيات الزمن .

إلا ان هذا لا يعني ان أنظمة الاسلام متطورة فتتكيف مع الواقع أياً كان دونما اعتبار لأصل ثابت فيها . إذ ان هذا يعني ان الواقع يفرض ذاته على الاسلام فيطوره . وهذا ما لا يقبله الاسلام بل نرى الاسلام يعمل بكل ما فيه من تصور ونظام لتطوير الواقع حسب منهجه وأبعاده .

. ان الانسان ، كما ذكرنا ، ثابت من حيث الجوهر ثابت في الكينونة . في الخصائص والمقومات . فالذي يتطور ، فيه وفي حياته ، الأشكال ، الصور ، المظهر ، أي جزئيات في التركيب العام ، ومن هنا فهو بحاجة - كما أسلفنا - الى منهج ثابت في الخصائص والمقومات لكنه مرن ، يتطور مع الشكل يتحرك في الصورة ، أما المضمون ، أما الجوهر فهو ثابت راسخ أي جامد .

ان الأنظمة الاسلامية ، بوجه عام ، جامدة ، تضمن الأسس التي لا حيدة عنها ولا خروج ولا تعديل ولا تبديل ، إلا انها أيضاً مرنة فيما تبقى في القضايا القابلة للتطور والتغيير في الأشكال المفروض فيها أن تتكيف في واقع أو ظرف معين .

وبهذا تكون الأنظمة الاسلامية - وحدها خلافاً لسائر أنظمة الأرض - قد جمعت الثبات في الأسس والمرونة في التكيف ، أي انها جاءت منسجمة

مع التركيب الانساني ، ثبات في الجوهر وتغير سلبى في المظهر وبذلك غدت  
- بلا ريب - أقدر النظم على حمل أعباء الحياة الانسانية .

ان الانسان - في أي زمان ومكان - يستطيع بسهولة الاعتماد على الانظمة  
الاسلامية الحياتية أو بعبارة أصح ان يسلم لها فتمده هذه وبصورة دائمة  
بأسباب النجاة وبمعطيات الاطمئنان .

### والانظمة الاسلامية موحدة للتوجيه والتشريع :

وليس من قبيل الصدفة ، وقد ربط الاسلام أنظمته بفكرته الشاملة عن  
الكون والحياة والانسان وبوظيفة هذا الانسان في الوجود ، أن يأتي القرآن  
بقواعد التشريع ومبادئ أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع في طيات آيات  
التوجيه وكأن ذلك اشارة ربانية خالدة الى ضرورة إحكام الصلة بين التوجيه  
والتشريع . ولعل آية الشورى خير مثل في هذا الصدد ، فالآية تقول :  
( والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين  
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون )<sup>(١)</sup>  
فقاعدة الحكم الأساسية ، نظام الشورى كله ، قد جاء بوضوح تام ، مرتبطاً  
بالتوجيه ، أو ان التوجيه قد جاء متلاحماً مع التشريع الشورى .

ان هذا المعنى الدقيق ليؤكد حقيقة طالما غفل عنها الناس وهي الوحدة  
العميقة بين التوجيه والتشريع وعدم الفصام بينهما ، ومما لا شك فيه ان  
الفصام النكد الذي جرى بين هذين المعلمين الكبيرين في دنيا الناس كان نتيجة  
لظروف سيئة مرت بها الانسانية المعذبة ولا تزال .  
ان تلاحم الانظمة بالفكرة المطلقة عن الكون والانسان والحياة يوجد

---

(١) الآيات ( ٣٨ - ٣٩ ) من سورة الشورى .

الانسجام المطلق بين الانسان والحياة ويدفع هذا الانسان ، بقوة وعمق وبصيرة ، للقيام بدوره الخلاق المبدع في خلافة الله . عند ذلك يكون التفجير الحضاري تعبيراً عن عمق الارتباط بين الانسان والحياة . ويتعاضم هذا الارتباط ويشدد كلما أدرك الانسان مبتغاه حيث السعادة والاطمئنان .

### الحضارة وحي هابط :

وهنا نستطيع أن نقرر باطمئنان ان ( الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء ويكون للناس شرعة ومنهاجاً أو هي - على الأقل - تقوم اساسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي فكأنما قدر للانسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره الى ما وراء حياته الأرضية ، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها <sup>(١)</sup> .

### والاسلام هو الحضارة والشروط عنه تخلف :

ونستطيع أن نقرر بوضوح أكثر ان ( الاسلام هو الحضارة ) لأن الاسلام وحده استطاع أن يعرف الانسان بحقيقته وأن يمنحه بعد ذلك كافة أسباب التقدم ، وان يربط هذا التصور بأنظمة تكفل الاستمرار بخط تصاعدي بناء . « من أجل ذلك كله تكون القيم والأخلاق والإيماءات والضمانات الاسلامية هي انلائقة بالانسان ، ويكون الاسلام هو الحضارة ويكون المجتمع الاسلامي هو المجتمع المتحضر » <sup>(٢)</sup> .

ونقرر أيضاً ، بصورة عكسية ، ان الحضارات عبر الزمن ، التي لم تتخذ من التصور الايماني تصوراً لها في كل شؤون حياتها والتي لم تتعرف على

---

(١) مالك بن نبي - كتاب شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص ٥٥ - ٥٧ .

(٢) سيد قطب - معالم في الطريق ص ١٥٣ .



حاكمة الله في كل امور دنياها والتي لم تربط انتاجها المادي العلمي بفكرة الخلافة في الأرض ولم تضبط هذا الربط بأنظمة تنبثق عن الوحي الهابط كما يسميه مالك بن نبي فانها لا تستحق لفظ حضارة ولن تكون مجتمعاتها - مهما بلغت من تكديس أو ابداع الانتاج المادي - مجتمعات متحضرة بل هي بمؤسساتها ودولها متخلفة عن الوعي والتقدم الصحيحين .

شهادة من عاش الشرود عن منهج الله قديماً وحديثاً :

ان الانسانية متى شردت عن منهج الله وشرعه لن تكون بأي حال متحضرة لأنها في أعماقها شقية بائسة قلقة تتخبط ولا تهتدي الى السبيل . يقول « ول ويورانت » الكاتب الاميركي في كتابه مباهج الفلسفة<sup>(١)</sup> :

« وثقافتنا اليوم سطحية ، ومعرفتنا خطيرة ، لأننا أغنياء في الآلات فقراء في الأرض ، وقد ذهب ائزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الديني وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقيتنا . ويبدو العالم كله مستغرقاً في فردية مضطربة تعكس تجزؤ خلقنا المضطرب اننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أفلقت بآل سقراط ، نعني : كيف نهتدي الى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلمية التي بطل أثرها في سلوك الناس ؟ اننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن من جهة وبهذا الجنون الثوري من جهة أخرى حين نفقد الفلسفة التي بدونها نفقد هذه النظرة الكلية التي توحد الأغراض وترتب سلم الرغبات ، اننا نهجر في لحظة مثاليتنا السلمية ونلقي بأنفسنا في هذا الانتحار الاجماعي للحرب . وعندنا مئة ألف سياسي ، وليس عندنا « رجل حكم » واحد ، اننا نطوف حول الارض بسرعة لم يسبق لها مثيل ، ولكننا لا نعرف أين نذهب ولم تفكر في ذلك أو هل نجد هناك

---

(١) كتاب مباهج الفلسفة ترجمة مؤسسة فرانكلين الجزء الأول صفحة ٦ - ٧ .

السعادة الشافية لأنفسنا المضطربة ، اننا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التي أسكرتنا  
بجمر القوة ولن ننجو منها بغير الحكمة .

هذه شهادة من « غربي » يعيش وطأة الشرود عن منهج الله ، ويرسم  
لنا بصدق حال الحضارة الغربية السائدة في الأرض ويرينا القلق والحيرة  
لفقدان التصور السليم ولانعدام الربط بين الفكرة وبين النظام ، ( ليس عندنا  
رجل حكم واحد ) وان الانسانية - الشاردة عن الحضارة الحققة - تقذف  
بنفسها الى الانتحار !

وليس ببعيد عن هذا المعنى ما تكشفه لنا قصيدة في نهاية العهد البابلي  
فترينا أيضاً تخبط الانسانية - في ذلك الزمن - عندما فقدت مقومات الحياة  
وشردت عن منهج الله .

ومن خلال القصيدة نرى الشاعر يرسم لنا صورة عن الضياع والتشتت أو  
البؤس والقلق ، فهو يبتغي السعادة إلا انه لا يجدها في المرأة ، ولا في الثراء ،  
ولا في التمسك لإله عاجز ناقص ، ولا في الاستبداد ؛ فاذا ما تضخم عنده  
الضياع وجد سبيلاً لحسم الحياة : القتل والانتحار<sup>(١)</sup> .

---

(١) الألف الثاني قبل الميلاد - وهذه القصيدة نقلناها من كتاب الانسان والحضارة تأليف  
يوسف الحوراني ، وقد أثبتنا مجزئة في الصفحات ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٠ - ٢٤٢ بعد ان قدم  
لها بقوله : ( ولعل أصدق من عبر بعمق عن هذه الحالة ، حالة الضياع والقلق الانسانيين ، كان  
كاتباً بابلياً مجهولاً نقلت اليها نصوصه ألواح الطين . التي تعود الى فترة النزاع البابلي قبل ان تتسلم  
الحضارة الأصلية أيدي الآشوريين القساء ، هو حوار بين عبد وسيده ، ينطبق على حالة كل مجتمع  
بلغ شيخوخته ، وهو حالة أثرياء المدينة الغربية في يومنا هذا ) وقد أشار الاستاذ حوراني انه  
نقل القصيدة من كتاب ( ما قبل الفلاسفة ) الذي بدوره نقلها عن ( لانفدن ) أو « الحكمة  
البابلية » وهذه هي : =

= قال السيد لعبده :

وافق معي أيها العبد :

نعم يا سيدي نعم « أجاب العبد »

السيد : سأحب امرأة

العبد : أحب يا سيدي أحب « فالرجل الذي يحب امرأة ينسى العوز والبؤس »

السيد : لا أيها العبد سوف لا أحب امرأة

العبد : لا تحب يا سيدي لا تحب فالمرأة مصيدة وفخ وشبكة ، المرأة سيف حديدي حاد ، مسلط ، معد لقطع رقبة الشباب.

وافق معي أيها العبد وافق :

العبد : نعم يا سيدي نعم

السيد : احضر لي حالاً ماء ليدي ، احضره الى هنا فسأقدم فريضة لاهي .

العبد : قدم يا سيدي قدم ، فالرجل الذي يقدم قريضة لاهي يطمئن قلبه ويزيد ذخره على ذخر .

السيد : لا أيها العبد سوف لا أقدم فريضة لاهي

العبد : لا تقدم يا سيدي لا تقدم ، عود الاله أن يجري خلفك كالكلب ولما يسأل أين خدمتي ؟ أجبه انك لم تطلب ، وافعل شيئاً آخر

وافق معي أيها العبد وافق

العبد : نعم يا سيدي نعم

السيد : سأقدم هبات للمزارعين في ارضي

العبد : افعل ذلك يا سيدي افعل ، فالرجل الذي يقدم هبات لمزارعيه تكون هباته وكأنها وضعت في كف الاله مردوخ نفسه

السيد : لا أيها العبد ، سوف لا أعطي هبات لمزارعي

العبد : لا تعط يا سيدي فاصعد فوق خرائب المدن القديمة وتجول حولها تأمل في جنابهم المتقدمين والمتأخرين فمن هو صانع الخير منهم ؟ ومن هو صانع الشر ؟

وافق معي أيها العبد :

العبد : نعم يا سيدي نعم

السيد : والآت ما هو الصالح ؟ ان أدق عنقك وأدق عنقي بعدك وتسقط في النهر ، ذاك هو الصالح

العبد : من تراه طال حتى وصل السماء ، ومن بلغت ضخامته حتى يحتضن الأرض

السيد : لا أيها العبد ، سأقتلك أنت فقط واجمعك تسبقني

العبد : وهل يريد سيدي أن يعيش لثلاثة أيام بعدي ؟

هذه هي قصة الحضارات الزائفة وهي قصة واحدة لا تختلف فصولها ولا أحداثها لأن الانسان فيها انسان واحد على الزمن ، فقد المنهج فارتكس في ضياع قتال . وبالحقيقة هي قصة تخلف واحد لأنها حجبت انسان الحياة عن أي نور يتطلع به الى خالقه ونفسه وكونه والهته باندفاع جنوني يخيف نحو عريضة علمية يُضيعُ فيها ذاته .

إلا اننا في نهاية هذا الفصل نحب أن نؤكد حقيقة - أسلفناها سابقاً - ان هذا الانهيار الآلي سيمقبه اعتراف بالموهبات الانسانية كما يقول جورجيو : ( لأن الناس لا يستطيعون ان يتبعوا الحضارة العصرية في مجراها الحالي ، لأنهم آخذون في التدهور والانحطاط ، لقد فتنهم جمال علوم الجهاد انهم لم يدركوا ان احساسهم وشعورهم تتعرض للقوانين الطبيعية - وهي قوانين أكثر غموضاً وان كانت تتساوى في الصلابة مع القوانين الدينية - كذلك فهم لم يدركوا انهم لا يستطيعون أن يعتدوا على هذه القوانين دون أن يلاقوا جزاءهم . ومن ثم يجب أن يتعلموا العلاقات الضرورية للعالم الديني ولأثرهم أبناء آدم ولذاتهم الداخلية ، وتلك التي تتصل بأنسجتهم وعقولهم . فان الانسان يعلو كل شيء في الدنيا فاذا انحط وتدهور فان جمال الحضارة بل حتى عظمة الدنيا المادية لم تلبث أن تزول وتلاشى (١) .

ان طريق الانقاذ ، طريق واحد واضح جلي أعني : ربط الانتاج المادي بتصور سليم متين عن الكون والانسان والحياة ، وضبط هذا الربط بأنظمة مستمدة من مصدر هذا التصور وجعل هذه الأنظمة بيد ( رجال حكم ) لا هواة سياسة . أو بمعنى آخر إقامة حكم الإسلام من جديد أي العودة الصحيحة الى طريق الله .

---

(١) الكيس كاريل ص ١٠ - ١١ .



## الفصل الثالث

مفهوم الدولة في الإسلام



ان غاية الانظمة الاسلامية كما ذكرنا « ضبط الارتباط » بالله سبحانه  
بحيث تغدو الحياة بكل صورها ومعالمها ومؤسساتها ، منصبة بالصيغة  
الربانية ( ومن أحسن من الله صبغة ) سالكة أهدى السبل ( إن هذا  
القرآن يهدي للتي هي أقوم ) ومحقة في الوجود أعظم أمة ( كنتم خير أمة  
أخرجت للناس ) .

#### انبثقت الدولة من ضمير الشرع

لضبط تصرفات الناس في الاتجاه الذي ارتضوه لأنفسهم :

ومن هذه الغاية الكبرى للأنظمة ، ينبثق مفهوم الاسلام للدولة ، فهي  
ليست أداة للفر والاكراه ، وليست وسيلة لتحقيق نفوذ طبقة على أخرى ،  
كما أنها لا تخضع للعوامل والمؤثرات المادية : من أدوات انتاج الى انتاج ومن  
ارادة فرد أو أفراد ، انما هي لضبط تصرفات الناس في الاتجاه الذي  
ارتضوه لأنفسهم فهم قد ارتضوا الاسلام ديناً وشرعة ومنهاجاً فلا بد نتيجة  
لذلك من ضابط يشرف على هذا الرضى ، ويسمى جاهداً لتنفيذ عقده ،  
بكل دقة واخلاص . وذلك الضابط هو الدولة ، فالدولة إذن أداة لتجسيد  
رغبات الناس المؤمنين ، كل الناس ، ووسيلة لزيادة النمو والتقدم في مختلف  
جوانب حياتهم .



ولا بد من الإشارة <sup>(١)</sup> هنا الى أن هذا الضابط أي الدولة وهو في طريقه لتجسيد الرغبات لا يهتم من حيث المبدأ بإرادات فردية أو حتى جماعية ان خالفت المصدر الذي أوجده .. فهو أي الضابط ، غير مدين في وجوده الى طبقة من الطبقات أو فئة من الفئات أو عصبية من العصبيات أو الى انتاج ووسائل انتاج ! فهو قد انبثق من صميم هذا الشرع الذي آمن به : المصلي في محرابه والزوج في بيته ، والفرد في مجتمعه .. وليس لأحد من هؤلاء فضل يد في إيجاد هذا الضابط بل قد جاء هو متفضلاً عليهم في ضبط تصرفاتهم وتنمية قدراتهم والسير بها الى الله . ومن هنا ليس لأي كان ، أي حق تجاه الدولة ، يراه لنفسه ، إلا ما أوجبه الشرع وما أقره وليس للدولة أية سلطة أو أي حق ، تجاه الأفراد، ومن هنا ليس بين الفرد وبين الدولة عقد مباشر كما ذهب اليه روسو وكثير من المفكرين إنما العقد بين الفرد وبين الله .. فالإنسان ، بدخوله في الاسلام وبإيمانه بمقيدة لا اله إلا الله ، وقد ارتبط بعقد له شروط وموجبات ومواصفات .. وله أيضاً بدل تكفل الله به في الدنيا وفي الآخرة ، فمن شروط العقد وموجباته أن يأتي الله مؤمناً من أعماقه معترفاً بالوحيته وحاكميته خاضعاً لكل أمر أو نهى يصدر عنه ، وبدل هذا العقد الذي تعهد به الله سبحانه ، فمن هنا ليس بين الفرد أن يمنح هذا الإنسان المستسلم لمشيئته ، منهج حياة يضيء له الطريق في الدنيا ويوصله بطمئينة وهناء الى الآخرة .

### ليس بين الفرد والدولة عقد مباشر إنما العقد بين الله والفرد والدولة شخص ثالث :

وقد تم هذا التعاقد فعلاً بين الله والإنسان في فترات من التاريخ ، ثم جدد بقوة وحزم في عهد النبوة الأخيرة فتجلى اعطاء الله سبحانه واضحاً بهياً

---

(١) ونرجى التفصيل الى القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله .

ناصباً في شريعة الاسلام ، تصوراً للانسان والكون والحياة، ومنهجاً سليماً في الواقع والسلوك ..

وجاء أمر الله موجباً ، وجود ضابط للاشراف على هذا العقد ، للمساعدة على تنفيذه ، ولتنميته على الزمن ، فكانت الدولة .

فالدولة إذن ، شخص ثالث يختلف عن الله تبارك وتعالى وعن الانسان، وليس بينها وبين الانسان أي عقد مباشر .

من أجل هذا قلنا ليس للدولة أو للأفراد أن يطالبوا بحقوق لم يوجبها الشرع .

وبناء على هذا الوصف نقول ليس للفرد الذي دخل الاسلام أو داره أن يرفض ولاية أو سلطة الدولة وليس له أيضاً أن ينفصل عنها ويقبل بسلطة أخرى . وليس للدولة أيضاً أن تسقط رعايتها أو ضبطها لفرد من الأفراد أو تتخلى عن موجباتها إزاءهم طالما أن هؤلاء متمسكون بعقودهم وهي قائمة على شرعة الله.

### الدولة في أوروبا :

ان فكرة العقد المتبادل بين الفرد والدولة أو بين الشعب والدولة فكرة قد نشأت في أوروبا في ظروف وملابسات معينة وهي على هذا الأساس لم يعرفها الاسلام ، ولا يقرها على كل حال . ( وسنعرض لهذا الأمر تفصيلاً في القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله ).

فمن مقتضيات فكرة التعاقد المباشر ( ومنها المذاهب السياسية في الحكم وخاصة الديمقراطية ) ان تسير الدولة بإرادة هذا الشعب وإرادته أغلبية في مدينة بوجودها لهم ، وهم قد تعاقدوا معها لتسيير شؤون حياتهم وفق ما

يلون عليها ، لذلك فليس لها الحق أن ترفض ما يريدون أو يريد أغليبتهم أو ما يريد البعض الذي يُسَيِّر الآخريين .

ان هذه المسايرة كما نرى في مجتمعات الدنيا تخلق جواً من النفعية والأنانية وربما الاستبداد و'تخضع' أداة الضبط الى فئة من المستغلين النفعيين مما يجعل هذه الاداة ، كما يزعم الكثير أداة للقهر والاكراه ، الأمر الذي يفسح المجال للماركسية اللينينية ، ان تقول ان الدولة مظهر من مظاهر تنازع الطبقات ووجودها دليل على وجود الطبقات المتصارعة .

### الدولة في الاسلام تخضع للشرع لا للشعب :

ان المفهوم الاسلامي للدولة يحررها من الخضوع لإرادات البشر فهي لم تنبثق عنهم ولا بوحيتهم ، وبالتالي لا تسير على أهوائهم ومنوالهم ، ووفق كثرتهم او إجماعهم وإنما تخضع الدولة بكل مفاهيمها وقيمتها ونظراتها الى المنهج الذي أوجدها والشرعة التي ختمتها .

وعندما يتأصل هذا الفهم في نفوس الناس من أن الدولة ليست من عندهم إنما هي من عند الله تنتهي عندهم قصة الأثرية والأقلية ، ويشعرون من أعماقهم بقيمة هذا الضابط في تصريف شؤونهم والسير بهم نحو الله ، ويدركون بكينوتهم ، وبكل ما فيهم ، ضرورة تذليل كل صعب أمامه ، والمحافظة على وجوده . فهو لهم وليس عليهم ، معهم وليس ضدهم ، يعمل لمصلحتهم ويعينهم لتنفيذ العقد مع الله ولا يصال البدل من الله .

وهكذا تحتل الدولة دور الوسيط بين الله والناس .. ومن أجل هذا كانت الدولة لله وللناس . فالله سبحانه لا يعطي البدل إلا عبر الدولة . والناس لا يستطيعون تنفيذ العقد إلا من خلال الدولة . ومن هنا تغدو الدولة في الاسلام ضرورة كبرى وحتمية لا مفر منها ولا تستقيم الحياة بدونها .

\*\*\*

وفي سبيل القيام بهذا الدور الخطير تملك الدولة من الأنظمة والشرائع ما يحقق لها غرضها بكل بساطة ويسر .. ولعل أهم ما تملكه في هذا الصدد ، التصور السليم عند الناس : تصورهم عن الانسان والكون والحياة وتصورهم عنها وعن غايتها وعن دورها في الوجود ، وبوحي هذا التصور تلمس الدولة عند الناس إيجابية في الطاعة والانضباط ، فتسوسهم بسياسة الله وتحقق فيهم وبهم الخلافة في الأرض بكل معناها ومبناها .

### ملطة الدولة تنقذ المنحرفين :

ان شعور المسلمين نحو الدولة ، بأنظمتها وتشاريعها ، شعور بناء مهيب منتج . فليست الأنظمة للاستبداد والطغيان وليست لظلم طبقة لحساب أخرى وإنما هي وسائل الضبط التي يملكها الضابط بإذن الله . فالسوط الذي ترفعه الدولة أزاء المنحرف عن منهج الله مجرماً كان أو عاصياً أو محتكراً هو البلمس الشافي . يتقبله المنحرفون بضمير مبكت مؤنب . وأكثر من ذلك فان هذا السوط ، ليغدو عند هؤلاء الذين سقطوا في لحظة من لحظات الضعف البشري أحب إليهم من التستر والنجاة والحياة ، فتراهم يسرعون يعلنون عن انحرافهم طالبين إنزال العقوبة بهم ملتجئين بذلك سبيل العودة الى المنهج الذي فرطوا فيه !

اننا لا نملك ازاء الحوادث المعقدة <sup>(١)</sup> التي وقعت في صدر الاسلام إلا تفسيراً واحداً هو سلامة وعمق التصور عند هذه الطليعة المباركة ، التصور لكل مجالات الوجود : للانسان والكون والحياة ، وللدولة والنظام ، وللحاكم والعقاب ..

---

(١) عن بريدة رضي الله عنه قال : جاء ماعز بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه . قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني فقال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . حتى اذا كانت الرابعة قال =

ومما هو جدير بالاعتبار ان هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسين ولا العلماء الفطاحل بل كانت بين أناس يتسمون بالبساطة ورجال لا يزالون في بداوتهم ، غير أن أنظارهم توجهت في تلك اللحظات الى ما وراء أفق الأرض فتجلت لهم آيات في أنفسهم وسماءات لهم أنوارها في الآفاق .

نعم انه لمن الغريب ان يتحول هؤلاء البسطاء ذوو الحياة الراكدة عندما مستهم شرارة الروح الى دعاة اسلاميين تتمثل فيهم خلافة الحضارة الجديدة

---

= رسول الله: مم أطهرك؟ قال: من الزنا . فسأل رسول الله: ابيه جنون فأخبر بأنه ليس بمجنون فقال: أشرب خمرأ؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر ، فقال: أزنيت؟ قال نعم فأمر به فرجم .. ثم جاءته امرأة حامل من الأزدي فقالت: يا رسول الله طهرني . فقال: ويحك! ارجمي فاستغفري الله وتوبي اليه فقالت: أتريد ان تردني كما رددت ماعز بن مالك انها حبلى من الزنا . فقال: انت؟ قالت نعم قال لها: حتى تضعي ما في بطنك، وفي رواية أخرى فقال لها: اذهبي حتى تلدي . فلما ولدت قال اذهبي فأرضعيه حتى تفضطيه فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجوها .. ( مسلم والنسائي . وقصة الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ولم يخرجوا معه الى الجهاد بل بقوا في المدينة عن قصد وعمد تنبئنا بالمعنى الدقيق الذي أشرنا اليه ونراه بوضوح في حديث كعب ابن مالك ، أحد الخلفين من رواية الامام احمد إذ قال: ( فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضر بشي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً وأستمع على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادماً زاح عني الباطل وعرفت أنني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه .. فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب ثم قال لي تعال فبغت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهراً؟ فقلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت ان أخرج من سخطه بعذر . لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه اني لأرجو عقي ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط افرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. ) . ويبدأ العقاب بنهي المسلمين عن محادثة ومكالمة الثلاثة المتخلفين مما اضطرهم الى الاعتزال ثم أمر الثلاثة بأن يحتنبوا زواجاتهم ويستمر ذلك خمسين يوماً فتأمل ..

وان يندفعوا بروحها وثبة واحدة الى تلك القمة الخلقية الرفيعة ثم ما لبثت ان انتشرت في حياة فكرية واسعة متجددة<sup>(١)</sup> ..

\* \* \*

## اقليم وشعب الدولة !!

ولا بد أن تتجسد الدولة في اقليم معين ، ومجموعة من البشر .. إلا أن هذا لا يفرض علينا نوعاً من الأرض وصنفاً من البشر ذلك ان الاسلام في نظرتة الكلية ، يسقط من حيث المبدأ<sup>(٢)</sup> اعتبارات درج الناس عليها في دراستهم لنشوء الدولة وعناصرها .. فليس من شرط الاسلام في الدولة ان تكون في اقليم بذاته فقد تكون هنا أو هناك في بلدنا أو في بلد سوانا، في أرض العرب أو أرض العجم ، فالأرض أرض واحدة ، هي لله يورثها عباده الذين اصطفى .  
وحيثما ذكر اسم الله في بلد عدت أرجاءه من لب أوطاني

وما يقال عن الأرض يقال أيضاً عن الناس .. فليس شرطاً أن يكونوا من جنس واحد فكلهم بشر ، ويمكن أن يتعايشوا فيما بينهم ، في ظل العقيدة والنظام ، وضمن التصور والانضباط ، فلا فضل لجنس على آخر إلا بانصهاره في بوتقة الاسلام ، فالعربي مسلم ، والعجمي مسلم .. وكلهم عند الله سواء ..

إذن ، فالاعتبارات المادية في بناء الدولة ليس لها قيمة بذاتها إذ يمكن تجاوزها الى سواها .. أو هي بالأحرى اعتبارات شكلية يسهل معها التغيير والتبديل بل ربما الاسقاط الكلي أو الجزئي ..

---

(١) مالك بن نبي شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص ٥٧ - ٥٨

(٢) تفصيل ذلك والتعليق عليه في فصل الوحدة من القسم الثاني من هذا الكتاب .

ان العقيدة هي المحور الاساسي في دولة الاسلام هي العنصر الأهم أو هي الأصل .. وما دونها ثانوي يزوي أمام تماسك الفكرة وإصالتها في أعماق أهل هذه الدولة .

من أجل هذا قسم الفقهاء العالم الى دارين لا ثالث لهما دار الاسلام ودار الجاهلية <sup>(١)</sup> ففي الأولى تظهر شريعة الاسلام خفاقة عالية وفي الثانية يبرز الانحراف والبعد عن منهج الله في الحياة ... <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

### عقوبة الانحراف تعطيل لنور الدولة في تجسيد عطاء الله :

ولله في كلا الدارين سنة لا تتخلف ولن تجد لها تبديلاً ... فقد وعد الذين آمنوا بالنصر والتمكين في الأرض والبقاء والامتداد ما داموا على المنهج الذي رسم لهم ... ( الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ) <sup>(٣)</sup> .

اما إذا انحرفوا فتجري عليهم سنة القرى ( وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ) <sup>(٤)</sup> .

ان عقوبة الانحراف عن منهج الله عقوبة كبرى ، قد تتجاوز عقوبة أولئك الذين لم يتفياوا ظلال العقيدة الكبرى ... فالذين عرفوا ثم كفروا ، الذين استضاءت قلوبهم بالنور ثم أظلموها بالطاغوت ، هؤلاء شر مكاناً وأظلم

---

(١) الأصل دار الاسلام ودار الحرب ونفضل استخدام الجاهلية بدل الحرب فهي أعمق في الدلالة .

(٢) انظر تفصيل هذا البحث في القسم الثاني من هذا الكتاب الذي سيصدر بعد هذا القسم ان شاء الله .

(٣) الآية (٤٠) من سورة الحج .

(٤) الآية (٥٩) من الاسراء .

لناس دون جدال فهم قد نكثوا العهد الذي قطعوه لله... ونكلوا عن العقد  
لذي أبرموه مع الله وعطلوا في أنفسهم ووجودهم ودينام خلافة الله...  
ليس عجيباً بعد ذلك ان تتعطل دور الدولة في الوساطة وتتوقف حركتها  
بن العطاء مما وعد الله...

وكلما أمعن الناس في انحرافهم عن المنهج كلما تلاشى دور الدولة في  
مطاء حتى يجذب الناس ولعل هذا أبلغ عقاب من الله لهذه الأمة...  
كأن الثواب والعقاب في طرفي خط يسير متوازياً أبداً مع منهج الله...  
إذا ما تمثل الاسلام في واقع الحياة عقيدة وسلوكاً وتشريعاً أدرك الناس  
ثواب في نهاية الخط المتعالي وإذا ما تخلوا عن شريعة الله هبطوا هبوطاً  
نعماً فأصابهم العقاب : الطرف الثاني من الخط الأبدي ، سنة الله ولن تجد  
سنة الله تبديلاً .

### من الانحراف أو الهرم نزءاً من حياة الدولة:

وليس الانحراف والضعف أو الهرم حتماً مقضياً في الأمة ، أو جزءاً لا  
جزأ من حياتها كما ذهب الى ذلك كثير من المفكرين ومنهم ابن خلدون  
في العصر الطبيعي للدولة ( ومالك بن نبي ( في الدورة الخالدة ) والماركسية  
ينينية في ( تنازع الطبقات ) .

فابن خلدون جعل للدولة عمراً طبيعياً كعمر الأفراد وحدده بثلاثة  
بيال تقارب المائة والعشرين ولها أطوار خمسة تتدرج من القوة الى الضعف  
لقنوع والتبذير فالذبول<sup>(١)</sup> .

وأما مالك بن نبي فقد كتب تحت عنوان ( الدورة الخالدة ) مردداً مع

---

(١) واجع مقدمة معركة ابن خلدون ص ١٤٦ الفصل السابع عشر ( أطوار الدولة ) .



نتشه قوله ( انه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه كما تعيد الشمس دورتها من نقطة الانقلاب ) . كتب يقول (١) :

« من الملاحظات الاجتماعية أن للتاريخ دوراً وتسلسلاً فهو تارة يسجل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كريمة وهو تارة أخرى يلقي عليها دثارها ليسلمها الى نومها العميق » ثم يضرب المثل على ذلك بالحضارة الاسلامية التي بدأت من غار حراء بومضة روحية هائلة ثم توسعت وانتشرت فوق سطح الأرض مستفيدة من جاذبية الروح و « العقل » ، حتى اذا ما تخلت عنها وجدناها تخلد الى الارض مغلبة جاذبية الارض عليها (٢) .

أما الماركسية اللينينية فقد ذهبت في تفسيرها الاقتصادي الى قريب من هذه المعاني ، من وجهة نظرها ، فكلما تقدم الانتاج وتطورت أدواته تعاظم انصراف الطبقي بين الطبقتين الموجودتين في عصر من العصور فتغلب الطبقة المضطهدة الطبقة الأخرى ثم تنشأ بحكم التطور وتطور أدوات الانتاج ، طبقة ثالثة تختلف عن الطبقتين الأولتين فتقاوم فتغلب وهكذا ... حتى تصل الى ديكتاتورية البروليتاريا التي هي طبقة أخيرة - في سلم الطبقات عبر الزمن - فتنتزع هذه الطبقة - الدولة - أداة القسر والاكراه ، من أيدي الرأسماليين لتتركها بعد ذلك تتحطم وتزول (٣) .

ان هذا التحتم المطلق في عمر طبيعي أو دورة خالدة أو تنازع الطبقات ونو ارتدى حلة تاريخية (٤) ، الا أنه يظهر أمام التحليل الاسلامي للدولة عارياً من أية حجة منطقية معقولة !!

---

(١) مالك بن نبي شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق الصفحات ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ .

(٣) راجع بحث الدولة للنين .

(٤) لا بد لنا - هنا من الإشارة الى ان التحليل الماركسي لتنازع الطبقات هو تحليل سطحي ولم ينظر الى المشكلة من جميع نواحيها الاقتصادية والسياسية والفكرية بل اقتصر على العامل الاقتصادي فقط وعلاوة على ذلك فان تاريخ الصراع هذا على افتراض صحته هو تاريخ اوروبا وليس تاريخنا ولا يصدق في قليل او كثير على بلادنا ذات التاريخ الخاص ...

## الدولة في الاسلام نمو وتساعد :

إن الدولة - في الاسلام - تنمو وتنمو أبداً ، تتصاعد في خط واحد نحو العلاء متجاوزة كل الصعاب ، كل المحن والمشكلات .. مجددة دوماً قواها بحيث لا ترى عليها امارات ضعف أو هوان .

الدولة - من حيث المبدأ - لا تعرف التلكؤ فالجهود فالتأخر .. بل هي دائماً منطلقة الى الله لتحقيق في الارض الرسالة التي انتدب إليها الانسان « الخلافة الكبرى » ..

هذه الحتمية هي الأصل في بناء الدولة ومن أجل ذلك جاء الاسلام بشرائعه ونظمه .. فهو لم يأت لزمن قصير مائة سنة أو أكثر أو أقل - كما حدث فعلاً في التاريخ إنما جاء ليحكم البشرية كلها حتى تستقيم على أمر الله دائماً في كل زمان ومكان .

فاذا ما تخلى المسلمون في عصر من العصور عن وظيفتهم الكبرى في الوجود فتوقفت الدولة عن النمو والعطاء وأسلمتهم الى ضعفهم البشري فيكون هذا انحرافاً عن الأصل ويبقى انحرافاً ، ولا يمكن أن ينقلب الى أصل والى حتمية ، مهما تكرر في التاريخ ومهما تأكد على الزمن .

ان الانحراف أمر طارئ على الدولة وعلى تصاعدها ، وهو بهذا المعنى شذوذ وظلم .. فاذا ما وقع فلا بد من دفع الثمن ، مهما غلا وعظم ، فقد يكون في التلاشي والانحطاط وقد يكون في تدمير الانسانية .. فهي سنة .. وهي حتمية .. ولكن سنة انحراف وحتمية ثمن .

## دعوة القرآن الى دراسة شأن الأمم الفائرة

القرآن يحدد سنة لا تبديل فيها :

من أجل هذا دعا القرآن الناس للتفكير في سنن الله في الأمم والشعوب

دعاهم الى تدبير ما أصابهم وما طرأ على حياتهم كيف نشأوا وكيف تطوروا  
ثم كيف ظلموا وكيف دمروا ؟

« ذلك من أنباء القرى نقضه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم  
ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من  
شيء لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تنبيي وكذلك أخذ ربك إذا أخذ  
القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » (١) .

ان هذه الدعوى القرآنية دعوة هادفة أصيلة لتلمس أسباب الانحراف ثم  
لاجتنائها من الجذور كلما بدت في أفق الحياة الجديدة .. ولو أن الأولين  
من انحرفوا عن دولة الاسلام اعتبروا بسنن القرى لبقيت دولتهم خفاقة تنضح  
الناس بخيرات الارض والسماء .

وبيّن القرآن سنن الله في الدولة سننه في استقامتها وسننه في انحرافها  
ببيان معجز جلي فيقول :

« وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم  
يضرعون. ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسّ أباءنا الضراء  
والسراء فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا  
عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون .  
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون. أو أمن أهل القرى ان  
يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلمبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا  
القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها ان لو نشاء  
أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .

« تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما

---

(١) الآيات ١٠١ - ١٠٣ من سورة هود .

كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين (١) .

ما أروع القرآن ( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ) فبكل وضوح وتأكيد وحتمية ( لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ) بركات في كل شيء : في أنفسهم ، في وجودهم ، في دولتهم ، في حضارتهم ، في إنتاجهم ، بركات لا تنقطع .. ولا تنفلق .. بل دائماً في فيض .. وفي استمرار .. وفي عطاء .. مفتوحة على مصراعيها تعطي دون حساب وتمد الناس بأسباب الحياة .. وتطلقهم بفطرتهم في خط الحضارة التصاعدي .

#### شرط التصاعد عدم الانحراف :

ان الشرط الوحيد لكل تلك المعطيات الدفاعة استمرار المجتمع على نهج الله ، في إيمان سليم في أعماق القلوب ، وفي تقوى أصيلة في أعماق الحياة .

الشرط هو الاستمرار وعدم الانحراف .. الامتناع عن سبل الذين ظلموا انفسهم والوجود .. فاذا ما تخلف الشرط هوت الأمة في ضريبة الحساب ووقعت في مقلب السنن ( وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) .

فالأصل ، إذن ، تصاعد الدولة بخط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا تكسر ولا انحناء وأن أي انحراف في الخط يحدث على الزمن انفراجاً هائلاً يؤدي في النهاية الى التدمير ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ) (٢) .

---

(١) الآيات من ٩٣ الى ١٠١ من سورة الاعراف .

(٢) الآية (٥) من سورة الأسراء قال المفسرون في قوله تعالى ( أمرنا مترفيها ) أمرناهم بالطاعات ففسقوا !

وكأني بآبن خلدون ومالك بن نبي قد لحظا - بصورة مضطربة غير واضحة - هذه الحتمية الأصلية لتصاعد الدولة فقد أشار الاول الى ضرورة ( حمل الكافة أي كافة الناس ) على شريعة الله اذا ما أردنا ان نتجنب مساوىء الملك الطبيعي والسياسي . ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أصل العصبية وتقرر الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب منا ومنهم وهم مستميتون عليه<sup>(١)</sup> .

أما مالك بن نبي فقد قال تعقيباً على منحني السقوط في الحضارة الاسلامية وهو الخط الذي تلاخط العقل ، الخط الأفقي المتصل بخط التصاعد الروحي « ذاك هو منحى السقوط الذي تخلقه عوامل نفسية أحط من مستوى الروح والعقل ، وطالما أن الانسان في حالة يتقبل فيها توجيهات الروح والعقل ، المؤدية الى الحضارة ونموها ، فان هذه العوامل النفسية تخترق بطريقة ما ، فيما وراء الشعور ، وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل تنطلق غرائز الدنيا من عقالها لكي تعود بالانسان الى مستوى الحياة البدائية »<sup>(٢)</sup>.

يجب ان ندرس الانحراف على أنه انحراف :

وهنا لا بد لي من تأكيد الحقيقة التالية :

ان دراسة حالات الانحراف في الأمم والشعوب - على أنها حالات حتمية أو لا يمكن ان تكون دولة دون ان تمر بأطوار معينة أو بدورة

---

(١) المقدمة ١٣٢ .

(٢) شروط النهضة ص ٥٩ .

ميتة (١) !! او بتصارع الطبقة - دراسة مخيفة لها معقبات سيئة في  
التصور والواقع .

ان الانحراف لا يدرس إلا بعد دراسة الاستقامة كما ان المرض لا يعرف  
إلا بعد معرفة الصحة .. وكل منهج غير هذا منهج منحرف يعالج الانحراف  
بالانحراف .. والانحراف لن يكون في كل حال إلا انحرافاً ..

علينا ألا نستحضر « الواقع » المنحرف لنستمد منه التصور والسنن ..  
إذ أن هذا الاستحضار 'يرسب' في أعماقنا فساداً في التصور يوردنا موارد  
التهلكة ويجعلنا نخط في التيه بلا دليل على حد تعبير سيد قطب إنما  
علينا ان نواجه « الحقيقة » مواجهة تلقى وتطلع وعندئذ نستطيع ان  
نرى بوضوح تام خط الانحراف الآخذ من الخط الصاعد وغير تلك المواجهة  
تعطل علينا الرؤيا إذ أنها تجعلنا في صميم الانحراف كالذي يسير وهو مغمض  
العينين لا يرى سواء السبيل !!

ان دراسة الدولة بدايةً ونهايةً ، حضارة وأثراً ، يجب أن تنبثق من  
المفهوم الصحيح للدولة وللحضارة .. وبعدها تُدرس حالات الانحراف ،  
على أنها انحراف لا على أنها مظهر حتمي للدولة او حالة عادية كانت  
وستكون ولن تتخلف أبداً !! .. !!

---

(١) نعتقد ان لفظ « ميتة » أصدق في الدلالة من لفظ « خالدة » فالخلود في الأصل الصعود  
الذي لا دورة فيه أما اذا كان من انحراف في الخط لانشاء دورة فهذا انحراف ميت ...  
لا خلود فيه ...



## الفصل الرابع

كَيْفَ أَقَامَ الْإِسْلَامُ دَوْلَتَهُ؟



أدركنا من الفصول السابقة ، من طبيعة التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة ، ومن ضرورة « الضبط » لكافة شؤون الحياة وتسييرها « بأنظمة » هادفة الى الله سبحانه ، ومن مفهوم الدولة في الاسلام .. ان وجود « الدولة » حتمية إسلامية لا مفر منها ويعني هذا ان الاسلام جاء ، من أول يوم عرفته الدنيا يحمل في طياته « إقرأ »<sup>(١)</sup> ، نواة ، مجتمع وملامح دولة ، وخطة عمل .

### لماذا لم يطلب الاسلام الدولة من أول يوم ؟

والسؤال الآن : لماذا لم يفصح الاسلام عن أهدافه من أول يوم ؟ او لماذا لم يُنزل القرآن دفعة واحدة فيدعو الى عقيدة ودولة ، الى توحيد وتنظيم ، الى منهج واسلوب ؟؟ خاصة وان الاسلام واجه بيئة ضائعة ، لا تنظيم فيها ولا سيادة ولا عقيدة ولا سلطة ، إلهها هواها ومنهجها فوضى وأصدق وصف فيها ما قاله أحد أبنائها أمام النجاشي ملك الحبشة جعفر بن ابي طالب ( أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف .. )<sup>(٢)</sup>

---

(١) ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) سورة العلق الآية ٢ .

(٢) ابن هشام - سيرة النبي مجلد واحد - ص ١٥٣ - طبعة بيروت دار الريحاني .

فلو أن القرآن كان جملة واحدة بنظامه وتشريعہ وعقيدته ومنهجه لأدرکت. تلك البيئة « الضائعة » وجودها ولا نقادت إليه بسهولة ويسر دون مقاومة. ولا عناد .. او لتمکن الرسول ﷺ من قبول عرض « المشركين » في تتويجه ملكاً وسيداً فحكم بما أراه الله بالتشريع الاسلامي وبالتنظيم الرباني ولقامت دولة الاسلام في أيام معدودات ؟؟

ولأول وهلة يُخيل ان مسحة من الحجة تصبغ ظاهر هذه الأسئلة بيد أننا اذا مَادَقْنَا فيها وعرضناها على حقيقة هذا الدين وجدنا فيها من الجهل ما فيها.. ولم نجد جواباً عليها بدقة وإيجاز إلا جواب رسول الله ﷺ على من عرض عليه الملك والسلطة والسيادة .

روى ابن هشام في سيرته ( أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلوه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله ﷺ سريماً ، وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له :

يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك انا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفحت الاحلام وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك ، او كما قالوا له فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالاً وان كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ..

فقال رسول الله ﷺ :

ما بي ما تقولون .. ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم

ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا وأمرني ان أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم .

فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، <sup>(١)</sup>

فهؤلاء لم يعرفوا بعد حقيقة هذا الدين ، وما عرضوا ما عرضوا جادين .. وانما للخصام والتضليل . ثم ان غاية الاسلام ليست في الشرف والملك بل في الخضوع والامتسلام لله .. فعندما تتحقق الغاية تظهر الدولة كمنحة من الله .. وهذا لن يكون ، إلا في تجمع اسلامي كامل .. وفي مكة لم يكن الخاضعون المستسلمون لمشينة الله إلا نفرا قليلا معدودا ، تجمعاً بسيطاً لم يتكامل بعد .. وأيضاً « ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح .. وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » لم ينزل هذا القرآن جملة ، انما نزل وفق الحاجات المتجددة ووفق النمو المطرد في الأفكار والنمو المطرد في المجتمع والحياة .. وفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية .. <sup>(٢)</sup>

« انه ليس ، نظرية ، تتعامل مع ، الفروض .. انه منهج يتعامل مع الواقع . <sup>(٣)</sup>

« لم يشأ الله ان ينزل عليهم النظام والشرائع في مكة ليختزنوها جاهزة حتى تطبق بمجرد قيام الدولة . <sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن هشام - ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) الاسراء ١٠٦ .

(٣)(٤)(٥) من كتاب معالم في الطريق - سيد قطب . الصفحات ١٩ - ٤٣ - ٤٤ .

من أجل هذا .. ما انقلب التجمع الحركي البسيط الى تجمع كامل وأعطى هذا التجمع العقد لله في التزام شرعه ونهجه ، حتى انبثقت اندولة من أعماقه بصورة بدل من الله وراحت الأنظمة والشرائع تتالى بنسق بديع فريد ..

ومما تقدم نرى ان للإسلام نهجاً خاصاً واسلوباً ذاتياً في إقامة دولته ، قد يختلف عن كل أساليب الارض او هو مختلف عنها حتماً .. فلا بد ، ونحن في صدد محاولة جديدة لاستئناف الحياة الاسلامية ، من دراسة النهج والاسلوب ، دراسة عميقة عسى أن نصير إليها في نهاية المطاف بإذن الله ..

\*\*\*

### أسلوب التجمع :

بدأ الرسول ﷺ دعوته عندما جاءه الأمر من الله ( يا أيها المذر قم فانذر وربك فكبر . ) ومما يروى انه قال لزوجته خديجة او كما قال ( يا خديجة من أدعو ومن ذا يستجيب ؟ ) لكن الأمر الجديد قد ملك عليه نفسه دفعه بقوة ومضاء الى الاتصال والتحرك فأمنت زوجته خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة .. ثم ابن عمه علي بن ابي طالب .. ثم صديقه ابو بكر بن ابي قحافة ثم عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، وطلحة ابن عبد الله . ثم ابو عبيدة بن الجراح وابو مسلمة والأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه ، وسعيد بن زيد وامراته فاطمة اخت عمر بن الخطاب واسماء بنت ابي بكر واختها عائشة وخباب بن الارت ، وعمار بن ياسر وصهيب الرومي<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن هشام ص ١١١ - ١١٢ .

وهكذا بدأ التجمع العضوي في الظهور ، عناصر شتى من بطون وأفخاذ وقبائل مختلفة . نساء ورجال صغار وكبار . فقراء وأغنياء أرقاء وأحرار وهذا أمر يخالف أبسط قواعد التجمع عند العرب . إنما هذا التجمع .. وتكاثر العدد حتى أضحي مجتمعاً ذاتياً يمكن ان تطلق عليه اسم التجمع الحركي البسيط الذي سرعان ما تحول - في الهجرة الكبرى - الى تجمع حركي كامل ، اي مجتمع إسلامي ذي سلطان ودولة .

ان هذا التجمع في أطواره الثلاثة : العضوي ، والحركي ، والكامل ، هو محور العمل الاسلامي الصحيح . وهو المنهج الذي اختطه الله سبحانه لتجسيد شرعته ، ولأول مرة في الوجود فهو ، إذن ، تجمع حركي ، تجمع فاعل ، تجمع هادف .

ومن الناحية التاريخية : بدأ التجمع العضوي بدعوة الرسول ﷺ زوجته خديجة ، والتجمع البسيط بدخول أعضاء التجمع الاول دار الأرقم ابن أبي الأرقم وبخروجهم منها في اعلان عام وإنباء عن تجمعهم الجديد . وأما التجمع الكامل فبهجرة المسلمين الى المدينة حيث التقوا مع التجمع الحركي البسيط الذي نشأ هناك بعد التجمع العضوي . فتأمل التجمعان في تجمع واحد في مجتمع واحد .

ومن الناحية الموضوعية .. فإن التجمع العضوي هو التجمع الأهم والقاعدة التي يرتفع عليها التجمع البسيط والتجمع الكامل .. فالكامل في القمة يتضمن الحركي والعضوي أي أن العضوي يعد دائماً الحركي بعناصر فاعلة « نظفت » نفسها واستسلمت للمشيئة المطلقة فيوصلها هذا أي التجمع الحركي - بعد التجربة والاختبار - الى التجمع الكامل حيث تنعم بالطمأنينة والاستقرار .

## في التجمع العضوي وعبي الذات وبدء التحول والانقلاب :

ان أهم صفة في التجمع العضوي انه تجمع فردي ، أفراده انخلعوا من ربة الجاهلية ، من البيئة التي يعيشون فيها ، فالتقوا فيما بينهم سرأ ، أي دون ان يعرف بلقائهم أحد فهم أشبه بالتجمع السري ، ينشط في الحفاء ويعمل بعيداً عن مراقبة « الآخرين » .

والحركة بهذا المعنى ، جزء لا يتجزأ من العمل العام ، لذلك فان التجمع العضوي يبقى مع التجمعين الحركي والكامل ، وان اتخذ شكلاً آخر واسلوباً آخر . أي ان الاحتكاك الفردي الذي يسعى الى الإقناع ، بالمناقشة والحجاج ، يهدم « الماضي » الملوث وبناء « الجديد » الطاهر ، هو منهج التجمع ولا يصح تجمع دونه ... ولا بد في هذا التجمع من « وعبي الذات » بمعنى أن يعي كل عضو ذاته يعي وجوده ، ويقدر الخطوة التي يخطوها إذ أنه مدعو الى تغيير حركة التاريخ ولا بد من دفع الثمن .

وعندما يتكامل هذا التجمع العضوي يدرك ضرورة انقلابه الى تجمع حركي ينبثق في قلب المجتمع الجاهلي ويعمل في حركة علنية ، لاشمار المجتمع الجاهلي بوجوده وعندما يتم هذا الانقلاب فلا بد ، عندئذ ، من دفع الثمن ، ضريبة الاختبار والتجربة ، وهي بذاتها قوة خاصة دافعة لتكامل التجمع البسيط وتحوله الى تجمع كامل الى مجتمع اسلامي .

## التجمع العضوي في مكة :

وهذا ما كان في مكة ، وينطبق أيضاً الى حد بعيد على عهد المدينة . ففي مكة بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام بالاحتكاك الفردي بالحركة العضوية بالعمل السري ، فاستجاب له من استجاب ممن ذكرنا .

وما ان توافرت لرسول الله ﷺ هذه العناصر الواعية ، حتى قرر «التجمع» في دار الأرقم بن ابي الأرقم ليقوم بأخطر عمل داخلي ، بتربية وتكوين جماعيين . فهؤلاء الذين هدام الله به مؤمنون جدد ، حديثوا العهد بالاسلام وقربيو الصلة بالجاهلية ، هؤلاء وهم يواجهون محنة مشتركة وبلاء واحداً بحاجة ماسة الى ترابط تحت سقف واحد يجتمعون فيتباحثون ، يلتقون فيرتشفون من نبع النبوة البكر الايمان العميق والأدب الرصين واسلوب الدعوة الصحيح .

وعكف رسول الله ﷺ في دار الأرقم على تربية وتكوين الطليعة المؤمنة واستمر عدد هذه الطليعة في ازدياد حتى بلغ تسعاً وثلاثين .. عندها شعر رسول الله ﷺ بدنو نهاية مرحلة التخفي ، وأدرك ضرورة الاعلان ومواجهة الناس .. إلا أنه كان ينتظر رجلاً أنيط بإسلامه توقيت مرحلة العلنية ( التجمع البسيط ) رجلاً يعز به الاسلام فتنتهي مرحلة الاستخفاء .

من أجل هذا .. دعا رسول الله ﷺ ، وسأل ربه فيما رواه الترمذي ان يعز الاسلام بأحب الرجلين إلية : بأبي جهل او بعمر بن الخطاب . وكذلك كان .. فأسلم ابن الخطاب عند اخته وانتقل الى دار الأرقم فجهر بإسلامه ، أمام من ينتظره ، أمام رسول الله .

اعلان التجمع الحركي :

« وكان اللقاء الأول ... »

« وكان ان قال عمر: يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا . فقال ﷺ : بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حيتم »

« قال عمر : ففيم الاختفاء .. والذي بعثك بالحق لتخرجن . » (١)  
في هذه اللحظة الحاسمة ، ولد التجمع البسيط ، العلني ، وأخذ الصراع  
مع المجتمع الجاهلي شكلاً جديداً شكل التحدي ، وشكل الثبات .  
ومع ان الاحتكاك التجمعي كان قاسياً وشديداً فان التجمع البسيط  
حاول ان يوجد تجمعات مماثلة هنا وهناك . فكانت الهجرة الى الحبشة ،  
والاتصال بالطائف ، وبالقبائل ، وبالوافدين الى مكة .

وفي المدينة أيضاً تجمع عضوي فحركي فكامل :

وحملت هذه المحاولات عوامل النجاح . فاستجاب نفر من المدينة لا  
يتجاوز الستة عادوا لبدأوا التحرك من البدء من التجمع العضوي من السرية ،  
حتى إذا بلغوا سبعين رجلاً او أكثر انقلبوا الى تجمع علني . وأتوا رسول الله  
في مكة معاهدين مبايعين .

وكان لا بد ، وقد تكامل التجمع البسيط في كل من مكة والمدينة ، من  
تلاحمها واتصالهما . وبدأت الهجرة ، وتحول التجمع المعلن الى تجمع كامل  
وأعلن رسول الله ﷺ ميلاد التجمع المسلم ، فخطب مسلمي مكة أعضاء  
التنظيم التجمعي ( ان الله عز وجل قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمنون بها . ) (٢)

\*\*\*

---

(١) من مقال للمؤلف نشر في مجلة المجتمع اللبنانية العدد العاشر السنة الرابعة سنة ١٩٦٥ .  
ولقد جاء في حاشية السيرة لابن هشام « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبي  
الأرقم مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها الى الاسلام في أول الاسلام حتى خرج عنها  
وكانت دار الأرقم بمكة على الصفا فاسلم فيها جماعة كثيرة وكان رسول الله في الدار حتى تكاملوا  
اربعين رجلاً مسلماً وكان اخرهم اسلاماً عمر بن الخطاب فلما تكاملوا اربعين رجلاً خرجوا وجاء  
في سير اخرى ( ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان في صفين عمر في احدهما وحزرة في الآخر ) .

(٢) ابن هشام مجلد واحد - دار الريحاني ص ٢٣٦



## شروط ومواصفات التجمع :

ولكل من هذه التجمعات شروط ومواصفات وخصائص تضافي على كل تجمع قيمة حركية فاعله مختلفة عن الأخرى . ولو ان كلا منها حلقة في سلسلة البناء .

فشروط الانتساب للتجمع العضوي الانسلاخ العقيدي عن المجتمع الجاهلي وعن كل أفكاره وتصوراته .

ومواصفات الاندماج في التجمع العلني البسيط التحدي ومواجهة المجتمع الجاهلي بالتصور الاسلامي الجديد .

وخصائص الحياة في المجتمع الكامل ، في المجتمع الاسلامي ، الخضوع المطلق لكافة أحكامه وأنظمتها وتشريعها .

\*\*\*

## التحول الخطر :

ولا ريب أن أصعب مرحلة هي مرحلة التجمع العضوي ، فهو التحول الخطر في حياة الانسان ، وليس يسيراً - على الانسان - من حيث المبدأ - ان يتحول عن عادات وتقاليد وأفكار وتصورات الى عقيدة جديدة ومنهج جديد . دون ان يعمق النظر ويدرك الأبعاد ويراجع رصيده مراراً ويدقق في حساباته تكراراً .

وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : ( ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من ابي بكر بن ابي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه <sup>(١)</sup> .

---

(١) سيرة ابن هشام مجلد واحد ص ١١١ والكبوة - هنا تخلف وتردد.

حتى علي بن ابي طالب وهو الصبي الصغير والمكفول من قبل النبي ﷺ استمهل في قبول الدعوة الجديدة . فقد دخل علي فجأة على النبي وخديجة - وكانا يصليان - فوقف .. دهشاً حتى أتتا صلاتها ثم سأل: لمن تسجدان؟ فأجابه محمد ﷺ، أو كما قال : إنما نسجد لله الذي بعثني نبياً وأمرني أن أدعو الناس إليه . ودعا محمد ابن عمه الى عبادة الله وحده ، لا شريك له ، والى دينه الذي بعثه به نبياً والى إنكار الأصنام من أمثال اللات والعزى .

« وتلا محمد ما تيسر من القرآن ، فأخذ علي عن نفسه ، وسحره جمال الآيات وأعجازها ، واستمهل ابن عمه حتى يشاور أباه .

« ثم قضى ليلته مضطرباً حتى اذا أصبح أعلن إليها أنه أتبعها من غير حاجة لرأي ابي طالب .

« وقال : لقد خلقني الله من غير أن يشاور أبا طالب ، فما حاجتي انا الى مشاورته لأعبد الله (٢) .

### ظلال لا اله الا الله عند انسان الجاهلية :

وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقدر صعوبة هذه المرحلة من أول يوم جاءه الأمر ببدء الدعوة فقد قال أو كما قال : ( انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرني جبريل ان أنذر الناس وأن أدعوم الى الله وان أدعوم الى عبادته فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيب لي ؟ ) (١)

وهذا الأمر جد طبيعي .. فلفظة ( لا اله الا الله ) التي يطلبها النبي ﷺ من انسان الجاهلية .. تعني قبل كل شيء انقلاباً جذرياً في أعماقه ،

(١) حياة محمد - محمد حسين ميكل ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) حياة محمد - ص ١٣٦ .

فهي ثورة في مفهوم العبودية والخضوع .. وهي انسلاخ كامل عن قيم المجتمع الذي عاش فيه ، وهي عزلة عقيدية شاملة عن التصورات القديمة مع ما تخلفه من عادات وأسابيل وهي - بعد ذلك كله - نقلة حاسمة الى آفاق جديدة والى تطورات جديدة .

وقد أدرك « انسان الجاهلية » هذه الضلال جميعاً عندما كان يطالب بالتلفظ بلا اله إلا الله .. كشرط للانتساب الى التجمع العضوي الجديد ، لذلك فقد تردد لكن تردد تفكير وتفاعل .. حتى اذا ما أعلنها ، التزم بها التزاماً كلياً حسب منطوقها ومدلولها ووفق ظلالها وإيحاءاتها .

فها هو يرفض بقوة وإصرار المجتمع الجاهلي كله بكل ما فيه من قيم وتصورات ، وها هو يخضع بكل أعماقه وقواه الى التجمع العضوي الجديد ينهل منه منهجاً جديداً يحكمه في كل شؤونهِ ويلتزمه في كل أموره .

#### العزلة الشعورية عند المسلم الجديد :

« لقد كان الرجل حين يدخل في الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية . كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها الى الاسلام انه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية . وكان يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف الذي يحس ان كل هذا رجس لا يصلح للاسلام وبهذا الاحساس كان يتلقى هدى الاسلام الجديد .

« كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في اسلامه نشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية فهو قد انفصل نهائياً عن بيئة الجاهلية واتصل نهائياً ببيئته الاسلامية .

وحتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر .

« وكان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ومن تصور الجاهلية الى تصور الاسلام عن الحياة والوجود . وينشأ من الانضمام الى التجمع الاسلامي الجديد بقيامته الجديدة ومنح هذا التجمع وهذه القيادة كل ولائه وكل طاعته وكل تبعيته » (١) .

ويأتي بعد التجمع العضوي السري الأولي، التجمع العلني الحركي البسيط ، الذي لم يستكمل بعد أركان التجمع الكامل ، المجتمع الاسلامي .

وقلنا هذا التجمع الناشئ عن التجمع العضوي والمنبثق في قلب المجتمع الجاهلي لا بد له من التحرك في محاولة مزدوجة : إزالة المجتمع الجاهلي ، وتكامله هو لينقلب الى مجتمع إسلامي كامل .

انتجمع الحركي يكشف الهوية  
في مجابهة مكشوفة مع المجتمع الجاهلي :

والحقيقة ان لهذا التحرك العلني - بمعنى الاحتكاك الفعلي مع المجتمع الجاهلي - غاية أخرى ضمنية أي داخلية ، وهي تعميق تربية وتكوين أعضاء التجمع ، فالعضو الذي استوفى شرطه وأعلن لا اله إلا الله من أعماقه وانسلخ عن المجتمع الجاهلي واعتزل شعورياً ووجدانياً .. لا بد له من تجربة عملية بعد اعلان هذه العزلة . وهذه التجربة تتحدد بالتحدي وبالمواجهة الفعلية ، باعلان تصورات الجديدة وتقويمه الجديد للكون والانسان والحياة والحوادث والأفعال ولكل شيء في الوجود ، وبمعنى شامل ، كشف هويته الاسلامية الجديدة .

---

(١) معالم في الطريق . سيد قطب ص ٢٠ - ٣١ .

هاتان الغايتان: اعلان التجمع في محاولة الهدم والبناء ، وتعميق التكوين  
لعضو التجمع ، يمكن جمعها في لفظة المجابهة ، مجابهة المجتمع الجاهلي بحركة  
جماعية تعتمد المجابهة الفردية أساساً .

### المجابهة بين التجمع الحركي والمجتمع الجاهلي :

وحركة المجابهة هذه مرحلة خطيرة في حياة التجمع والأفراد .. فالمجتمع  
الجاهلي ، بعملية الدفاع عن وجوده ، سيقوم بحركة مجابهة عكسية معتمداً  
على سلطانه ومستخدماً كافة الأساليب : القتل والتشريد .. التعذيب  
والتضييق .. الاستهزاء والتنديد .. وأيضاً الاغراء والترغيب . من أجل  
هذا كانت المجابهة عملية خطيرة تستدعي كثيراً من الدقة والحذر ومزيداً من  
الوعي والملاحظة بيد أن الذي يضمن نجاحها ، خاصة بالنسبة لثبات الأفراد ،  
توافر شرط الانتساب للتجمع بكل مدلوله وعمقه .

ولقد ملئ العهد المكي - بعد المرحلة الأولى - بصـرر جلية واضحة  
لحركة المجابهة هذه .. فهؤلاء أعضاء التجمع العضوي يخرجون من دار الأرقم  
ابن الأرقم صفيْن اثنين على رأس أحدهما عمر بن الخطاب وعلى الثاني حمزة ابن  
عبد المطلب ويقصدون الكعبة لتأدية الصلاة .

وكان هذا الخروج أول مظهر عملي لإعلاني لقيام تجمع حركي في قلب  
المجتمع الجاهلي . وأراد ابن الخطاب - وهو صاحب فكرة إنهاء التخفي وعلان  
التجمع العضوي ومصادقاً لقوله تعالى واصدع<sup>(١)</sup> بما تؤمر وأعرض عن  
المشركين - ان يقوم فور اسلامه بعملية تحدي فردية .

فقال ( لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله عداوة  
حتى أتتني فأخبرته أني قد أسلمت . قلت : ابو جهل .. قال : فأقبلت  
حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه قال : فخرج أي ابو جهل .

---

(١) في تفسير القرطبي : اصدع بمعنى أظهر دينك .

فقال : مرحباً وأهلاً بابن اختي ما جاء بك ؟

قلت : جئت لأخبرك اني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال فضرب الباب في وجهي وقال « قبحك الله وقبح ما جئت به »<sup>(١)</sup> .  
« فت إسلام عمر في عضد قريش ان دخل في دين الله بالحمية التي كان يجاربه من قبل بها ولم يخف إسلامه ولم يستتر بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاثلهم في سبيله .. وأيقنت قريش ان ما تنال به محمداً وأصحابه من الأذى لن يحول دون اقبال الناس على دين الله ليحتموا من بعد ذلك بعمر وحمة او بالحبة او بمن يقدر على حمايتهم فائتمرت من جديد ماذا تصنع واتفقوا فيما بينهم وكتبوا كتاباً تعاقدا فيه على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة فلا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، وعلقوا صحيفة هذا العقد في جوف الكعبة توكيداً او تسجيلاً .

« وكان أكبر ظنهم ان هذه السياسة السلبية سياسة التجويع والمقاطعة ستكون أفعال الأثر من سياسة الأذى والاعنات وان لم ينقطعوا عن الاعنات ولا عن الأذى واقامت قريش على حصار المسلمين وحصار بني هاشم وبني عبد المطلب سنتين او ثلاثاً ترجو خلافاً أن تصل من محمد الى اعتزال قومه إياه فيعود وحيداً ولا يبقى له ولا لدعوته من خطر . فأما محمد فلم يزد ذلك إلا اعتصاماً بجبل الله ولم يزد أهله والذين آمنوا به إلا زوداً عنه وعن دين الله »<sup>(٢)</sup> .

« وكان رسول الله ﷺ يعطي أصحابه - أعضاء التنظيم - القدوة الصالحة في مجابهة المجتمع الجاهلي لكل قيمه وأفكاره وتصوراته في تحمل النتائج التي تترتب على هذه المجابهة الصريحة .. ( حدثني يحيى بن عروة بن الزبير قال :

(١) ابن هشام - ص ١٦٢ .

(٢) حياة محمد - ص ١٦٨ - ١٦٩ .

حضرتهم - أي قريش - وقد اجتمعت أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سفه أحلامنا وشم أبائنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا .. فبينما هم في ذلك طلع رسول الله فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون : انت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم .  
فيقول رسول الله : « نعم أنا الذي أقول ذلك » .

قال فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بجمع رداءه ، قال فقام أبو بكر عنه دونه وهو يبكي ويقول : أقتلون رجلاً ان يقول ربي الله (١) .  
وانطلق أعضاء التجمع يحاربون مجتمع الجاهلية ويتحدونه في كثير من الأمور حتى وقعت أحداث كبار أضفت على تاريخ الحركة مهابة وجلالاً (٢) .

\* \* \*

القرآن يحابه الجاهلية فيتمضي على تصورها  
ويقرر قواعد التصور الجديد :

ولقد واكب القرآن حركة المجاهبة - طيلة فترتها - وجابه هو بدوره الجاهلية فهدم وبنى وأجث جذور الجاهلية من نفوس أعضاء التجمع وأصل فيها العقيدة صافية شائعة .

لقد كان القرآن في مجابهته للجاهلية يسمى لإظهار زيفها وباطلها وسخفها ودجلها .. يدحض ادعاءاتها ويهدم تصوراتها ثم يقرر النظرة الجديدة ، العقيدة الجديدة ، الموقف الجديد .. والقرآن - بهذا المعنى - كان ينشئ عند أعضاء التجمع وعياً خاصاً للحياة ومنهجاً خاصاً للوجود وتصوراً خاصاً للقيم والانسان .

---

(١) سيرة ابن هشام - ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) لولا مخافة الخروج عن موضوعية البحث والتطويل لأثبتنا كثيراً من هذه الأحداث ويمكن مراجعة السير للوقوف على المزيد .

ولا يقبل القرآن ان ينازعه أحد في هذا الانشاء ، او ان يحاكمه الى مقررات سابقة ، فهذه المقررات جميعها مقررات جاهلية يجب ان تقتلع من النفوس والعقول ولا يجوز بالتالي ان يحاكم إليها تنزيل رب العالمين ( ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير )<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان القرآن يفيد من العزلة الشعورية للمسلم الجديد فيثبت عنده ما يريد من منهج الحياة .. من أجل هذا كان للقواعد العقيدية والسلوكية ومواقف القرآن المختلفة شأن كبير ودور خطير في انتصار التجمع العلي على المجتمع الجاهلي وفي إيجاد المجتمع المسلم ذي السلطان والدولة . إذن كل هذه « القواعد » كانت تشير دوماً الى ضرورة الانتقال للتجمع الكامل حيث الحاكمية المطلقة لله . فهي إذن قواعد مقرررة مدربة مهيئة منبئة .. وهي ، في الوقت نفسه ، قواعد ذات شأن كبير في الحياة على امتدادها.

ففي ميداني العقيدة والحركة أنشأ القرآن تصوراً إيمانياً رفيعاً بعد أن دحض مزاعم المشركين خلال مناقشته لتصوراتهم الفاسدة

## ١ - في العقيدة :

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خيرٌ أما يشركون أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إلّاه مع الله بل هم قوم يعدلون أمّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إلّاه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون، أمّن يحيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلهم خلفاء الأرض إلّاه مع الله قليلاً ما تذكرون ،<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة لقمان الآية ٣١ .

(٢) من سورة النمل - الآيات ٥٩ - ٦٤ .



وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم والية ترجعون  
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله  
يأتاكم بضياء أفلا تسمعون .

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من إله غير  
الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تصبرون » القصص ٧٢ .

## ٢ - الرسول بشر :

وحرص القرآن ان ينبه الناس كل الناس ، الى أبعاد شخصية الرسول  
وان يؤكد على بشريته والى انه رسول وكفى !!

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو  
لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » الكهف ١١٠ .

« قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون » الأنبياء ١٠٨  
« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » الحج ٤٩ .  
« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان ١

## ٣ - الجاهليون 'حمر' مستنفرة :

ويصف القرآن الجاهليين الذين رفضوا الايمان والاسلام ويشبههم ( كأنهم  
حمر مستنفرة فرت من قسوره ) ويقول :

« قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » .  
« أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر  
أولو الألباب » الرعد - ١٨ - ١٩ .

« والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من  
مكان بعيد » .

« ويل لكل أفاك اثم يسمع . آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم

يسمعا فبشره بعذاب أليم. وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . من وراءهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم . الجاثية ٦ - ١٠

#### ٤ - المؤمنون مفلحون :

ويصف المؤمنين ، الذين استجابوا لله وللرسول ، أعضاء التجمع بقوله :  
« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون » . المؤمنون ١ - ٤ .

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله ، لهم البشري فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » الزمر ١٧ - ١٨ .

#### ٥ - المقابلة بين التجمعين :

ويقابل القرآن بين أعضاء التجمع وبين أصحاب مجتمع الجاهلية فيقول:  
« أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » الملك ٢٢ .

« أم يحسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكون » . الجاثية ٢٠  
« وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون » المؤمن ٥٨ .

« أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » الزمر ٩

#### ٦ - الصراع بين التجمعين :

ويثبت القرآن مشهداً للصراع بين التجمعين .. فيظهر من خلال هذا

المشهد استبداد الجاهلين وقوتهم وعنفوانهم وصبر المؤمنين وعنادهم وثباتهم :  
« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون  
واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهن ، واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضانون .  
وما أرسلوا عليهم حافظين فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على  
الارائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يعملون » المطففين ٢٩ - ٣٥ .

#### ٧ - قواعد للسلوك تمهد لمجتمع مسلم :

وعنى القرآن بتربية أعضاء التجمع ، وهم في قلب الصراع ، على مجموعة  
من القواعد الخلقية والاجتماعية والمسلكية والتنظيمية . وكأن هذه القواعد  
- كما ذكرنا - منبئة بمجتمع مسلم كامل تمارس فيه هذه القواعد وسواها حيث  
لا تكون الحاكمة فيه إلا الله سبحانه .. فهذه القواعد التي احتفل بها القرآن  
المكي لم تأت عبثاً إنما جاءت - كما سنرى - لتثبت هذا المعنى أي لتهيء  
النفوس للانتقال الى المجتمع المسلم .. مجتمع الله .

#### ● ففي العائلة :

« وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك بي علم فلا تطعهما  
وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم الى مرجعكم  
فأنبئكم بما كنتم تعملون » لقمان ١٥

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك  
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً »  
الأسراء ٢٣

« ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً  
كبيراً » الأسراء ٣١

« والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم  
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » المؤمنون ٥-٧

## ● وفي القواعد السلوكية والاجتماعية :

- « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً »  
« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً » .  
« ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً » .  
« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأريلاً » .  
« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » .  
« ولا تمس في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » .  
« كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » سورة الاسراء الآيات ٣٢ - ٣٩ .

## ● وفي النظرة الى الدنيا والانفاق :

- « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » الاسراء ١٨ .  
« وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً » الاسراء ١٢ .  
« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات ١٩ .  
« فآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل . ذلك خير للذين يريدون

وجه الله وأولئك هم المفلحون وما أتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تربدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ،  
الروم ٣٨ - ٤٠ .

### ● وفي قواعد التنظيم العامة :

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » الشورى ٢٨ .

« وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب » الشورى ١١ .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

« وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون » النحل ٩٠ - ٩١ .

وكلمة أخيرة في هذا الصدد نأخذها من التفسير الحديث للاستاذ محمد عزة دروزة أثبتتها تعليقاً على وصايا سورة الاسراء المشار إليها أعلاه فقال :

« من الجدير بالذكر ان الأوامر والوصايا جاءت بأسلوب الترغيب والتحذير والترهيب دون التشريع لأن هذا إنما كان في العهد المدني الذي صار للمسلمين فيه دولة برئاسة النبي ﷺ وعلى ذلك فمعظم ما نزل فيه تشريع مدني من المحذورات والمحظورات والواجبات والتكاليف قد ذكر بأسلوب الترغيب والتحذير في القرآن المكّي حيث ينطوي في هذا أن أسس الرسالة الإسلامية ومحكماتها أصلية وطيدة منذ البدء » (١) .

### ٨ - الوعي السياسي :

وأفاد القرآن من الظروف الدولية لتعميق الوعي السياسي في أعضاء

---

(١) التفسير الحديث الجزء الثالث ص ٣٣٢ .

التجمع ولزجهم في تحديات سياسية مع المجتمع الجاهلي رغبة في تصور سليم للأحداث والوقائع وتهيئة لهم في دخول معترك السياسة على صعيد دولة . لما نزلت « آلم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » . سورة الروم - كانت فارس - فيما رواه الإمام الترمذي . قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى : « يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآيات خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة : ( آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين ) فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم . زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال : بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر والمشركون وتواصفوا الرهان وقالوا لأبي بكر نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه قالوا فسموا بينهم ست سنين .

قال فمضت ست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما وصلت السنة السابعة ظرت الروم على فارس . قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين قال لأن الله يقول بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير (١) .

٩ - التجمع على العقيدة لا على العصبية :  
وكلمة أخيرة في التجمع الحركي .

---

(١) من حديث للترمذي ذكره ابن كثير في تفسيره الجزء الثالث ص ٤٢٣ .

ان اسلوب التجمع الذي اتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام كان اسلوباً جديداً مرفوضاً بحذ ذاته من العرب فهؤلاء قد اعتادوا على اسلوب التجمع العصبي في تجمع عصبي في قبيلة أو فخذ أو بطن .. فللنسب شرف ، وللثراء قدر ، وللجاء نفوذ ولا يجوز على أي حال أن يلتقي ، في مساواة ، عبد وسيد ، فقير وغني . فعندما دعا النبي عليه الصلاة والسلام بدعوته جاعلاً التفاضل بالإيمان لا بالعصبية وبالتقوى لا بالمال كان بذلك يُرسي قواعد للتجمع جديدة أساسَ المجتمع الاسلامي المنشود .

ولقد واجه التجمع الجديد انتقادات لاذعة من أشرف قريش والقبائل إلا أنه تخطاها بثبات وعناد .. فكان هذا التجاوز تجربة حية ناجحة في تجمع كامل يقوم على صعيد العقيدة ، فأعضاء التجمع في مكة شعروا فيما بينهم على اختلاف ما هم فيه من نسب وثراء وشرف ، بوحدة عقيدية قوية أضفت على ترابطهم قوة هي أقوى من أي رباط قديم .

وكان هذا الشعور منبث لكثير من التعاطف والمودة والتضحية فيما بينهم حتى غدوا جسداً واحداً اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

هذه التجربة أخصبت نفوس العرب وأكدت لهم أن التجمع الحق لن يقوم إلا على العقيدة . ففدا هذا التجمع ، بهذا المعنى أيضاً ، ضرورة تهديدية كبرى لا بد منها قبل إقامة التجمع الكبير .

على التجمع درس ظروف المكان والزمان والافادة منها:

أشرنا سابقاً الى ان التجمع الحركي يحاول ، وهو في قلب الصراع مع المجتمع الجاهلي ايجاد تجمعات مماثلة له في أماكن متعددة. من أجل هذا كانت الهجرة الى الحبشة ، والاتصال بالقبائل والانتقال الى الطائف وملاقاة الوافدين الى مكة ..

والتحرك - على هذا المستوى - ضرورة لا مفر منها . بيد أن ظروف

المنطقة في ذلك الحين - ساعدت عليه . فمن حيث المبدأ ، لا تأثير لقبيلة على أخرى ولا لمدينة على أخرى ، فكل مستقل بذاته ، يقرر ما يراه مناسباً . هذا الظرف فاد منه التجمع الحركي للمدى البعيد . ولا بد لكل تجمع ان يفيد من ظروف زمانه ومكانه في تخطيط حركته ضمن الدوائر التي يرسمها ويهدف لتحقيقها .

وكان ان التقى الرسول عليه الصلاة والسلام بنفر من يثرب جاؤوا في موسم الحج الى مكة فقال لهم « من انتم » ؟ قالوا : نفر من الخزرج ؟ قال اِمن موالي يهود قالوا نعم قال « أفلا تجلسون اكلمكم قالوا : بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ... فاسلموا .. وقالوا له « انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى ان يجمعهم الله بك فسندقم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبتاك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك » ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا<sup>(١)</sup>.

وانتظر الرسول عليه الصلاة والسلام رد فعل الستة في يثرب ، كاختبار حقيقي لها.. فاذا العام القابل يحمل معه اثني عشر رجلاً، من اوس وخزرج، يبابعونه على الاسلام ، عند ذلك أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام قابلية البيئة لترعرع العقيدة .. فكان لا بد من تركيز و« تنظيم » التجمع الجديد فارسل موفداً من أعضاء تجمعه في مكة ، مصعب بن عمير ( يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين )<sup>(٢)</sup> ثم كان لقاء العقبة الكبرى.. مع اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين من أهل يثرب من الاوس والخزرج فتأكد عند الرسول ، أمر لا يقبل الشك : ان التجمع في المدينة قد قام، فها هي العقيدة قد الفت بين الاعداء وصهرتهم في بوتقة تجمعية واحدة تسوسهم فكرة واحدة وترعاهم قيادة واحدة ..

---

(١) ابن هشام ٢١٨ مجلد واحد دار الريحاني .

(٢) المرجع السابق ص . ٢٢ .



في هذه اللحظة اختتم مبدأ التلاحم بين التجمعين تجمع مكة وتجمع يثرب في قلب يثرب. وعبر عن هذه الفكرة العباس عم الرسول، فقال مخاطباً تجمع يثرب ( ان محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وانه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللاحق بكم فان ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده ).

واكد الرسول عليه الصلاة والسلام حديث العباس وأشار الى انتقاله الى يثرب وطلب الالتزام بالعهد والميثاق ( أبايعكم على أن مما تمنعون تمنعوني منه نساءكم وأبناءكم ) (١) .

« قال ابن اسحاق : فلما أذن الله تعالى له في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصر له ولمن تبعه ، أمر الرسول أتباعه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللاحق باخوانهم من الأنصار وقال : ( ان الله عز وجل قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون بها ، فخرجوا ارسالاً وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة » (٢) .

والتقى التجمعان في يثرب ، لكنها بقيا تجمعين ولم يتحولا الى مجتمع مسلم لأن القيادة لا تزال غائبة ، وبوجودها يتم التكامل في التجمعين ويعلن ميلاد المجتمع المسلم ، إذ إن التكامل يعني سلطة وقيادة دولة وسيادة ...

وانتقل الرسول فولد المجتمع المسلم بكل خصائصه ومميزاته ، بكل مواصفاته ومقوماته . وبادر القائد لاتخاذ التدابير الكفيلة برعاية هذا المجتمع

---

(١) ابن هشام ٢٢١ - ٢٢٨ .

(٢) ابن هشام ٢٣٦ .

الوليد وتطويره وتنسيقه وفق الأهداف الكبرى التي ارتسمت بالعقيدة من أول يوم ...

فأول ما قام به حلّ التجمين ، وهذه هي أبعاد الإخاء الذي حققه بين أعضاء التجمين المهاجرين والأنصار ...

ثم أسس دار السيادة فابتنى المسجد للصلاة والحكم معاً ، وبعد ان أخذ العهد والميثاق من الجميع مسلمين ويهود<sup>(١)</sup> ، أعلن ميلاد الدولة التي تسوس الجميع باسم الله ، كبديل من الله للناس .

« هذا هو المجتمع المسلم ، المجتمع الذي تتمثل فيه العبودية لله وحده في معتقدات أفرادهِ وتصوراتهم كما تتمثل في شعائره وعبادتهم كما تتمثل في نظامهم الجماعي وتشريعاتهم<sup>(٢)</sup> ...

« ان هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده ، وانها لا تدين بالعبودية لغير الله . . لا تدين بالعبودية لغير الله في الاعتقاد والتصور ولا تدين بالعبودية لغير الله في العبادات والشعائر . . ولا تدين بالعبودية لغير الله في النظام والشرائع . . ثم تأخذ بالفعل في تنظيم حياتها كلها على أساس هذه العبودية الخالصة . . تنقي ضمائرَها من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله - معه أو من دونه - وتنقي شعائرها من التوجه بها لأحد غير الله - معه أو دونه - وتنقي شرائعها من التلقي عن أحد غير الله - معه أو من دونه »<sup>(٣)</sup> وقد وجدت هذه الجماعة من الناس . . فقام المجتمع المسلم .

التشريع : ضبط الارتباط بالله :

ان المجتمع - ذا السيادة والسلطان - وهو يواجه « حاجات » مستجدة

---

(١) سنتكلم عن هذا العهد بعد قليل .

(٢) معالم في الطريق ص ١١٦ .

(٣) المعالم ١١٧ .

لا بد له من تشريع وأحكام وتنسيق وتنظيم . . أو بمعنى آخر . . لا بد من « ضبط » الارتباط بالله ذلك الضبط الذي نشأ في أعماق هذا التجمع الكامل وعمل على تنميته وتطويره والمحافظة عليه . . فلا بد إذن من تبيان الحقوق والواجبات والاهداف والفائيات ولا بد من أوامر ونواه وحدود وقصاص وأنظمة وقوانين في مختلف المرافق والمبادين .

وهكذا جاء دور التشريع القرآني أي تقرير قواعد الزامية ، بعد أن جاءت بصيغة خلقية ايمانية . وهذا الدور - بحد ذاته - من أهم الأدوار في تأصيل مفهوم الدولة في وعي المجتمع والناس . . فإله سبحانه الذي يتوجه اليه المجتمع بالعبادة والشعائر توجه هو الى هذا المجتمع بنظام ومنهج حياة . وبدأ المجتمع المسلم الناشئ يتلقى عن الله سبحانه أصول التنظيم والحكم فيحيلها مباشرة الى واقع تنفيذي ، دون تردد أو نظر . . وهكذا . . وما ان مرت سنوات عشر حتى أتم الله دينه وشرعه وارتضى الاسلام للناس منهج حياة وتمت كلمة ربك حقاً وعدلاً .

\*\*\*

وجدت دولة « الاسلام » بوجود المجتمع المسلم . . وهذه حقيقة لا يمارى فيها . . بيد أن الاعلان عنها كدولة تمارس وجودها الفعلي في السيادة ، لم يكن دفعة واحدة بل مر في أطوار ثلاثة :

- الطور الاول : وهو طور الاعلان الداخلي .
- والطور الثاني : طور الاعلان الاقليمي .
- والطور الثالث : طور الاعلان العام او الدولي .

#### ١ - الاعلان الداخلي موثق المدينة :

ان الاعلان الداخلي لوجود الدولة كان بتقرير الارتباط بقيادة تتبع منهج الله . وهذا التقرير صدر عن جميع ابناء المجتمع بشكل موثق وعهد ..

ولقد كان هذا الاعلان ، من اهم ما سعى اليه الرسول عليه الصلاة والسلام فور دخوله المدينة ، فكتب بين المهاجرين والانصار من جهة ، واليهود الآخرين من جهة أخرى كتاباً يعد أخطر وثيقة في اعلان الدولة بين أبناء مجتمع واحد<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) لأهمية هذه الوثيقة أردنا اثباتها هنا بعد ان وزعناها على أبواب تبعاً لموضوعاتها وقد جاءت في كتب السير ( سيرة ابن هشام ) على غير هذا الترتيب :

### الباب الأول : في المبادئ العامة

#### ١ - وحدة الأمة :

- هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم - بين المؤمنين والمسلمين، من قريش ويثرب، ومن تبهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس ،  
وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .  
وان يهود بني عوف . . ( ايضاً بقية اليهود كما سنرى ) امة مع المؤمنين .

#### ٢ - السيادة والحاكمة :

وانكم مها اختلتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم  
وان ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساد فانه مرده الى الله عز وجل  
والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ٣ - الانتظام التام :

وان ذمة الله واحدة .  
وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .  
وان البر دون الاثم .  
وان النصر للظلوم .  
وان الله أصدق ما في هذه الصحيفة وابره .  
وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وان الله على ابر هذا .

=

## الباب الثاني : مبادئ في النظام الداخلي العام

### ١ - الحريات :

● حرية الاعتقاد .

لليهود دينهم والمسلمين دينهم ومواليهم وانفسهم الا من ظلم او اثم فانه لا يوقع ( يهلك ) الا نفسه وأهل بيته .

● حرية الإقامة والتنقل .

وانه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالدينة الا من ظلم او اثم .

### ٢ - حفظ الامن :

وان لا يحالف مؤمن مؤمن مولى مؤمن دونه .

وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ( العظيمة ) ظلم او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ان ينصر محدثاً ولا يؤذيه وانه من نصره او أواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

وان بينهم ( المؤمنين واليهود ) النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

وان بينهم النصر على من دهم يثرب .

وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم .

## الباب الثالث : في بعض الانظمة والتشاريح

### ١ - في الجريمة والعقاب وحرمة النفس :

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر .

وانه من اعتبط ( قتله بلا جنسية منه توجب قتله ) مؤمناً قتلًا عن بينة فانه قود ( اي فدية ) به إلا ان يرضى ولي المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا ينجل لهم الا قيام عليه .

المهاجرون من قريش على ربعتهم ( الحال التي جاء الاسلام وهم عليها ) يتعاقلون ...

### ٢ - في العدل والمساواة والشورى :

وان المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس .

وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

## ٢ - الاعلان الاقليمي : غزوة بدر

اما النطور الثاني في اعلان دولة الاسلام - وهو الاعلان الاقليمي أي الاعلان الذي يشمر اهل المنطقة بوجود قوة متماسكة ذات سيادة تمارس وجودها الفعلي وتقيم العلاقات والارتباطات - فقد أتى سريعاً بعد الهجرة بأشهر أي في رمضان من العام الثاني للهجرة . فقد دخل التجمع الاسلامي معركة مصير مع قريش خرج منها منتصراً مظفراً أشعر العرب قاطبة بوجوده وبثبوته وبقوته وسيادته وانه لن يسكت على من يظلم حتى يأخذ منه حقوقه كاملة غير منقوصة ..

---

وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم .  
وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم .

## ٣ - في الاقتصاد والتكافل :

المهاجرون من قريش .. يقدون عانيهم ( الأسير ) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .  
وان المؤمنين لا يتركون مفرماً ( معسراً ) بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل .  
وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم .

## ٤ - في العلاقات الخارجية : السلم والحرب

وان سلم المؤمنين واحدة لا يسلم دون مومن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .  
واذا دعوا الى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه ويلبسونه .  
وانه لا يحير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .  
وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا معاربين .  
وانه لا يحاز قريش ولا من نصرها .  
وان بينهم النصر على من دهم يثرب .

## أسماء من اشترك في توقيع الصحيفة

أ - المسلمون : قريش - بنو عوف - بنو ساعدة - بنو الحارث - بنو جشم - بنو النجار - بنو عمر وبن عوف - بنو النبيت - بنو الاوس .  
ب - اليهود : بنو عوف - بنو النجار - بنو ساعدة - بنو جشم بنو الاوس - بنو ثعلبة - بنو المشيطبة .

لقد كانت غزوة بدر - في حقيقتها - اعلاناً هاماً لوجود دولة الاسلام..  
فهذه قريش خرجت بخيلائها وجندها ورجالها ورفضت ان تعود - مع علمها  
بنجاسة القافلة - قبل ان ترد بدرأ فتقيم فيه ثلاثة ايام تنحر الابل وتعزف  
القيان وتشرب الخمر فتسمع بها العرب فلا يزالون يهابونها <sup>(١)</sup> . وهذا التجمع  
المسلم يجياعه وعراته وحفاته يدعوا ربه (اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم  
لا تعبد ..) <sup>(٢)</sup> . وتدور المعركة وينتصر التجمع .. ويحدث هذا الانتصار  
الضخم دويماً هائلاً تسمع به العرب فتتعرف من خلاله الى ميلاد هذا التجمع  
الجديد .. ميلاد الدولة التي تعرف كيف تتحرك ..

\* \* \*

### ٣ - الاعلان لعام مراسلة وجهاد :

وبأتي الطور الثالث . وهو تعريف العالم بوجود الدولة ، قوياً نابغاً من  
أعماق العقيدة والمبدأ . فدولة الاسلام قد انبثقت من لدن الله - في قلب  
جزيرة العرب - لتفيض على الانسان في كل مكان تصوراً وضبطاً وارتباطاً..  
ولتخرج الناس (من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الأرض الى سعتها..  
ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ..) <sup>(٣)</sup>  
بدأ هذا الاعلان - في السنة السابعة للهجرة - عندما ارسل عليه الصلاة  
والسلام كتباً الى امراء وملوك واباطرة ذلك الزمان يدعوم فيها الى الاسلام..  
ولعمري انه لإعلان دولي عن وجود دولة الاسلام الفتية ، ما بعده اعلان  
ولا اعلام ..

قال عليه الصلاة والسلام في كتابه ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن  
عبد الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى .

---

(١) من كلام لأبي جهل في غزوة بدر. راجع ابن هشام مجلد واحد ص ٣٤٧ طباعة الريحاني.

(٢) من دعاء الرسول يوم بدر . المرجع السابق ص ٣٥٤ .

(٣) من كلمات ربيعة بن عامر الى رستم ملك الفرس .

أما بعد :

فاني ادعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين فان  
توليت فانما عليك اثم الاربسين<sup>(١)</sup>.

« يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا  
نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا  
اشهدوا بأننا مسلمون » .

ولقد علق الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد على ذلك  
بقوله<sup>(٢)</sup> :

« كان هرقل وكسرى يومئذ على رأس دولتي الرومان والفرس أقوى دول  
العصر وصاحبتي الاملاء في سياسة العالم وفي مصائر اممه جميعاً ... ومن اليسير  
عليك اذ تذكر مكانة الدولتين ان تقدر ما يبعثه اسمها من الرهبة الى النفوس  
ومن الهيبة الى القلوب حتى لا تفكر دولة في التعرض لهما ولا يدور بخلد  
أحد ان يفكر في غير خطبة ودهما .. أما وذلك شأن دول العالم المعروفة  
يومئذ جميعاً فقد .. كان عجبياً ان يفكر محمد عليه الصلاة والسلام يومئذ في  
ان يرسل رسله الى الملكين العظيمين والى غسان واليمن ومصر والحبشة  
( وعمان واليمامة ) يدعوم الى دينه دون خشية — لما قد يترتب على عمله  
هذا من نتائج ربما تجر على بلاد العرب كلها الخضوع لنير فارس او بيزنطية ..

« لكن محمداً لم يتردد في دعوة هؤلاء الملوك جميعاً الى دين الحق بل  
خرج يوماً على أصحابه فقال ( أيها الناس ان الله قد بعثني رحمة للناس كافة ..  
ثم ذكر لهم انه مرسل الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الفساني ملك  
الحيرة والحارث الحميري ملك اليمن والى نجاشي الحبشة يدعوم الى الاسلام.

---

(١) يريد انه مسؤول عن اثم رعيته ؟ لننعه اياها عن الدين الجديد ؟

(٢) (٣) حياة محمد ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .



واجابه أصحابه الى ما أراد فصنعوا له خاتماً من فضة نقش عليه ( محمد رسول الله ) ..

ويترتب على هذا الاعلان أثره .. وتتحرك الدول للقضاء على دولة الاسلام فيهب التجمع الاسلامي معلناً بدء مرحلة جديدة في حياته : تحرير الناس ، كل الناس ، من عبودية غير الله وتخليص الأرض كل الأرض من كل طاغوت واخلاصها لله وحده ..

« ومن ثم لم يكن بداً للإسلام ان ينطلق في الأرض لازالة الواقع المخالف لذلك الاعلان العام .. بالبيان والحركة مجتمعين. وان يوجهه الضربات للقوى السياسية التي تعبد الناس لغير الله . أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه - والتي تحول بينهم وبين الاستماع الى « البيان » واعتناق « العقيدة » بحرية لا يتعرض لها السلطان ، ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي - بعد ازالة القوة المسيطرة . » (١).

ان دولة الاسلام قد انبثقت في قلوب المسلمين من اول يوم خلعوا فيه ربة الجاهلية ومن اللحظة التي انزلوا فيها شعورياً عن كل قيم المجتمع الجاهلي ..

ولقد نشأت بعد ذلك وترعرت في كل تجمع حركي .. وعندما ادرك التجمع انه يستطيع التحول الى مجتمع مسلم كامل ، تجسدت الدولة في واقع هذا المجتمع حية نابضة فاعلة موجهة ضابطة ... ولم تأل جهداً بعد ذلك في اعلان نفسها داخلياً بين ابناءها ورعاياها ، ومحلياً بين الجوار الذين يحيطون بها ، ودولياً في الأمم والشعوب ..

هذه الدولة هي عطاء من الله .. وهي الدولة « الطبيعية » لانسان هذه الحياة - الذي عرف ربه ونفسه ووجوده وكونه - وهي التي استظل بظلها الأوائل السابقون وهي التي حرمت ، من نعيمها ، الانسانية المعذبة طيلة قرون .. فهل تشرق شمسها من جديد ؟؟

---

(١) معالم في الطريق - فصل الجهاد في سبيل الله ص ٨٦ .

## الفصل الخامس

كَيْفَ دَالَتِ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

لم تقم دولة الاسلام لتدول .. انما قامت لتبقى وارفة الظلال ، يتفياً  
تحتها ، كل انسان في كل زمان وفي كل مكان ..

هذه حقيقة - أثبتناها في فصل مفهوم الدولة - لكنها حقيقة مدنية  
عاكسا التاريخ وتفلنت منها دولة « المسلمين » ..

لقد نشأت دولة الاسلام - كما رأينا في الفصل السابق - على عين القرآن  
وبيد رسول الله ﷺ وانبثقت من أعماق التجمع فكرية رحية قوية مهيبة  
وتحركت بالتجمع فأزالت الطاغوت من الأرض ونشرت ظلال الحق والعدل  
في الوجود ..

وكذلك كان ، فلم نعرف دوراً من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر  
في جميع هذه النواحي من هذا الدور ، دور الخلافة الراشدة فقد تعاونت  
فيه قوة الروح والاخلاق ، والدين والعلم ، والأدوات المادية في تنشئة  
الانسان الكامل وفي ظهور المدنية الصالحة .

كانت حكومة من أكبر حكومات العالم وقوة سياسية مادية تفوق كل  
قوة في عصرها ، تسود فيها المثل الخلقية العليا وتحكم معايير الاخلاق الفاضلة  
في حياة الناس ونظام الحكم ، وتزدهر فيها الأخلاق والفضيلة مع التجارة  
والصناعة ، ويسير الرقي الخلقى والروحي اتساع الفتوح واحتفال الحضارة ،  
فتقل الجنايات وتندر الجرائم بالنسبة الى مساحة المملكة وعدد سكانها ،  
رغم دواعيها وأسبابها ، وتحسن علاقة الفرد بالفرد والفرد بالجماعة وعلاوة  
الجماعة بالفرد .

« ان هذا الرعيل من أتباع محمد ﷺ كان خليقاً بأن يسعد النوع الاناني

في ظله وتحت حكمه وان يسير بقيادته سديد الخطى رشيد الغاية مستقيم السير فانهم كانوا خير القائمين على مصالحها حارسين لها .. يعدون هذا العالم مملكة الله استخلفهم فيها - أولاً : من حيث أصل الانسان الذي جعله خليفة في الأرض .. وثانياً : من حيث انه انسان اسلم لأمر الله وانقاد ، فاستخلفه في الارض واسترعاة أهلها ... وجعل لهم الولاية على أمم الأرض وجماعات البشر يراقبون سيرها وسيرتها وأخلاقها ورغباتها يرشدون الضال ويردون الغاوي ويصلحون الفاسد ويطهرون الأود ويرأبون الصدع ويأخذون للضعيف من القوي ، وينتصفون للمظلوم من الظالم ويطهرون في الأرض القسط ويبسطون على العالم جناح الأمن « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وتؤمنون بالله « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » (١).

### الخلافة الراشدة هي الوجود الحق وليست استثناءً مثالياً :

ما تقدم هو الأصل في دولة الاسلام .. أي .. ان الخلافة الراشدة - التي سبق وصفها - هي صورة عن القرآن والاسلام عكست « بدلاً » من الله لمن أعطى العهد بالخضوع له والاستسلام لمشيئته. بمعنى ان الخلافة الراشدة هي الوجود الحق المطابق لفطرة الانسان . فعندما استقام الانسان على النهج السليم السديد وعاشه وتفاعل معه أضحى صورة عنه وكأن المنهج قد تجسد فيه وفي هذه الحالة فقط يكون الانسان قد أدرك نفسه وعرف ربه ووجوده .. أي ان الانسان قد غدا طبيعياً دون تعقيد سويّاً دون انحراف وبالتالي فان الدولة التي تظله لا يمكنها ان تكون إلا طبيعية ، وأصيلة سوية ، لا انحراف فيها .. فاذا قام من يصف الخلافة الراشدة بأنها « فترة استثنائية » مثالية بعد

---

(١) ماذا خسر العالم باخطا المسلمين للسيد ابي الحسن علي الحسيني الندوي - الهند -

ان ردد مع ابن طباطبا قوله « لم تكن على طراز دول الدنيا وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه . والحق في هذا أن زيهـا قد كان زي الأنبياء ، وهدىـها هدى الأنبياء ، وفتوحها فتوح الملوك الكبار » . وإذا ما قرر بعد ذلك ، ان المسلمين الأوائل كانوا يتوقعون ( لهذه الفترة الاستثنائية المثالية أفولا سريعا )<sup>(١)</sup> يكون - مع تقديرنا لعمله وفهمه - قد جانب الحق والصواب .

فصحيح ان الخلافة الراشدة - على ما وصفها السيد الندوي او ابن طباطبا - كان زيهـا زي الأنبياء ولا تشبه أيا من دول الدنيا .. إلا أن هذا لا يجعل منها مرحلة مثالية استثنائية في حياة الانسان .. وظني ان المشكلة - في هذا الصدد - تتردد الى تفهم الاسلام من حيث هو دين ومنهج حياة .. فاذا اعتبرنا ان الاسلام بأحكامه وشرائعه مثالياً أي فوق قدرة الانسان أي « غير واقعي » في منهجه وأخلاقه وتصوراته .. جاز لنا ان ننتعت الفترة التي طبق فيها الاسلام بالمثالية الاستثنائية فالانسان في هذه الفترة ارتفع - وفقاً لهذا المفهوم - الى « أعلى » من قدرته فصادف ، في علوه هذا ، منهجاً اسلامياً فطبقه .. فلما عاد هذا الانسان الى انسانيته تخلى عن الاسلام بإعتبار ان الارتفاع استثناء وليس أصلاً .

ويترتب على هذا :

ان الاسلام استثناء في مناهج الحياة والأديان أي أنه يحمل في طياته سبب رفضه وجرثومة فنائه .. فالانسان ( الطبيعي ) - بمعنى العادي - لا يمكنه ان يتعامل مع الاسلام او ان يحتكم الى الاسلام في تصوراته وشؤون حياته لأن هذه فوق مستواه .. فطبيعي - والحالة كما وصفنا - أن تأمل فترة التطبيق المثالي - الخلافة الراشدة - ( أفولاً سريعا !!! ) وينقلب الوضع الحياتي الى ما انقلب اليه في التاريخ أي أن ينحرف « المسلمون » عن

---

(١) النظم الاسلامية افضيلة الدكتور صبحي الصالح ص ٢٧٨ .

تطبيق اسلامهم ويتخلوا عن منهج ربهم فهذا هو الطبيعي وبالتالى المنطقي فالاسلام مثالي وتطبيقه مثالي فهو اذن شاذ ولو كان شذوذاً في المثالية والخيال!! ويعقب هذا التصور أمران :

أولهما : تبرير « فلسفي » لانحراف المسلمين عن الاسلام اذ لا يمكن ان يبقى الاسلام مطبقاً في الوجود باعتباره يتطلب انساناً مثالياً .

ثانيهما : الایحاء باستحالة « تطبيقية » مجدداً في واقع الحياة لصعوبة إيجاد الانسان المثالي اولاً ولعدم الجدوى من التطبيق ثانياً - وعلى افتراض تحققه فان مرحلته لن تكون أطول من الخلافة الراشدة حيث الصحابة والتابعون .. وستأفل أفولاً سريعاً لأنها شاذة ولو شذوذاً مثالياً .

ونعتقد ان هذا المفهوم مفهوم استشراقي ، تأثر به كثير من مفكرينا وكتابنا الاسلاميين - بقصد أو بدون قصد - ونقلوه ، منتبهين او غير منتبهين الى ما يحجره من ذيل منكرة ، تعمل على « تلويث » التصور الاسلامي عن الدولة والانسان تلويثاً فتاكاً ..

ومن هؤلاء .. الدكتور عبد الكريم الخطيب صاحب كتاب ( الخلافة والامامة ديانة وسياسة ) الذي يقول (١) :

« والحق ان الخلافة التي عرفها المسلمون لأول عهدهم بعد النبي قد استوفت حظها من الحياة ، وانها ماتت ميتة طبيعية .. وما كان لها ان تصحب الناس أكثر من هذه المرحلة القصيرة التي صحبتهم فيها ، ثم تسلمهم بعدها الى الحياة .. الحياة كما يحياها الناس .. الحياة التي يختلط فيها الخير بالشر ، ويتصارع فيها الحق والباطل ويتغالب فيها الدين والدنيا ..

« ففترة الخلافة الراشدة ليست محسوبة من حياة الناس ، على الوجه الذي قدر لهم ان يصحبوها عليه وإنما هي فترة استثنائية أشبه بفترة النبوة ..

---

(١) الطبعة الاولى ١٩٦٣ صادرة عن دار الفكر العربي بالقاهرة - ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

فكما ان فترة النبي ان تعيش في الناس ، ولن يعيش فيها الناس إلا مرة واحدة ، وإلا زمناً محدوداً ينتهي بوفاة النبي ، كذلك الفترة التي تعقب النبي .. لا تعيش في الناس ، ولا يعيش فيها الناس الا مرة واحدة ، لا تتجاوز بحال ابداً ما كان لفترة النبي من عمر !! وربما كان لك ان تضع هنا معادلة زمنية بين رحلة الشمس من مشرقها الى مغربها ، وبين هذه الفترة التي تعقب غروب الشمس وانسدال الظلام .

« فترة الخلافة الراشدة » اذن كانت فترة « استثنائية » لا ينبغي ان نخضعها لمفهوم الحياة الممتدة في أجيال الناس ، كما لا ينبغي ان ننتظر قيامها مرة أخرى على الوضع الذي قامت عليه من أول أمرها ، الا اذا قامت في الحياة نبوة كنبوة محمد ، ذلك أمر قدر له ألا يقع !

« وانا اذا نظرنا الى « الخلافة الراشدة » هذه النظرة، وعلى هذا التقدير ارحنا انفسنا من هذه البلبلة وهذا الاضطراب في أمر « الخلافة » وأزحنا من صدورنا هذا القلق وهذا الهم الثقيل الذي نعالجه ونحن نطالع هذه الأحداث ، ونستقبل وجه تلك الفتن التي نبتت في مغارس الخلافة ... فاننا نجد لكل هذا منصرفاً ينصرف اليه ، اذا نحن لم نجعل للخلافة هذا المقام الذي كانت عليه بعد النبوة ، واذا نحن لم نتشبت بوضعها فيه .. واذا نحن سلمنا بانها في تلك الفترة لم تكن الا عارية مؤداة ولن تكون من أشياء الحياة التي نضم عليها أيدينا ، ويتوارثها الابناء عن الآباء .. جيلاً بعد جيل .

وليس بعيداً عن هذا المعنى ما كتبه طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى حين تساءل :

« فهل كانت هذه السيرة التي سارها النبي واجتهد صاحباه أبو بكر وعمر في أن يسيراها ما استطاعا الى ذلك سبيلاً ملائمة لما فطر عليه الناس من الأثرة والطمع والحرص على المنافع العاجلة .

« وهل كانت هذه السيرة قادرة على أن تبقى حتى تغير من طباع الناس  
فترقى بهم الى المثل العليا التي دعا اليها النبي وصاحبه ؟ » (١)

ويجيب :

« واكاد أعتقد ان الخلافة كما فهمها أبو بكر وعمر كانت تجربة جريئة  
توشك أن تكون مفسامة ولكنها لم تنته الى غايتها لأنها أجريت في غير  
العصر الذي كان يمكن أن تجرى فيه . . . » (٢)

\*\*\*

المفهوم الصحيح للخلافة الراشدة :

ان الفهم الاسلامي الصحيح للخلافة الراشدة هو أنها أصدق مرحلة في  
تطبيق الاسلام تطبيقاً سويًا - وهي لم تشابه دول الدنيا - على حد تعبير  
ابن طباطبا لأنها غير دول الدنيا في المنشأ والتصور والهدف .

ان الانسان « الجاهلي » - العربي والأعجمي - كان ضائعاً في خضم ركام  
من تصورات بشرية مخرفة فلا هو يعرف نفسه ولا غاية وجوده ولا معطيات  
حياته ولا هو يعرف منهجاً سليماً للحياة فقد كان منحرفاً عن « السوية البشرية »  
ساقطاً عن حدود الانسان المكرم من الله ، خليفة الله ، فجاءه الاسلام  
ليُعرفه بنفسه وبكونه وبحياته وقبل كل شيء بربه ، وليهبه بعد ذلك « بدل »  
العهد الذي أخذ منه ، ليمنحه منهج حياة ودولة تشرف على التطبيق  
والتنفيذ . وبذلك يكون الاسلام قد رفع الانسان فعلاً ، لكنها رفعة من  
الضياح الى درجة الانسان الصحيح السوي .. هذه الدرجة التي هي « الأصل »  
في الانسان .. بل هي الانسان بالذات .. ودونها يفقد « الانسان » معنى  
انسانيته فيهبوي في أوهاد الضلال ، والتهيه ، والضياح .

---

(١) الفتنة الكبرى ص ٢١

(٢) المرجع السابق ص ٥



ان الاسلام جاء لبشر لهم طبيعة البشر ولينعامل معهم على أنهم بشر فلا يفترض في الناس الملائكية ( قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ) الاسراء ٩٤ ( كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ) ( والله لو لم تخطئوا فتستغفروا فيغفر الله لكم لآتى بقوم يخطئون فيستغفرون فيغفر الله لهم ) . او كما قال ﷺ .

ولقد جاءت أحكام الاسلام المختلفة في الحكم والاقتصاد والمال والاجتماع بناء لمعرفة أصيلة بكيونة هذا الانسان وقدرته وطاقته واستعداده.. وبكل شيء فيه .. ويتحصل من ذلك أن تطبيق الاسلام في العهد الراشدي - وفي المستقبل ان شاء الله - لن يعتبر مثالياً استثنائياً بل طبيعياً واقعياً وان الانقلاب الذي حدث في التاريخ بعد الخلافة الراشدة كان انحرافاً عن الطبيعة السوية ، للإنسان وليس عودة بالانسان الى درجته الطبيعية بعد فترة « المثالية الاستثنائية » .

### الانحراف عن منهج الله

#### اول الاسباب في غياب الخلافة الراشدة :

ومن هذه المناقشة يتضح لنا سبب هام بل أهم الأسباب بلا جدال ، لذوال دولة الاسلام ، وهو تخلي المسلمين عن منهج الله السديد السليم . هذا الانحراف .. هو الذي عطل دولة الاسلام عن العطاء وأوقف دور الوساطة بين الله والناس في بركات من السماء والأرض ( ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ) سورة الاعراف .

وكان .. لا بد من عقوبة على هذا الانحراف . وقد كانت .. « ان عقوبة الانحراف عن منهج الله عقوبة كبرى قد تتجاوز عقوبة اولئك الذين لم يتفأؤوا بظلال العقيدة الكبرى فالذين عرفوا ثم كفروا .. الذين استضاءت قلوبهم بالنور ثم أظلموها بالطاغوت هؤلاء شر مكانا وأظلم الناس بدون جدال ..

فهم قد نكثوا العهد الذي قطعوه الله ، ونكلوا عن العهد الذي أبرموه مع الله وعطلوا في أنفسهم ووجودهم ودنياهم خلافة الله .. فليس عجيباً بعد ذلك ان يتعطل دور الدولة في الوساطة وتتوقف حركتها عن العطاء مما وعد الله .. وكلما أمعن الناس في انحرافهم عن المنهج كلما تلاشى دور الدولة في العطاء حتى يجذب الناس ولعل هذا أبلغ عقاب من الله لهذه الأمة وكأنت الثواب والعقاب في طرفي خط يسير متوازياً أبداً مع خط منهج الله .. فاذا ما تمثل الاسلام في واقع الحياة عقيدة وسلوكاً وتشريعاً أدرك الناس الثواب نهاية الخط المتعالي ، واذا ما تخلوا عن شرعة الله هبطوا هبوطاً بشعاً فأصابهم العقاب الطرف الآخر من الخط الأبدي ، سنة الله ولن نجد لسنة الله تبديلاً (١) .

والانحراف - كما أسلفنا - لا يظهر دفعة واحدة . فهو كالخط الذي نشكل به زاوية مع خط آخر ينفرج قليلاً ثم لا يلتقيان .. وهكذا يتحول الانحراف مع الزمن ديناً آخر يختلف عن الدين الأول مظهرأً وجوهراً . ولقد بدأ الانحراف في دولة الاسلام من أخطر قاعدة فيها ، من العروة الجامعة من الحكم فكان بمثابة نقض له .. اذ حول الانحراف الحكم الى ملك عضوض (٢) .

والحقيقة ان هذا الانقلاب في نظام الحكم لم يظهر دفعة واحدة ولم يقبله المسلمون ولا صفوتهم مرة واحدة ، فقد مر في مراحل عديدة ، كادت تقضي عليه .. لولا ان قضى عليها بقوة الحديد والنار ..

لقد آل الحكم الى معاوية بعد الحرب النكدة وبعد استشهاد الامام علي كرم الله وجهه - وليس في ولايته شيء - خاصة بعد ان انمقد عليه

---

(١) راجع فصل (مفهوم الدولة) من هذا الكتاب .

(٢) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول ( لتنفض عرى الإسلام عروة عروة أولها نقضاً للحكم وآخرها نقضاً للصلاة ) .

الاجماع وبايعه مخالفوه ومنهم الحسن بن علي وشقيقه . ( دخل معاوية الكوفة ونال بيعتها ودخل الحجاز وأمس خليفتها حتى سمي الناس العام الذي حصل فيه علىبيعة الأمصار ( بعام الجماعة )<sup>(١)</sup> .

قلت : ليس في ولاية معاوية - من حيث هي ولاية - شيء فليست هي بذاتها ملوكية ولو أنه سمي نفسه على ما رواه اليعقوبي « أول الملوك »<sup>(٢)</sup> و « واتخذ لنفسه الدور والقصور وأحاط نفسه بالحجّاب والخدم »<sup>(٣)</sup> فقد اعتاد على ذلك قبل أن يصبح خليفة ( أميراً ) للمؤمنين وقد رآه عمر بن الخطاب أثناء زيارته للشام ولم ينكر عليه ذلك .

#### الايحاءات الأولى بتوريث يزيد :

لكن .. بدأ التحول الخطير في الخلافة ، عندما بدأ معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد . وهناك جملة ملحوظات لا بد من ابدائها في هذا الصدد .

أولاً : ان مظاهر الملك التي نقلها معاوية عن الروم أثرت في نفسه تأثيراً قوياً .. فهو بدأ يحس - كما كانت العادة عند الروم وفارس وملوك الأرض في ذلك الحين - أن الملك ومظاهره ينبغي أن ينتقل إلى ابنه بمجرد وفاته ، فهو أحق الناس به ، ولو لم يكن أهلاً له .. ففكرة ( التوريث ) هذه فكرة وافدة على معاوية إلا أنها وجدت مرتعاً خصباً في نفسه !!

ثانياً : يبدو أن معاوية قد وجد في المناداة بالحسن بن علي خليفة ، مكان أبيه ، بعد استشهاد علي مسابقة شجعت عليه إعلان مبدأ ( التوريث ) وأخذ البيعة لابنه يزيد ..

يقول الدكتور أحمد الشلي « والذي لا شك فيه أن بني هاشم هم الذين بدأوا بخلق فكرة الهرقلية في الحكم الإسلامي »<sup>(٤)</sup> .

(١) (٢) (٣) النظم الإسلامية - صبحي الصالح ٢٦٧ .

(٤) التاريخ الإسلامي ( أحمد الشلي ) جزء ٢ ص ٤٤ .

ويظهر عمق هذا الرأي في تسلسل الائمة ، عند الشيعة وحصرهم في عائلة علي دون سواها .. بقطع النظر عن الحجج التي يوردها هؤلاء في هذا الصدد.

ثالثاً : بدأت فكرة المبايعة ليزيد سنة ٤٩ هـ وكان الذي بدأها المغيرة ابن شعبة ويروى أنه لما أحسن أن معاوية ينوي عزله عن الكوفة قصد دمشق وقابل يزيد وقال له : ذهب أعيان أصحاب رسول الله ﷺ وكبراء قريش وذووا أسنامهم وانما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة . قال أو ترى ذلك يتم قال نعم . وأخبر يزيد أباه بذلك الرأي ووصفه بأنه الطريق لحقن الدماء ولجمع الكلمة (١).

ولا بد من التنويه إلى أن البيعة لم تعط ليزيد — خاصة من كبراء المسلمين — إلا بالقوة والاكراه . ولقد قام ابن أبي بكر عبد الرحمن في المدينة ينكر أخذ البيعة ليزيد ويقول « ما الخيار أردتم لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل » . وكلام عبد الرحمن هذا يكشف لنا قضية هامة فالانكار محصور فقط في تعيين يزيد بن معاوية خليفة مكان أبيه مما يوجد الهرقلية في التفكير السياسي في الإسلام . أما مبدأ التعيين فقد وافق عليه كبار المسلمين وأباحوه لمعاوية نظراً للظروف الحرجة التي مرت بها الدولة الإسلامية في ذلك الحين فقد كتب معاوية لواليه على المدينة يقول له : إني كبرت سني ورق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدي وقد رأيت ان اتخذ لهم من يقوم بهذا الأمر بعدي . وكرهت ان أقطع أمراً دون مشورة من عندك ، فاعرض عليهم واعلمي بالذي يردون عليك فلما أخذ معاوية موافقتهم على مبدأ التعيين أعلن اسم يزيد وطلب البيعة له .

هنا بدأ الصراع أو بدأ التحول في التاريخ الإسلامي أو كما يقول الاستاذ

---

(١) التاريخ الإسلامي جزء ٢ ص ٤١ .

(٢) ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين ص ١٢٢ .

الندوي « الحد الفاصل بين الكمال والزوال .. الذي يفصل بين الخلافة الراشدة والملوكية العربية او ملوكية المسلمين »<sup>(٢)</sup> فالملاحظات التي أبديناها سابقاً اخذت تتفاعل في نفسية معاوية وتؤكد حتى أسماء الاختيار للمسلمين ولذلك قال عبد الرحمن بن أبي بكر ( ما الخيار أردتم لأمة محمد .. )

ويرى الدكتور أحمد الشلبي ان معاوية ( لم يكن يقصد الخير للمسلمين في تعيينه ابنه يزيد بقدر ما كان يقصد تهئية أسباب السعادة لابنه وهذا مما يؤخذ عليه ولو كان يريد الخير للمسلمين لاختار من بني أمية من هو أصح من يزيد<sup>(١)</sup> وهذا بعد أن أكد الدكتور الشلبي ضرورة اختيار أموي لتلك المرحلة العصبية بعد معاوية<sup>(٢)</sup> .

إذن فليس اختيار الخلف هو سبب الانحراف . وهو امر كان في الخلافة الراشدة<sup>(٣)</sup> إنما إساءة الاختيار عن عمد وحمل الناس بالاكراه على الخضوع لهذا الانحراف والاختيار فعندما اختار معاوية يزيد ثار العلماء في وجه يزيد باعتباره ابناً لمعاوية ( فكلمنا مات هرقل قام هرقل ) على حد تعبير عبد الرحمن ابن أبي بكر . فلقد خاف هؤلاء أن تتأكد على الزمن فكرة الهرقلية والوراثية في أسلوب الحكم .. وكذلك كان ..

**ثورة عبد الله ابن الزبير المسلحة وثورة ابن عبد العزيز السلمية :**

بيد أن الانحراف لم يمر بسهولة فقد واجهته إرادة صلبة من العلماء وعامة المسلمين ، رغم الاكراه والقوة .. حتى أن عبد الله ابن الزبير استطاع بثورته أن يوجد خلافة بقيت بضع سنين واعتبرها بعض المؤرخين خلافة ذلك الزمن واعتبر بني أمية خارجين عليها .. فلما اعتزل معاوية الثاني الحكم

---

(١) التاريخ الاسلامي ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٣) تفصيل ذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب وفيه مناقشة لموضوع الخلافة والاختيار .

دون أن يعين خلفاً له - على عادة جده وأبيه - (١) ( اختلفت كلمة بني أمية فيما بينهم واختلف الناس عليهم فأوشك ملكهم أن يضيع . و يروى أن مروان بن الحكم - الذي آل اليه الحكم - نفسه كان على وشك ان ينطلق لابن الزبير فيبايعه .

«وكانت حالة ابن الزبير في ذلك الوقت في تقدم واضح فقد دان له الحجاز وتبعه أهل الكوفة والبصرة - وكان عبدالله بن زياد قد أخلاهما وفرّ تحت ضغط الأحداث - كما تبعه أهل الجزيرة وأمراء الشام ، ولم يبق على الولاء لبني أمية إلا الاردن ، وتلك الحالة التي حققها عبدالله بن الزبير أو تحققت له جعلت بعض المؤرخين يراود خليفة ذلك العصر ويعد مروان بن الحكم متمرداً عليه ولا يعترف له بخلافة كما لا يعترف بخلافة عبد الملك الا من يوم موت ابن الزبير واجتماع الكلمة عليه(٢) » .

ولئن استعاد بنو أمية ملكهم من جديد وتوارثوه دون المسلمين الا ان أحدهم رفض الخلافة التي آلت اليه عن طريق المرقلية فأعاد الأمر الى المسلمين - كماوية الثاني - ذلك هو عمر بن عبد العزيز الذي قال : ( أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلب له ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاخhtarوا لكم ) (٣) .

وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة - على صعيد رسمي - لمقاومة الانحراف .

---

(١) يروى انه خطب الناس فقال : « اني قد ضعفت من أمركم فابتغيت لكم مثل عمر ابن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم فاخhtarوا له من أحببتكم » وهذا يؤكد عمق الشورى وسطحية المرقلية عند مسلمي ذلك العصر .

(٢) التاريخ الاسلامي جزء ٢ ص ٥٠ - ٥١ نقلاً عن تاريخ الخلفاء للسيوطي والمقد الفريد .

(٣) راجع في تولية عمر وما رافقها من أحداث كتابنا ( عمر بن عبد العزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء ) ص ٢٧ وما بعدها .

ثم - بعد عمر - ثبت الانحراف في أسلوب الحكم وغدت الهرقلية أمراً متعارفاً عليه في مختلف العصور وكان ذلك سبباً هاماً في تخلف دولة الاسلام .  
وعندما ظهرت الدعوة العباسية وزال حكم الأمويين أذاع بنو هاشم انهم أولى بمراث الرسول من العلويين - نسبة لعللي زوج فاطمة - لأن جدهم عم الرسول ولا ينحدر الميراث الى ابن العم مع وجود العم وليس لأولاد البنات ميراث مع وجود العصبه وقد قال شاعرهم في ذلك :

انى يكون ليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأجداد<sup>(١)</sup>

فمسألة الحكم غدت مسألة ميراث وورثة .. ليس إلا ! فتأمل ؟  
« ولقد أصبحت الخلافة في العصر العباسي وراثية تماماً ، ووجهت في هذه المسألة أقصى ضربة الى تقاليد العرب \* حين تجاهل العباسيون مشكلة السن فعهدوا بالخلافة الى الذين لم يبلغوا سن الرشد : كما عهد الرشيد الى ابنه الامين وكان عمره خمس سنوات فقط ، والى ابنه المأمون ولم يكن عمره يزيد على ثلاثة عشر عاماً بل أسندوا ولاية العهد الى أكثر من واحد كما فعل المهدي والرشيد والمتوكل<sup>(٢)</sup> ... »

ولا بد ، ونحن في صدد الانحراف ، أن نؤكد ان الهرقلية هذه وان ثبتت ورسخت في التعامل والواقع إلا أنها بقيت في أذهان الجميع وخاصة العلماء والفقهاء انحرافاً ولم تعتبر في يوم من الايام اصلاً وقد وجدنا من يكتب ، كماوردى وابن خلدون ولو في عصور متأخرة ، فضلاً عن فقهاء المذاهب المعروفين ، عن الدولة والخلافة وكيف يختار الخليفة والنصوص الشرعية التي

---

(١) التاريخ الاسلامي - محمد الشلي جزء ٢ ص ١٣ .

\* نخالف الدكتور صبحي الصالح في اتجاهه فالضربة لم توجه الى تقاليد عربية أو غير عربية ، انما الى النهج الاسلامي في الحكم .. فهو الذي يحذر من ولاية الصبيان كما في الحديث النبوي ، وهو الذي يمنع أصلاً ارتقاء مثل هؤلاء سدة الحكم .

(٢) النظم الاسلامية ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

تحكم هذا الاختيار وما شابه . . . ووجدنا أيضاً من يقول بظلم الخلفاء كالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه فقد سئل عن قتال الخارجين على لدولة أيجوز ذلك ؟ فقال دعمهم ينتقم الله من ظالم لظالم ثم ينتقم من كليهما . . .<sup>(١)</sup>

ولا بد ، ثانياً من الإشارة الى ان هذا الانحراف في أسلوب الحكم قد أضفى هالة خاصة على الخلفاء الملوك . . . فقد غدا منصب الخليفة منصباً شخصياً مما أدى الى تجميع الارتباط والمصالح حول شخص الخليفة لا حول مركز الخلافة وبمعنى آخر ان الخليفة للملك راح يبذل ما في وسعه ليحافظ على بقائه وليعهد لانتقال السلطة من بعده الى ولده فأخذ يتوسل باسترضاء الانبياء ووجهاء الناس وربما بعض العلماء . . . ولو كان هذا — بل هو كذلك حتماً — على حساب بيت مال المسلمين !

على أثر تجديد البيعة لعمر بن عبد العزيز « احتجب عن الناس ثلاثة أيام متواليات لا يدخل عليه أحد ووجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الجند والعرب ببابه ينظرون ما يخرج عليهم وكان عمر خلال هذه الايام يعمل ليلاً ونهاراً مع وزيره مزاحم يجمعان سجلات قطائع الأمراء وعهود عطايام والاموال التي تجري عليهم ويدرسانها دراسة وثيقة على ضوء التشريع المالي في الإسلام وكم كان عجب عمر كبيراً عندما أحصى مجموع القطائع والاعطيات للأمراء فبلغت عنده نصف ما في بيت المسلمين أو ثلثيه فما كان منه إلا ان نادى بصلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج اليهم وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ( أما بعد فان هؤلاء — أي الخلفاء قبله — أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها وإني قد رأيت ذلك ليس علي فيه دون الله محاسب وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي . اقرأ يا مزاحم فيخرج سجلاً وسجلاً وعهداً وعهداً وكتاباً وكتاباً ثم يقرؤه فيأخذه عمر

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام لعبد العزيز بدوي نقل عن ( ضحى الإسلام ) وكتاب ( مالك لأبي زهرة ) ص ١٠٤ .



وبيده آلة حادة فيمزقه ، وما زالا حتى حان الظهر ونادى المؤذن للصلاة  
ورد جميع ذلك الى بيت المال «<sup>(١)</sup> .

فعمربن عبد العزيز لا يهمنه جميع القوى حول شخص الخليفة وانما تدعيم  
الخلافة نفسها والقيام بواجبها حتى تضحي هيئة معنوية كما كان كذلك في عهد  
الخلافة الراشدة ، لا سلطة شخصية كخلافة الامويين .

### عوامل التحلل في كيان الدولة :

إن نقض الحكم أدى الى الانحراف البشع - الذي رأينا - وهذا الانحراف أدى  
الى انحراف آخر .. ثم تتالى الانحراف وتعظم .. ولقد لخص الإمام الشهيد  
حسن البنا عوامل التحلل في كيان الدولة الاسلامية في رسالته بين الأمس  
واليوم فجاء شاملاً وافياً فقال رحمه الله :

( ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فان عوامل التحلل قد أخذت  
تسلل الى كيان هذه الأمة القرآنية وتعظم وتنتشر شيئاً فشيئاً حتى مزقت  
هذا الكيان وقضت على الدولة الاسلامية المركزية في القرن السادس الهجري  
بأيدي التتار ، وفي القرن الرابع عشر الهجري مرة ثانية ، وتركت ورائها في  
كلتا المرتين أمماً مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوئب للنهوض  
وكان أهم هذه العوامل :

أ - الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه مع التحذير  
الشديد الذي جاء به الاسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة ولفت النظر الى  
هذه الناحية التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول « ولا تنازعوا  
فتفشلوا وتذهبريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »<sup>(٢)</sup> . ومع الوصية البالغة  
بالإخلاص لله وحده في القول والعمل والتنفير من حب الشهوة والمحمدة .

(١) عمر بن عبد العزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء للمؤلف ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) الأنفال الآية ٤٦ .

ب - الخلفاء الدينية والمذهبية والإنصراف عن الدين كعقائد وأعمال الى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ والجمود والتعصب للآراء والأقوال والولع بالجدل والمناظرات والمراء ، وكل ذلك مما حذر منه الاسلام ونهى عنه أشد النهي حتى قال رسول الله ﷺ : ( ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ) .

ج - الانغماس في ألوان الترف والنعيم والإقبال على المتعة والشهوات حتى أثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم مع انهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » (٢) .

د - انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الاسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصموبة إدراكهم لمعانيه مع انهم يقرؤون قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودثوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » (٣) ..

هـ - إهمال العلوم العلمية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عميقة وعلوم خيالية سقيمة مع أن الاسلام يحثهم على النظر في الكون واكتناه أسرار الخلق والسير في الأرض ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله ( قل انظروا ماذا في السموات والأرض . )

و - الغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم عند غيرهم حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة وقد

---

(١) الاسراء الآية ١٧ .

(٢) آل عمران الآية ١١٩ .

(٣) يونس الآية ١٠١ .

أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) (١).

ز - الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والاعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد قال القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » وقال في آية أخرى « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » (٢).

وللأستاذ أبي الحسن الندوي أيضاً نظرات في ( تحريفات الحياة الإسلامية ) كما أسماها في كتابه ماذا خسر العالم بإخطاط المسلمين فقال (٣) تحت عنوان « فصل الدين عن السياسة » .

« وقع فصل بين الدين والسياسة عملياً ، فان هؤلاء - أي الخلفاء الأمويين والعباسيين حاشا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز \* فإن هؤلاء لم يكونوا من العلم والدين بكان يستغنون به عن غيرهم من العلماء وأهل الدين فاستبدوا بالحكم والسياسة واستعانوا - إذا أرادوا واقتضت المصالح - بالفقهاء ورجال الدين كمبشرين متخصصين واستخدموهم في مصالحهم واستغفوا

---

(١) الاعراف الآية ١٨٩ .

(٢) بين الأمس واليوم للإمام حسن البنا ص ٨ - ٩ - ١٠ - ١١١ . والآية ٤٩ من آل عمران .

(٣) ماذا خسر العالم بإخطاط المسلمين ص ١٢١ وما يليها .

\* ص ١٢٥ من المرجع السابق .

عنهم اذا شاؤوا وعصوم متى شاؤوا ، فتحررت السياسة من رقابة الدين وأصبحت قيصرية أو كسروية مستبدة وملكاً عضواً ..»

وتحت عنوان « النزعات الجاهلية في رجال الخلافة » قال :

« ولم يكن رجال الحكومة حتى الخلفاء أمثلة كاملة في الدين والخلق بل كان في كثير منهم عروق للجاهلية ونزعاتها فسرت روحهم ونفسياتهم في الحياة العامة والاجتماع . فتنفست الجاهلية في بلاد الإسلام ورفعت رأسها وأخلد الناس الى الترف والنعيم والى الملاهي والملاعب وانغمسوا في الملذات والشهوات واستهتروا استهتاراً . ونظرة في كتاب الأغاني وكتاب الحيوان للجاحظ تريك ما كان هنالك من رغبة جامحة الى اللهو وتهافت على الملاهي واللذات ونهمة للحياة الدنيا وأسبابها ..»

ثم يذكر أن هؤلاء الخلفاء والحكام كانوا يسيثون ( تمثيل الإسلام ) وإلهم مع العلماء والمفكرين لم يحتفلوا ( بالعلوم العملية المفيدة ) احتفالاً صحيحاً .. وان البدع والضلالات قد حجبت ( توحيد الإسلام النقي ) ..

وهكذا .. كلما تأكد الانحراف على الزمن ، كلما انحسر الإسلام عن الوجود الحياتي للمسلمين حتى أضحي هذا الوجود جاهلياً في التصور والسلوك ، ليس له من الاسلام إلا المسحة الظاهرة ، وإلا الأشكال التي لا تسمن ولا تغني من جوع ..

مواجهة العلماء للانحراف :

بيد أن هذا الانحراف - وهو في اشتداده وتأصله - قد واجه مقاومة صلبة اتخذت شكلاً لها صيحات واعية أو تحديات لاهية .. فعلاوة على ما ذكرناه من مواجهة الصحابة للقيصرية الملوكية فقد

---

(١) ص ١٢٥ من كتاب الندوي .

واجه - على مر الزمن - علماء أبرار تحديات الانحراف في الحكم ، مما جعلهم آيات في البطولة والثبات .

فهذا الحسن البصري يواجه عمر بن هبيرة وأبي زياد بن معاوية على العراق ويصيح به (.. وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين علي ، والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقاً للكتاب فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه .

يا ابن هبيرة :

اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك عن سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك .

يا ابن هبيرة :

إن الله ليمنعك عن يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المحرمين ..<sup>(١)</sup>

وفضلاً عن سعيد بن الجبير الذي عاند الحجاج ورفض الانصياع إلا للحق فقد حكى أن حطيظاً الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيظا قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وان ابتليت لأصبرن وان عوفيت لأشكرن قال فما تقول في : قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول

---

(١) احياء علوم الدين للإمام الغزالي الجزء الثاني ص ٣٤١ .

إنّهُ أعظم جرماً منك وإِنما أنت خطيئة من خطاياهِ قال الحجاج ضعوا عليه العذاب (١) .. حتى استشهد ..

أما الامام الاوزاعي فقد وافى أبا جعفر المنصور فقال له :

يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : أي والٍ مات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ..

يا أمير المؤمنين : قد كنت من شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحرم وأسودهم ومسلمهم وكافرهم . وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعت منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه . يا أمير المؤمنين حدثني مكحول .. قال كانت في يد رسول الله ﷺ جريدة يستاك ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد: ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً . فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ..

يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبقى لغيرك .. يا أمير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو ماتت سخة على شاطئ الفرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك .. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا ضعيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم ..

يا أمير المؤمنين : أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله

---

(١) الإحياء الجزء الثاني ص ٣٤٠ .

التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه .. (١)

ولقد وصلت الجرأة بسفيان الثوري أن يرد على كتاب هارون الرشيد الذي أرسله إليه يدعوه فيه إلى موافاته وبعده ( الجوائز السنية ) فيقول في رده :

بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان .

أما بعد .. فانك قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه .. يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم .. وأعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً . يا هارون : قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترأ دون بابك وتشبهت بالحجة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس !! فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ؟ أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وانصافك (٢) والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار .. (٣)

---

(١) الاحياء الجزء الثاني ص ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٥٥ .

(٢) من حديث ( ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس الا أتى به يوم القيام مغلوله يده الى عنقه لا يفكها إلا عدله .. ) رواه ابي الدنيا والطبراني انظر الاحياء ص ٣٤٤ الجزء الثاني .

(٣) من رسالة سفيان إلى هارون الإحياء الجزء الثاني ص ٣٤٨ ،

لماذا لم تقم ثورات منظمة تقضي على الانحراف ؟

ولعل سؤالاً هاماً ينتصب أمام المدقق في التاريخ لماذا لم تقم ثورات منظمة قضت على الانحراف وأعادت الأمر الى نصابه ؟ ونعتقد أن مرد ذلك يعود الى ما يلي :

اولاً : ان اقتتال المسلمين في صدر الإسلام بين علي ومعاوية ثم بين الزبير والأمويين ، وغير ذلك من ثورات صغيرة ومقاومات على صعيد المدن ثم ما جرى أثناء الثورة العباسية قد كرهه في نفوس علماء المسلمين خاصة كل اقتتال داخلي فنفروا من مقاومة الظلم والانحراف وآثروا الاخلاص الى المقاومة السلبية الفكرية لما رأوا من نتائج الاقتتال السابق وآثاره السيئة في مختلف وجوه الوجود المسلم .

ثانياً : لقد نشأت عبر الزمن وخاصة في العصر العباسي حركات فكرية وفرق مذهبية وصوفية استنزفت جهود العلماء والفقهاء وعامة الناس . فأضاعت في الجميع - حاشا بعض العلماء - همه الجهاد والكفاح وأقنعتهم بضرورة مسايرة السلطان والسكوت عن المنكرات إذ أن أوقاتهم لم تعد تتسع لمعالجة قضية الانحراف فهي مشبعة بترف كلامي أو جدل مذهبي أو فلسفي .

ثالثاً : لقد تشوه في نفوس الناس التصور الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالجانب السياسي ، أي ما خص الخليفة والحكام . وتعاقت الأجيال والتشوه يزداد حتى كاد يقتنع الناس بأن لا حق لهم تجاه «السلطان» .

رابعاً : ما تقدم حال دون إيجاد حركة منظمة تعتمد المطالبة القوية اسماً لها على حد تعبير ابن خلدون أو تعمل على تغيير الواقع ومقاومة الانحراف والعودة بالأمة والناس إلى المكانة التي أرادها الله لهم .

خاصاً : ومع هذا فإن ابن خلدون يحدثنا عن بعض ثورات دينية قامت في



بغداد بعفوية دون إعداد وتنظيم مما جرّ عليها الفشل والنقد اللاذع من ابن خلدون نفسه وذلك في معرض حديثه عن مقومات وأسلوب التغير .

قال ( ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف ، جاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهلك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكوّن القدرة عليه قال عليه السلام « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر - كما قدمناه - . . . فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً قصر به الإنفراد من العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما إن كان من المتلبسين في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لأنه أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانتة والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة .

« وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الأمين وإبطاً المأمون بخراسان عن مقدم العراق . . . فوقع الهرج ببغداد وانطلقت أيدي الزعرة بها من الشطار والحربية على أهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلات أيديهم من نهاب الناس . . فتوافر أهل الدين والإصلاح على منع الفساق وكف عاديّتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر فأجابه خلق وقاتل أهل الزعرة فغلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الأنصاري ويكنى أبا حاتم علق مصحفاً في عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فأتبعه الناس كافة من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة .. وقال له خالد الدريوس: أنا لا أعيب على السلطان فقال له سهل: لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان وذلك سنة إحدى ومائتين وجهز له إبراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسرته وانحل أمره سريعاً وذهب ونجا بنفسه . ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من « الموسوسين » يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من « العصبية » ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أحوالهم <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

### اشتداد الانحراف وبداية الانفصال وظهور السلطنة العثمانية

واشتد الانحراف . . وآل الحكم إلى أناس لم يتذوقوا حلاوة الإيمان والقرآن من فرس وأتراك . وراح هؤلاء يلعبون بالخليفة ، وبمركز الخليفة وبكل شيء .

وبدأ انفصال الولايات عن بعضها . . فاستبد كل أمير بامارته وكل وال بولايته وتمزق العالم الإسلامي إلى أجزاء متفرقة متبعثرة ، تعرضت ، فيما بعد ، إلى غزو صليبي فاجر . . ثم إلى زحف مغولي ماهر . . وسقطت بغداد ١٢٥٨ وانتقلت الذبالة الباقية من منصب الخلافة الاسمي ، إلى مصر <sup>(٢)</sup> .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفصل القادم المجوم الماكر .

ثم كانت السلطنة العثمانية . . .

وبينا كانت تتقدم في آسيا الصغرى وتقف على أسوار القسطنطينية فاتحة منصودة ١٤٥٣ ، كانت الأندلس تثن تحت حروب دامية وإخراج نكد ( سقطت غرناطة ١٤٩٢ ) ومع هذا . . . « فالعالم الإسلامي الذي كان قد استولى عليه الناس من جراء الكوارث التي حلت به في الشرق والغرب . شعر أثر هذه الانتصارات ( احتلال القسطنطينية ) التي أحرزها العثمانيون على التوالي ، سواء في البر أو في البحر ، بحياة جديدة ردت إليه الآمال ورفعت رأسه كرة أخرى . . . »<sup>(١)</sup> وآت الخلافة الاسمية الى بني عثمان فأصبح هؤلاء السلاطين خلفاء . . . يتوارثون الخلافة توارث المتاع . . . كما فعل من قبل الأمويون والعباسيون والآخرين .

وانحرف العثمانيون كما انحرف أسلافهم ، وأخذت الذبالة الباقية ، الرمز الروحي ، المنصب الاسمي للخلافة ، يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى ألغاه أتاتورك ، صنيعة الاستعمار ، في الساعة السادسة والنصف من صباح ٢ آذار سنة ١٩٢٤ . إن الخلافة على ما كان فيها من ضعف وانحراف رمز التجمع له معقباته في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . . . وعندما نلغي هذا المنصب نكون قد قاومنا الانحراف بانحراف أشد . . .

ونحن هنا لا ندافع عن العثمانيين ولا عن الملوكية العثمانية فرأينا حتى في الخلافة الأموية والعباسية معروف . . . ولكن هذا الرأي لا يعني التخلي عنها أو نبذها ، بل هما مع كل ما فيها من ضلال وانحراف ، حق نحافظ عليه ونعتبره جزءاً من حضارتنا .

إن الإسلام بمبادئه وتنظيماته وشموله لا يرضى بواقع الخلفاء المذل وبما آل إليه الأمر من ضعف وهوان وتحاذل وانحراف . . . إلا أنه أيضاً لا يرضى بالغاء منصب الخلافة وبازالة معالمها من الوجود .

---

(١) العرب والترك محمد جميل بيهم ص ٨٠ .

والخلفاء ، هم كما يقول فيهم الإمام الحسن البصري ( هم يلون من أمورنا الجمعة والفيء والثغور والحدود . والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وإن ظلموا والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون ) (١) .

هناك إذن اعتبارات إسلامية عليا لا يجوز لنا إلغاء منصب الخلافة مهما كانت الظروف والأحوال .

ولقد أدرك المسلمون في كل زمان هذا الأمر . . . ان خلفاء بغداد كانوا قد خسروا سلطتهم ولا سيما في خارج العاصمة ، ولكن الخلفاء وقتئذ كانوا يحتفظون بسلطة روحية يعترف لهم بها أولئك المتغلبون فضلاً عن سائر العالم الإسلامي ، (٢) .

وهذا الشعور ، هو نفسه كان سائداً في العالم الإسلامي قبل إلغاء الخلافة حتى في أولئك الذين ثاروا مع مصطفى كمال ضد الاحتلال . . فجميعهم كانوا يرفضون حتى مجرد التفكير في إلغاء الخلافة فكيف بالإلغاء ذاته .

يحدثنا الكاتب الألماني داجوبرت فون ميكوش في كتابه ( مصطفى كمال المثل الأعلى ) : ان الذين تعاونوا معه اشترطوا عليه شرطاً واحداً على الرغم من ثقتهم به وهو ألا يقوم بعمل من الأعمال فيه مساس بحقوق السلطان أو فيه تجريح لعواطفه وأكدوا له أنه ينبغي أن تكون الخلافة فوق كل شيء وأن لا تمس السلطنة بضر فأكدهم ما يريدون لأنه لم يجد مفرأ من تقديم هذه التأكيدات (٣) .

---

(١) مالك لأبي زهرة حاشية ص ٥٢ .

(٢) العرب والترك ، محمد جميل بيهم ص ٦٥ .

(٣) مصطفى كمال ص ٢١٢ عرب هذا الكتاب الى العربية كامل صموئيل مسيحه ونشرته المكتبة الاهلية في بيروت سنة ٩٣٣ وكتب مترجه عن المؤلف ما يلي « وقد اعتمد المؤلف الألماني على وثائق عديدة انكليزية وفرنسية وإيطالية وتركية كما انه ترجم مذكرات مصطفى كمال ذاتها وقد اعتمد على المعلومات الكثيرة التي جمعها من اصدقائه الأتراك فجاء كتابه تحفة تاريخية نادرة ومثلاً أعلى للكتابة بأمانة واخلاص عن سير الرجال والعظماء » ص ٥ .

ويشير الكاتب إلى أن قضية الفاء الخلافة كانت امراً منتهياً عند مصطفى كمال ومع ذلك فقد أعطاهم ما يريدون من المهود والموائيق . .  
« ولقد أثارت قضية الخلافة - أي إلغاؤها - اهتمام العالم الغربي بل كان اهتمام الغربيين يفوق ما بدا من المسلمين أنفسهم » (١) .

الصليبية واليهودية وراء الفاء منصب الخلافة :

والحقيقة :

ان الصليبية العالمية واليهودية كانتا منذ قرون تعملان منفردتين في البداية ومتعاونتين في النهاية للقضاء على هذا الرمز الباهت ، الخلافة الاسمية الإسلامية . .

فأوروبا التي انهزمت أمام صلاح الدين الأيوبي استيقظت فجأة على ضربات محمد الفاتح فاهتزت وارتفعت وقامت قيامة الغرب فتنادى لاستئناف الحروب الصليبية ثم ما ان ذاع نبأ موت السلطان الفاتح حتى اعتبرت أوروبا موته بمثابة السلامة من خطر كان محققاً . وبلغ سرورها لهذا الخبر حسب رواية لافالليه Lavallée أن قداسة البابا أمر بأن يعتبر يوم وفاة السلطان يوم عيد بأن تقام صلوات الشكر خلال ثلاثة أيام ، (٢) .

ومن ذلك اليوم . . وأوروبا تستأسد يوماً بعد يوم . . وتنتظر الفرصة المواتية للانقضاض الأخير .

وفي أثناء الحرب الأولى وبعد أن دخل الجنرال اللنبي إلى دمشق وقف بكل وقاحة أمام قبر صلاح الدين ليقول له : الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين قم فقاتل . .

وقبل ذلك ، وعلى ما يبدو ، كانت اليهودية العالمية قد قررت انهاء

---

(١) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ٣٦٣ .

(٢) العرب والترك محمد بيهم ص ١٠٢ .

فلسطين ، وتنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون <sup>(١)</sup> . وبدأ التعاون عميقاً وثيقاً بين اليهودية والصليبية وكانت باريس وسالونيك مركزي هذا التعاون. الخلافة في استانبول انتقاماً من السلطان عبد الحميد الذي رفض ان يبيعهم.

ففي باريس نشأت جمعية الاتحاد والترقي وكان لها فروع في برلين وفي سالونيك . . « وكان فرع باريس منظماً تنظيمياً ربيعاً وكان برنامجاً متطرفاً ووسائل الدعاية التي يعتمد عليها قوية متينة وأخيراً استطاع فرع سالونيك أن ينتصر على الفروع الأخرى إذ بدأ أعضاؤه يعدون العدة للثورة .

« وكانت المحافل الماسونية . . وعلى الأخص المحفل الايطالي الأكبر في سلانيك ترحب بأعمال هذه الجمعية وتنتصر لها انتصاراً أدبياً وكانت الجلسات تعقد في غرف المحافل الماسونية التي يستحيل على الجواسيس أن يصلوا اليها مهما بذلوا من جهد وكان كثير من أعضاء هذه المحافل مندمجين في جمعية الاتحاد والترقي وبهذه الوسيلة استطاعت الجمعية أن تضاعف عددها وتقوي نفوذها بفضل المعونة التي كانت تتلقاها من ( الأحرار ) كما أن أعضاء الاتحاد والترقي كانوا ينتفعون بالأساليب الماسونية في الاتصال باستانبول بل في التقرب من القصر ذاته » <sup>(٢)</sup> .

وخطورة سلانيك تكن في جماعة الدوغة . . وحتى يعرف من هم يجب أن نسمع إلى محمد جميل بيهم في كتابه الترك والعرب حيث يقول ( هذا ويرد بعض المراقبين الفتور الديني الذي بدأ من قبل ويبدو الآن \* في الأوساط السياسية التركية الى جماعة ( الدوغة ) أولئك الذين تأمروا على السلطان

---

(١) تنبأ العالم الروسي سرجي فيلوس الذي نشر بروتوكولات صهيون لأول مرة في روسيا عام ١٩٠٥ بزوال الخلافة في استانبول وقيام الثورة البلشفية في روسيا وانهيار عروش ملكية في أوروبا - راجع مقدمة الكتاب للاستاذ محمد خليفة التونسي ص ٣٣ الطبعة الثالثة حيث جاء ما نصه : ومنها نبوءته بسقوط الخلافة العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس اسرائيل .

(٢) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ .

\* سنة ١٩٥٧ .

عبد الحميد الثاني وقاموا في عداد من قام بالانقلاب العثماني باسم « جمعية الاتحاد والترقي » التي استأثرت بالحكم حتى زوال السلطة ( والدونغمة ) هم يهود كانوا يقطنون في ولاية سلانيك اعتنقوا الاسلام بعد الفتح العثماني التماساً للحظوة والنفع أسوة بيهود إسبانيا الذين تنصروا في عهد فرديناند واليزابيت هرباً من مظالم مجلس التفتيش .

« وقد بقي ولاء الدونغمة الى اليهودية العالمية محفوظاً في قلوبهم إبان عهد السلطنة وبعدها وكان يبدو في مناسبات كثيرة ولا سيما في المناسبات التي لها صلة باليهود . وآية ذلك ما حدث منذ نصف وعشرين عاماً أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي في مدينة بال وهي معقل اليهود في أوروبا الوسطى فقد كان رشدي أراس وزير الخارجية التركية يومئذ موجوداً في سويسرا فأفصى بحديث الى مجلة سويسرية لمناسبة هذا المؤتمر جاء فيه : « انه مسلم من أبوين مسلمين ولكنه مع ذلك لا يرى بأساً أن يعلن أنه ينحدر من صلب أجداد يهود وإنه يعطف على الصهيونية وأهدافها » (١) .

ان الأسباب جميعاً قد تهيأت . . ولا بد من الرجل القائد ، فكان مصطفى كمال من ملانيك من الدونغمة .

يصف مصطفى كمال في مذكراته ، والده فيقول :

« كان . . رجلاً حر الفكر يقاوم رجال الدين ويؤيد الأفكار التي تنسرب من الغرب ويتشبث بها فكانت أمنيته أن يجدني في عداد تلاميذ مدرسة « عالمية » دنيوية لا « دينية » (٢) .

ويقول : « انه كان شديد العناية بأناقة ثيابه . . يريد أن يظهر بحلاء الناس أنه وإن كان ضئيل الثروة فهو جنتلمان لا يقل شأنًا عن أرقى الأوروبيين . . وكان من ناحية أخرى يريد أن يعتقد الناس فيه أنه أوروبي

(١) العرب والترك ص ١٩٨ - ١٩٨ .

(٢) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ٧ .

في مظهره الخارجي كما هو أوروبي في أفكاره وميوله وأنه ودع الشباب التركية القديمة .

أما مصطفى كمال نفسه فقد دخل الى المدرسة الحربية في استانبول بعد أن كان « إبان العطلات المدرسية في سلافيك يتلقى الدروس الفرنسية سرّاً ؟ من رئيس دير ؟ فرنسي يدير مدرسة وكان يشدد على تلميذه مصطفى ويعتني به عناية خاصة » (١).

فلماذا كان يتلقى الدراسة سرّاً من رئيس دير يدير مدرسة علنية وما معنى هذه العناية الخاصة . . ثم لماذا انتقل الى الحربية في استانبول ؟ هذا ما نبأتنا به الأيام فيما بعد . . فقد كان عضواً في الاتحاد والترقي . . ثم أصبح قائداً ( غازياً ) محرراً للبلاد . . ثم أصبح رئيساً . . ثم ألغى الخلافة والسلطنة .

بدأ مصطفى كمال حياته العامة بسيطاً ثم ضخمت الأحداث إلى أن استطاع تشكيل مجلس وطني في أنقرة التي جعلها مركز نشاطه ومقاومته الاحتلال اليوناني .

وبفضل الدعم الانكليزي الظاهر والمستتر ألف مصطفى كمال حكومة انتقالية وسارعت الدول الغربية للاعتراف بها - مع اعترافهم بحكومة استانبول - ثم دعت حكومة أنقرة للمفاوضات في لوزان .

ويقال ان كرزون وزير خارجية انجلترا ورئيس وفد لوزان المنعقد في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ قد وضع للوفد التركي الذي كان يرأسه عصمت أنونو أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي :

١ - إلغاء الخلافة إلغاء تاماً وطرد الخليفة خارج الحدود ومصادرة أمواله

---

(١) المصدر السابق ص ١٩ .



٢ - اعلان علمانية الدولة .

٣ - أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية .  
٤ - أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور - مدني  
بجث - وعلق نجاح المؤتمر على هذه الشروط الأربعة ولذلك انفض المؤتمر في  
٤ شباط سنة ١٩٢٢ من غير أن يسفر عن نتيجة وأعلن اخفاقه وعاد  
عصمت إلى تركيا فهرع مصطفى كمال إلى لقائه في ( اسكي شهر ) حيث  
عرف منه جميع الأمور <sup>(١)</sup> . وهذه الشروط كانت إحدى أمنيات مصطفى  
كمال أو أحد الأمور التي كلف بها منذ زمن بعيد .

فمصطفى كمال يرى - كما يقول الكاتب الألماني داجوبرت فون ميكوش -  
( أن ضرورة خلق الدولة التركية القومية البحتة ومراعاة تخومها الطبيعية  
من الأمور الجلية كل الجلاء . . ولكن خطته التي كان ينوي تنفيذها والعمل  
بها كانت من الجرأة والافتحام ما يصعب تصوره في ذلك الحين لدرجة أن  
اضطر مصطفى لإخفاء هذه الأغراض حتى عن رفاقه ؟

« ويعلم الله انه لو كان قد حدث أقرب الناس اليه في ذلك الزمن عن  
« الجمهورية » مكان ( السلطنة ) وتكوين الدولة ( الدنيوية ) مكان ( الدينية )  
لما كانوا فهموه بل كانوا إذا فهموه يأبون حتماً أن يتبعوه . . » <sup>(٢)</sup> .

أما وقد ربط مصير تركيا واستقلالها بإلغاء الخلافة . . ( هذا الشيء  
الخيالي الذي ( لا معنى له ولا مبرر لوجوده ) كما يقول مصطفى كمال <sup>(٣)</sup>  
فلا بد من تحقيقه ، أي إلغاء الخلافة ، فالاستقلال أهم شيء في الوجود !

---

(١) كيف تهدمت الخلافة لعبد القديم زلوم ص ١٨١ وقارن به المخططات الاستعمارية  
لمكافحة الاسلام للاستاذ الصواف ص ١٧٤ .

(٢) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ١٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

وبدأ التحرك . . .

فأجرى انتخابات عامة ، وتدخل تدخل سافراً ، لتغليب حزبه حزب الشعب على غيره . . . حتى إذا عقد المجلس النيابي ، (١) فاجأ الجميع بقترح إعلان الحكم الجمهوري والغاء السلطنة . . . وأخذ الأعضاء يظهرن تخوفهم من هذه الخطوة الجريئة ولكنهم وجدوا أنهم أمام الأمر الواقع وأن هذه الهجوم الفجائي قد نجح نجاحاً تاماً . . . وبعد مناقشة صورية ؟ وافق الأعضاء على الحكم الجمهوري . . . واستقرت الحالة على أن يكون الإسلام دين الدولة وأن يكون مصطفى كمال رئيساً للجمهورية (٢) .

وحكم مصطفى البلاد حكماً مستبدأ وأصدر قانوناً يتضي بالموت على الذي يهاجم الجمهورية . . . وراح مصطفى ينسق الخطط لإلغاء الخلافة وعلمنة الدولة . . .

ولنترك الكلام الآن الى الكاتب الألماني ميكوش ليصف مرحلة الإلغاء وما رافقها :

#### الماني يصف مرحلة إلغاء الخلافة

« بعد ان تحولت الدولة الى جمهورية كان من الضروري أن يبت في قضية الخلافة ووجد الخصوم الذين لم يرتاحوا لإعلان الجمهورية ولم يطمئنوا لازدياد قوة مصطفى كمال أن الأمل الوحيد في التخلص من هذه الحالة إنما يكون عن طريق مهاجمتهم لمصطفى كمال من ناحية الخلافة .

« واخذت الصحف التي تصدر في اسطنبول تقاوم الحكم الجمهوري علناً ووجد مصطفى كمال أنه من الضروري أن يعمل على إلغاء الخلافة قبل أن يصبح فيضان المعارضة السياسية والدينية جارفاً يكتسح السد الحكم الذي

(١) العرب والترك ص ١٧٧ .

(٢) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ٣٦٠ .

بناه وعلى الأخص لأن الخليفة كان موضع احترام ٣٥٠ مليون نسمة من المسلمين الذي يقيمون في ممالك متعددة وهو لا يعتمد إلا على الأتراك الذين كانوا لا يزيدون عن أربعة عشر مليوناً ..

«وأعلن مصطفى كمال بكل صراحة ووضوح ان وظيفة الخلافة ليست لها قيمة مادية أو سياسية ولا مبرر لوجودها .. إلا كأثر من آثار الماضي المظلم ؟ !!

« وفي أول أذار اجتمع المجلس الوطني .. وكادت تدرر الخطبة الافتتاحية حول ضرورة القضاء على الخلافة .

« وأخيراً استطاع مصطفى كمال ان يفوز في أيام بالنتائج التي لم تتوصل إليها أوروبا إلا بعد حروب مائة سنة فصل الكنيسة عن الدولة أو الخلافة عن الدولة .

« أجل .. في اليوم الثاني وافق المجلس الوطني في الساعة السادسة والنصف صباحاً على إلغاء الخلافة بعد جدال استغرق ساعات الليل كلها وطلب من الخليفة وأفراد أسرته مغادرة البلاد في مدة عشرة أيام وحرّم عليهم الإقامة في تركيا والغيت كل الوظائف الدينية وأصبحت أوقاف المسلمين ملكاً للدولة .. كما أن المدارس الدينية تحولت إلى مدنية وباتت تحت رقابة وزارة المعارف ..

« وقد أثارت قضية الخلافة إهتمام العالم الغربي بل كان إهتمام الغربيين يفوق ما بدا من المسلمين أنفسهم .

« وكان الهنود يؤيدون الأتراك في نهضتهم الوطنية ويدافعون عن قضيتهم في انكسار لهذا كان احتجاجهم شديداً على إلغاء الخلافة وبذلت الجهود الكبيرة لجعل مقر الخلافة الجديد الحجاز أو مصر .. ولكن ضاعت هذه الجهود عبثاً ..<sup>(١)</sup>

---

(١) مصطفى كمال المثل الأعلى ص ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ .

« ومنذ ذلك أسفر مصطفى كمال عن وجهه الحقيقي وشرع يوجه الدولة الجديدة شطر العلمانية ( التي يؤمن بها ) ؟

« ولقد استهل مصطفى كمال عهده بترجمة القرآن الكريم الى اللغة التركية وبإلغاء وزارة الأوقاف الإسلامية ونظام الوقف والمحاكم الشرعية وقوانينها ثم عمد الى رفع الحجاب والغاء تعدد الزوجات وأمر بالغاء الطرق الصوفية والتكايا ومصادرة أموالها وبأخلاء جامع أيا صوفيا وإعداده في مصاف الآثار القديمة .

ثم والى أعماله التجديدية (؟) فمنع الطربوش ودعا الى استبداله بالقبعة ( ١٩٢٥ ) وعدل الدستور لكي يحذف منه العبارة التي تنص أن الإسلام دين الدولة ( ١٩٢٨ ) وألغى تدريس العلوم الدينية ( ١٩٢٩ ) وأدخل إلى الجوامع تلاوة القرآن بالتركية وحول الآذان إلى هذه اللغة ( ١٩٣٢ ) ورفع من برنامج جامعة استانبول القسم الديني ( ١٩٣٣ ) وحظر على رجال الدين الاستمرار على التزيّ بلباسهم القديم ( ١٩٣٤ ) الخ ..

( هذا فضلا عن إعلانه المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الميراث بالإضافة إلى تبديله الحروف العربية بالحروف اللاتينية وحمله الشعب على تغيير أسمائهم وكنامهم بأسماء وكنى ترجع الى الطورانية وذلك أسوة به إذ أسمى نفسه أتا تورك عوضاً عن مصطفى كمال .

يعلق المستشرق الأمريكي أرنولد توينبي ( على أحداث تركيا الكالية بقوله : (١) »

« ولم يكتف الأتراك بتغيير دستورهم ( وهو شيء سهل نسبياً في مجال الإصلاح الدستوري ) . بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الاسلامي - الخليفة - وألغت منصبه - أي الخلافة ، وجردت رجال

---

(١) الاسلام والغرب تعريب الدكتور نبيل صبحي ص ٥٠ الصادر سنة ١٩٦٩ .

الدين المسلمين وحلت منظماتهم، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب وأجبرت الرجال على ارتداء التبعات التي تمنع لبسها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية، خاصة السجود، وكنست \* الشرعية الإسلامية بأكملها وتبنت القانون المدني السويسري بعد أن ترجمته إلى التركية وطبقت قانون الجرائم الإيطالي وذلك بفرض هذين القانونين بعد التصويت عليها في المجلس الوطني، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية وهذا أمر لا يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم .  
« وأهم وأشجع تغيير قام به أولئك الثوريون في تركيا هو ما قدموه للشعب من قيم ومثل اجتماعية جديدة » .

.. واعترفت الدول باستقلال تركيا وانسحب الانجليز من استانبول والمضيق وغادر هارنجتون - قائد قوات الحلفاء والصديق الحميم (?) لمصطفى كمال - تركيا وعلى أثر ذلك احتج أحد النواب الانكليز على كرزون - وزير خارجية الانجليز - في مجلس العموم لاعترافه باستقلال تركيا فأجابته كرزون قائلاً <sup>(١)</sup> :

القضية إن تركيا قد قضي عليها ولن تقوم لها قائمة لأننا قد قضينا على النقوة المعنوية فيها . الخلافة والاسلام <sup>(٢)</sup> .

وهكذا انتصر الغرب على الشرق وزالت الخلافة الاسمية (?) من الوجود بعد أن دالت دولة الإسلام عبر الزمن والقرون ..  
فهل من بعث جديد ؟

« وتلك الأيام نداؤها بين الناس » .

« وليس ذلك على الله بعزيز » .

---

\* هذا هو تعبير المستشرق !!

(١) كيف هدمت الخلافة ١٩٠ .

(٢) خاب ظنهم فقد عاد الإسلام يزحف من جديد إلى قلوب الأتراك ومؤسساتهم ؟ !

انظر الحركة النورية في تركيا في فصل المجابهة من هذا الكتاب .

الفصل السادس

الهجوم المأكّر

منذ مطلع الإسلام ، وأعداء الإسلام يشنون عليه الهجوم تلو الهجوم  
بمختلف الأسلحة والأساليب . . وفي كل معركة خرج هذا الدين منتصراً  
مثبتاً إصاليته واستملاءه ومحبطاً مؤتمرات المهاجمين ، القاضية باجتثاث جذوره  
من الأرض والقضاء عليه في الوجود .

فبعد عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر وفتنته الكبرى تعرض التصور  
الإسلامي لهجمات مقنعة من الفلسفة الاغريقية فاضطرب إيمان بعض الناس  
والمفكرين بما فيهم الإمام الحجة أبي حامد الغزالي حتى قذف الله في قلبه  
النور فبدد حجب الجاهلية الجديدة ورد على الفلسفة والمتفلسفين <sup>(١)</sup>

#### المحلات الصليبية بين اهدافها ومجاهدتها :

وفي أواخر القرن الخامس الهجري حيث كانت الدولة العباسية على ما  
وصفنا من ضعف وتجزئة هبت أوروبا مليية نداء البابا <sup>(٢)</sup> للغزو الصليبي ،

---

(١) راجع التاريخ الاسلامي للدكتور شلي وكتاب الماسونية وكتاب المنقذ من الضلال للامام  
الغزالي .

(٢) هو البابا اربان الثاني . وجاء في الموسوعة الميرة مادة الحروب الصليبية ص ٧٠٩ ما  
نصه : « وقد كان دافع الحروب الصليبية المباشر هو الموعظة التي القاها اربان الثاني في مجمع  
كارمونت سنة ١٠٩٥ وحث فيها العالم المسيحي على الحرب لتخليص القبر المقدس من المسلمين  
ووعد المحاربين بأن تكون رحلتهم الى الشرق بمثابة غفران كامل لذنوبهم كما وعدهم بهدنة عامة  
تحمي بيوتهم خلال غيبتهم . راجع ايضاً كتاب العرب لفيليب حق ص ٢١٨ حيث يقول عن  
البابا «انه استنهض هم المؤمنين لسلوك الطريق المؤدية الى كنيسة القيامة وانتزاعها من أيدي  
القوم الأشرار والاستيلاء عليها » .

لما استنفرها ، وقذفت بلادنا بمئات آلاف من أبنائها رافعين الصليب مرددين صيحة واحدة : ان الله يريدنا <sup>(١)</sup> .

ونزلت جموع الصليبيين الوافدين من أوروبا بأرض الشام واستطاعت أن تقطع الأجزاء الساحلية وفلسطين وأن تقيم فيها أربع إمارات لاتينية <sup>(٢)</sup> ويمكن لنا أن نلخص أهداف الحملات الصليبية في هدفين كبيرين :

اولهما : إذلال المسلمين بغزوم في عقر دارهم <sup>(٣)</sup> .

ثانيهما : إقامة إمارة أو إمارات صليبية وخاصة في فلسطين تدوم الى الأبد وتتوسع حتى تقضي على الإسلام والمسلمين <sup>(٤)</sup> .

وبدأت حروب الجهاد والتحرير من قبل المسلمين وقيض الله لهم عماد الدين زنكي سنة ٥٤١ «الذي قارع الصليبيين وهزمهم في معارك كثيرة وفتح الرها وقام بعده ولده العظيم الملك العادل نور الدين محمود زنكي ٥٦٩ وصمم على إجلاء الصليبيين من الشام واسترداد القدس للمسلمين ومات رحمه الله قبل أن يكمل مهمته وخلفه في ذلك أحد رجاله وحاشيته الملك الناصر السلطان

---

(١) أي ان الله هو الذي أراد الحرب الصليبية . انظر حاشية كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتورين خالدي وفروخ ص ٣٣ وقارن بها قول الاب نسانتور رئيس الكلية اليسوعية في بيروت الذي قال : « ليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الروح أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس وصرخة أسلافنا الصليبيين من قبل : ان الله يريدنا » . انظر ايضاً كتاب العرب للدكتور فيليب حقي ص ٢١٨ « وللحال تنادى الفرنجة الى الحرب صارخين انها ارادة الله » فرددت بلادهم هذه الصرخة وتجاوبت أصداؤها في كل ناحية فملكت جو مع القلوب» .

(٢) قصة الكفاح بين العرب والاستعمار للاستاذين محمد سعيد المريان وجمال الدين الشيال صفحة ١٧ .

(٣) « ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا » حديث شريف .

(٤) يقول غاردنر : « لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليعلموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي . . والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الاسلام » راجع التبشير والاستعمار صفحة ١١٦ .



صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر وهو الرجل الذي هبأ الله لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والاخلاص والتجرد للغاية والحرص على الجهاد والتفاني في سبيله وعلو الهمة في نصر الإسلام وقتال أهل الكفر والبغي وحسن القيادة وقوة التنظيم والصلاح والديانة والفتوة والإنسانية ومكارم الأخلاق ما لا يجتمع إلا في أفئدة الرجال في العالم فكان بذلك معجزة من معجزات الإسلام ودليلاً على أن الإسلام لم ينته دوره ولم يفقد الحيوية والانتاج .

ووقف العالم المسيحي وقفة رجل واحد أزاء المسلمين ولكنه لم يستطع أن يزحزح صلاح الدين عن مكانه ، كان جيش صلاح الدين قد أعياه الجهاد الطويل والمتاعب العظيمة . فقد ظل أعواماً طوالاً مرابطاً مناضلاً مكافحاً قوياً ولكن لم يسمع من جندي واحد أنين أو شكاة انهم لم يتأخروا يوماً في الحضور ولم يرضوا قط بالنفائس والنفوس كلما دعاهم صلاح الدين الى الجهاد وكلما استنفروهم للقتال <sup>(١)</sup> .

ويتعاقب على حلبة الجهاد والكفاح أبطال غرميامين قطز وبيبرس وقلاوون ويقوم كل منهم بدوره في تسديد الضربات الى قلب الصليبي المنتحر . . . وينتصر الإسلام في صراعه ضد الصليبية الماكرة <sup>(٢)</sup> وتعود هذه تجر ذبول العمار والهزيمة من حيث جاءت خائبة حسيرة .

---

(١) ماذا خسر العالم صفحة ١٣٠ - ١٣٣ نقلًا عن تمليق المؤرخ الانكليزي .

(٢) قارن بين حقائق التاريخ هذه وبين ما أثبتته محاضرات التعليم الديني لاتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس طبعة ١٩٢٨ والتي نالت رضا البابا ليون الثالث عشر تقول هذه المحاضرات « ما هي النصرانية تضع سيف شارل مارشل سداً في وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتيه ٧٥٢ م ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً ١٠٩٩ - ١٢٥٤ في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالصلاح وتنجي النصرانية وهكذا تقهرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق السهلة » . راجع كتاب التبشير والاستعمار ص ٦٨ - ٦٩ .

## موالاة بين الصليبية المندحرة والوثنية المتقدمة :

وبعد هجوم الصليبية على الاسلام كان هجوم الوثنية .. فها هي جحافل المغول والتتار تزحف من اقاصي الشرق تهدر بقوى بشرية عاتية .. وتسقط بغداد ٦٥٦ هـ وينشر فيها هؤلاء الزاحفون الدمار والخراب ويفتكون بمئات الاف ..

في هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ الدنيا .. ينعقد الحلف والموالاة بين الصليبية المهزومة وبين الوثنية المتقدمة .. والهدف : القضاء على الاسلام . فقد صادف تقدم المغول بقاء بعض الأجزاء من ديار الاسلام في بلاد الشام تحت نير الصليبيين وكأن هؤلاء قد وجدوها فرصة سانحة للنار من المسلمين لهزائم المتتالية وتناسى هؤلاء خطر الوثنية على الدنيا بما فيها صليبيتهم .. ( وأعمى حب النار « عيونهم » عن الكارثة التي تتهددنا وتهددهم فأرسلوا الى المغول يحالفونهم ويأمرونهم على الايقاع بنا <sup>(١)</sup> .

ذكر محمد جميل بيهم في كتابه العرب والترك <sup>(٢)</sup> انه ( لما قضت الحملة المغولية وطرها من الدولة العباسية واصلت الزحف الى الأمام حتى بلغت شواطئ البحر المتوسط في بلاد الشام . غير أنها لم تتعرض للبقية الباقية من المناطق التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين بالشام ، وأهمها انطاكية ويافا وعكا . ويرجع ذلك الى ما كان بين المغول والصليبيين من العلاقات الطيبة وما تخللها من مفاوضات كان قداسة البابا يتولاها للإتفاق معاً على المسلمين .. » .. إلا أن ( عين جالوت ) كانت القول الفاصل في كل شيء .. في الوثنية الزاحفة وفي الصليبية المتآمرة المولية ..

واذن الله - سبحانه - ان يرفع المسلمون من جديد على ربي وادي

---

(١) قصة الكفاح بين العرب والاستعمار ص ٩٦ .

(٢) العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ص ٧٤ وأيضاً كتابه فلسفة التاريخ العثماني .

بيسان. بفلسطين في الخامس والعشرين من رمضان ٦٥٨ هـ رايات النصر على هامات الأعداء وثنين وصلبيين ..

بيد ان أوروبا بعد حرب القرنين وبعد هزيمتها المنكرة في حربها ضد المسلمين وبعد اخفاقها في تحقيق أهدافها الصليبية عادت ، من جديد ، تفكر بهجوم آخر وبأسلحة أخرى وبأساليب أخرى .. وكان أمام البابا سلسلتين الخامس أحد طريقتين :

اولهما : ما عرضه الصليبي المبشر رامون لل وتتخلص خطته بغزو المسلمين تبشيراً ويتوسل لذلك بالعلم والمدارس فاذا ما فشلت يلجأ عندئذ لأسلوب القوة في تنصير المسلمين<sup>(١)</sup>.

ثانيهما : تنصير المغول واستخدامهم ، من جديد ، في حرب طاحنة ضد المسلمين .

ووجد البابا ان النهج الثاني أفضل وأقرب خاصة وأن الصليبيين كانوا قد أقاموا صلات مباشرة مع المغول أثناء زحفهم على الشرق . فيمكن والحالة هذه ، أن يفتح المغول قلوبهم للتنصير ويبدأ عهد جديد من تعاون فعال هادف بين أوروبا وأقاصي الشرق وتصبح عندئذ المنطقة الإسلامية في فكي كاشة . ويغدو النصر والتنصير قريبي المنال ..

« ومهدت الكنيسة زمناً طويلاً لتنصير المغول »<sup>(٢)</sup> ، إلا ان جهودها ذهبت أدراج الرياح .. وانقلبت الأوضاع رأساً على عقب وتبدل الموقف .. فهؤلاء المغول ، محط الآمال ، الزاحفون على الشرق المسلم ، يعتنقون الإسلام طواعية ومن تلقاء أنفسهم . . عند ذلك ( زال أمل كبير من آمال الدول الغربية للسيطرة على الشرق عن طريق الدين )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٧٣ و ٧٤ .

(٢) و (٣) المصدر السابق ص ١١٧ نقلاً عن اديسون .

## تغير المواقف واعلان خطة لل التبشيرية :

وأحببت خطة البابا الصليبية من جديد وتبدل الموقف بسرعة وعادت أوروبا تتلقى ضربات شداداً من المسلمين بقيادة محمد الفاتح فطار صواب البابا وحار في أمره وبدأ ينتظر ساعة الخلاص حتى انه لم يتردد بأقامة صلوات الشكر ثلاثة أيام عندما علم بوفاة هذا الفاتح العظيم واعتبر يوم موته عيداً رسمياً يحتفل به <sup>(١)</sup> .

اقتنعت أوروبا وعلى رأسها البابا بفعالية الخطة الأولى التي عرضها لل عام ١٢٢٩ والقاضية بوجوب غزو المسلمين تبشيراً عن طريق العلم والمدارس . . خاصة وان علاقة قد نشأت وتوطدت بين الصليبيين وبين طائفة من أهل الشرق وهم موارد لبنان <sup>(٢)</sup> فلربما كان بالإمكان أن يصلوا عن طريقهم الى ما تصبوا اليه نفوسهم ، ويحققوا بواسطتهم ما عجزوا عنه بواسطة المغول الوثنيين .

---

(١) كتاب العرب والترك لمحمد جميل بيم ص ١٠٢ .

(٢) يقول الاستاذ ميشال غريب في كتابه الطائفية والاقطاعية في لبنان ص ٣٤ - ٣٥ ما نصه : « ترجع علاقة الاوروبيين بلبنان الى عهود الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر إذ كان موارد لبنان لا يقفون في وجه الجيوش الصليبية الزاحفة الى القدس بل كانوا على العكس يمدونهم بكل عون ومساعدة ، بالعتاد والرجال وكان ذلك طبيعياً للموارد . اذ كانوا يقاسون حالة من الفوضى السياسية لا تطاق \* فرحبوا بالصليبيين أحسن ترحيب لانسجامهم وايامهم بالدين والمعتقد وتوطدت بينهم أطيب العلاقات واستغل الفرنج هذا الحال فجعلوا للماروني المكنة المرموقة في الدول التي انشاؤها وميزوم عن سوامم بالرتب والنعم وزادوا في اضطهاد الحمديين والتنكيل

=

---

\* من العجيب أن يذكر المؤلف الاستاذ غريب هذا وكان في الصفحات ١٨ - ١٩ - ٢٠ من كتابه نفسه قد أثبت حسن معاملة المسلمين عبر التاريخ للنصارى وخاصة في عهد صلاح الدين الايوبي حتى انه استشهد ببيتين من الشعر لاحد الشعراء قال فيها :

فاق دين المسيح في دولة العادل      حتى علا على الاديان  
ذا أمير وذا وزير وذا وال      وذا مشرف على الديوان

للهجوم محاور ولكل محور اسلوب ومنهاج :

والحقيقة أن أوروبا في حربها الجديدة ضد المسلمين لم تعتمد محوراً واحداً في الهجوم الماكر . ففضلاً عن أسلوب التبشير المعروف بخطة لل فقد ضربت بكل فكرة ظهرت فيها ، بلاد المسلمين ، وجعلتها محوراً في صراعها مع الإسلام .

ان أوروبا التي لفظت للكنيسة وآمنت في بعض المجالات بقيم الحادية (١) تعاونت باخلاص مع الكنيسة ومع الاتحاد ومع القيم الجديدة ومع كل شيء في سبيل تأمين نصرها في هجومها الماكر الجديد . « فهي قد علمت ، بشكل قطعي ، ان للإسلام فاعلية وحركة تؤهلته دائماً لرد الهجوم وللقيام بهجوم مضاد ولتحويل الهزيمة الى نصر كاسح .

يقول لورانس براون : « لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ولكننا بعد اختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف ، لقد كنا نخوف من قبل « بالخطر اليهودي » \* والخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي إلا أن هذا التخويف كله

---

= بهم وهذا ما يجمع عليه كبار المؤرخين نذكر منهم الاستاذ أديب فرحات الذي يقول في مؤلفه عن تاريخ لبنان وقد ساعد مرده اللبنانيين كثيراً فان أميرهم يوحنا أرسل ولده سمعان بنجدة لا تغل عن خمسة وعشرين الف مقاتل لنصرة لويس التاسع ملك فرنسا الذي وافى عكا لينجد الافرنج سنة ١٢٥٠ فرحب بهم الملك لويس وكرمهم وحملهم رسالة الى بطريرك الموارنة وأساقفتهم بصرح فيها بأنه اتخذ طائفتهم المارونية تحت حمايته أما العلامة الدكتور فيليب حقي فيذكر في مؤلفه الكبير (لبنان في التاريخ) . ما يلي: وحسب تقليد الموارنة فان لويس التاسع كان أول صديق فرنسي لهم تقول الرواية انه عندما نزل الى البر في عكا تقدم اليه وفد مؤلف من خمسة وعشرين الف ماروني ومعهم المؤن والهدايا وفي هذه المناسبة سلمهم رسالة مؤرخة في ٢١ أيار سنة ١٢٥٠ فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم يقول في هذه الرسالة ونحن مقتنعون بأن هذه الامة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الامة الافرنسية .

(١) راجع الفصل الاول من هذا الكتاب .

\* اسم كتات ظهر في أوروبا في مطلع القرن العشرين ويعرف هذا الكتاب ايضاً : « بروتوكولات حكماء صهيون » .

لم يتفق كما تخيلناه . اننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الأكبر ثم رأينا ان البلاشفة حلفاء لنا \* أما الشعوب الصفر فهناك دول ديمقراطية كبرى تتناوَمها . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والاختضاع وفي حيويته : انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي<sup>(١)</sup> ، هذه الحيوية هي التي تخشاها أوروبا ، أو كما يقول غاردنر<sup>(٢)</sup> « ان القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا » .

فالصراع اذن عنيف وخطير فلا بد من إحكام الهجوم وتكثير المحاور حتى اذا فشل محور انتصر آخر .

ومن هنا تعددت محاور الهجوم الماكر حتى كاد الباحث يعجز عن تحديدها وتبينها واتخذ كل محور في التحرك والعمل ، أسلوباً ومنهجاً ، يختلف عن شكل وموضوع المحور الآخر . . ولقد دق الهجوم في بعض المحاور بشكل استساغه كثير من المسلمين فسالموه وهادنوه ثم عملوا معه حتى غدوا هم أنفسهم جنود هذا المحور في هجومه الماكر ضد الإسلام وضد حركته وحيويته وفاعليته .

واننا ، وفي سبيل الدراسة الموضوعية ، نصنف محاور هذا الهجوم الماكر الى ما يلي :

- أولاً : محور التبشير والاستشراق .
- ثانياً : محور الجمعيات والأحزاب .
- ثالثاً : محور الاتجاهات الفكرية الحديثة .
- رابعاً : محور محاربة الاتحاد الإسلامي وانتشريك به .

---

\* أصدر المؤلف لورانس براون كتابه عام ١٩٤٤ : إبان الحرب العالمية الثانية ( من حاشية كتاب التبشير والاستعمار ص ١٨٧ ) .  
(١) التبشير والاستعمار ص ١٨٧ .  
(٢) المصدر السابق ص ٣١ وغاردنر هذا هو أحد المبشرين الصليبيين .

## ● محور التبشير والاستشراق

يظن البعض أن الاستشراق جهد فكري لا صلة له بالتبشير وانه يقوم أساساً على البحث العلمي والدراسة الموضوعية .

والحقيقة أن ( هذا الظن ) لا يغني عن الحق شيئاً . . . ولو أنه ينطبق الى حد ما ، على بعض المستشرقين ، وهم قلة على كل حال ، وشدوذ على القاعدة ، فالمستشرقون ، صنوا المبشرين ، ونسخة مماثلة عنهم بل ربما كانوا أخطر منهم ، إذ تزيرا بزي البحث العلمي والموضوعي ونفوا عن أنفسهم الصفة التبشيرية والتعصبية فاغتر بهم المفتونون بكل شيء مسدول عليه - ولو كذباً وزوراً - الستار العلمي .

ان محور التبشير والاستشراق أقدم المحاور ، على الإطلاق ، في الهجوم الفكري على الإسلام . ويعود تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية الى القرن الثالث عشر الميلادي وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك والسبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين الى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة . ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم الى العالم الإسلامي . .

« ويجانب هذا وذاك كان هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق أسباب تجارية وأسباب سياسية دبلوماسية وأسباب شخصية مزاجية » (١) .  
ان للحروب الصليبية أثراً كبيراً في ابتكار هذا المحور . . فهؤلاء الغزاة ،

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص ٥٢٢ - ٥٢٣

بعد احتكاكهم بالمسلمين وبعلمهم ومعارفهم ، وجدوا من المأميد لهم لهجات قادمة ، دراسة أوضاع الشرق الإسلامي ونقل علومه . . وأدت هذه الى عملية الاستشراق من جهة والى التبشير من جهة أخرى .

### أهداف محور التبشير والاستشراق :

ويمكن تحديد أهداف هذا المحور بما يلي :

الهدف الاول : تشكيل المسلمين بسلامهم وعقيدتهم وثقافتهم والحيولة دون تجمعهم واتحادهم .

يقول الدكتور زويمر في خطابه أمام المبشرين « ان مهمتكم أن تخرجوا المسلمين من الإسلام ليصبحوا مخلوقات لا صلة لها بالله وبالتالي لا صلة لها بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها » (١) .

ويقول المبشر تكلي : « يجب انشاء المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي ، ان كثيرين من المسلمين قد زرع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية . ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً » (٢) .

«ومن المبشرين نفر يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية أو يستخدمون غيرهم في سبيل ذلك ، ثم يرجون كلهم مما يكتبون ، أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية وبين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية والتي يعدونها نصرانية لأن أمم الغرب تدين بالنصرانية ليخرجوا دائماً بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية الإسلامية وبالتالي الى ابراز نواحي النشاط الثقافي

---

(١) من خطاب زويمر في المؤتمر التبشيري في القدس نقلناه عن مقال في جريدة الشباب البيروتية الصادرة في ١٥/٧/١٩٧٠ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٨٧ .



في الغرب وتفضيلها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام وما غايتهم من ذلك إلا خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين وحلمهم من هذه الطريق على الرضا بالخضوع للمدينة المادية الغربية<sup>(١)</sup> .

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين الى صفوف النصرانية قد خاب من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم الانساني قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل<sup>(٢)</sup> .

وصرح رئيس الجامعة الأميركية في بيروت المستر بنروز ان المبشرين يمكن ان يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة<sup>(٣)</sup> ..

وأكثر أعمال المستشرقين تنصب في هذا الهدف وتكاد تحقق فوزاً كبيراً.. وقال لورانس براون « اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً وأمكن ان يصبحوا أيضاً نعمة له أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظنون حينئذ بلا وزن ولا تأثير » .

وقال القس سيمون « ان الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية » .

وقالوا « يجب ان نحول بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية ان تتغلغل في المسلمين »<sup>(٤)</sup> .

**الهدف الثاني : اختيار بعض الأشخاص وتمهيدهم والايحاء لهم بخلق اتجاهات معادية للاسلام بغية زعزعة عقائد المسلمين :**

قال حنا ميللكان « ان المدارس قوة لجمع الناشئين تحت تأثير التعليم

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) التبشير والاستعمار ص ٣٢ .

المسيحي أكثر من كل قوة أخرى . ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم ،<sup>(١)</sup> .

وجاء في كتاب التبشير والاستعمار « فلما اعتقدوا ان لا قدرة لهم على جعل المسلم نصرانياً أحبوا ان يجعلوا الآراء المسيحية تتسرب الى المسلمين والى المثقفين منهم خاصة . ثم أنهم اعتقدوا ان هذه الآراء تتسرب بعدئذ من تلقاء نفسها الى المجتمع الإسلامي . هذه الفكرة هي التي أقنعت المبشرين بضرورة انشاء المعاهد العالمية في البلاد الإسلامية .

« وكذلك كان للمبشرين غاية أخرى من التعليم العالي هي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد وفي الجيل الناشئ في الشرق الأدنى خاصة ذلك التأثير الذي لا يمكن ان يحقق اذا لم يكن ثمة تعليم عال ،<sup>(٢)</sup> .

واقعد رأينا في الفصل السابق<sup>(٣)</sup> كيف ان رئيس دير في سلانيك في تركيا كان يولي مصطفى كمال عناية فائقة ويهتم به ويعلمه ( سرّاً ) ؟ اللغة الفرنسية .

وسنرى في الصفحات التالية ، كيف نجح هذا الهدف في إيجاد الجمعيات والأحزاب ورجال الحكم والسياسة في البلاد العربية والإسلامية ..  
الهدف الثالث : تنصير المسلمين .

وهو الهدف الذي انطلق منه هذا المحور الخطر<sup>(٤)</sup> ومن أجله وضعوا الدراسات وامتخدموا أكثر الوسائل . - التي سنعددتها فيما بعد -  
يقول كريستين وار كوس ان الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في « تنصير » المسلمين إنما هي تعليم أولادهم الصغار ..

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٦ .

(٣) راجع فصل كيف دالت دولة الاسلام

(٤) راجع ما كتبناه في مقدمة هذا الفصل .

وبينما كان المبشرون المؤتمرون في القاهرة في نيسان ١٩٠٦ يعترفون ضمناً بصعوبة التبشير وان التبشير كان الى ذلك الحين فردياً يتناول الفرد بعد الفرد وانهم يأملون ان يصبح التبشير اجماعياً يتناول جماعات بقضها وقضيضها اذا بهم في مؤتمر بيروت غير الرسمي عام ١٩١١ يقررون ان يبدأوا تنصيراً بين المسلمين مباشراً يسير في سوريا وفلسطين خاصة يهدوء وبوسائل مختلفة ولا يجد المبشرون حرجاً في أن يعلنوا ان نشر الدستور العثماني قد جعل التنصير المباشر أكثر إمكاناً وسهولة من أجل ذلك قرروا أن يحددوا جهودهم وان يسيروا بأعمالهم الى الأمام<sup>(١)</sup>.

ويصرح الأب نسانتور رئيس الكلية اليسوعية في بيروت أيام الانتداب « ويأتي المبشر تحت علم الصليب .. يحلم بالماضي وينظر الى المستقبل وهو يصغي الى الريح التي تصفر من بعيد من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسية وليس من أحد يستطيع ان يمنع تلك الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس وصرخه أسلافنا ( الصليبيين ) من قبل : ان الله يريدنا<sup>(٢)</sup> »

الهدف الرابع : دراسة التطور الفكري والسياسي في المنطقة ، للتعديل في وسائل هذا المحور ولإمداد المحاور الباقية بأسباب الحياة والتقدم .

نشرت مجلة العالم الاسلامي \* خلاصة مقال كتبه الاستاذ ادوار ميدايول احد أساتذة التاريخ في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة لمجلة « الشؤون الخارجية » \* عنوانه : الارساليات الأميركية في الشرق الأدنى جاء فيه : ماذا يمكن ان يقال الآن عن أعمال التبشير الأميركي في الشرق الأدنى

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٣٣ .

\* مجلة تصدر في هارتفورد بالولايات المتحدة .

\* ان مجلة الشؤون الخارجية من المجلات الرصينة في الولايات المتحدة وهي تبحث في الشؤون الاجتماعية الدولية من ناحيتها العلمية والقانونية . ؟

بعد قرن كامل من الدهر ؟ يمكننا ان نحشد احصاءات هائلة بملايين الدولارات بألوف النفوس التي ضحيت في هذا السبيل ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازي النتائج التي حققت على أيدي الارساليات الأميركية والمبشرين الأميركيين في هذا المركز المهم من الشرق .. ان نفرأ من هؤلاء الرجال والنساء أمثال سيرس هملن ودانيال بلس ( أول رئيس للجامعة الأميركية في بيروت ) وماري ميرنا زبك كانوا علماء وضباط ارتباط بين الشرق والغرب وكذلك كان نفر منهم معلمين كباراً أو اطباء محبوبين يشترط فيهم طول الأناة والصبر ان جميع هؤلاء قد حلوا من أميركا جرأة نادرة .. لولاها لما أمكن كتابة الجزء الأوفر من تاريخ اليهود الأميركية في الشرق الأدنى ولكن الجرأة وحدها ليست كافية كما ان الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ما حققه المبشرون عموماً (١) .

ومن أجل هذا الهدف نرى المؤتمرات تعقد بين حين وآخر لدراسة المشروعات ولوضع الخطط . ومن هذه المؤتمرات :  
مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ .

مؤتمر ادنبره ( في اسكوتلنده ) ١٩١٠ ، أصدر تقريراً عن النواحي المختلفة التي يجب ان يهتم لها المستشرقون تم طبعه في عشرة مجلدات (٢) .  
مؤتمر بيروت ١٩١١ .

مؤتمر القدس ١٩٢٨ بقي مجتمعاً أسبوعين ( من ٢٣ آذار الى ٨ نيسان ) ووضع تقريراً في ثمانية مجلدات (٣) .  
مؤتمر القدس ١٩٣٥ .

---

(١) التبشير صفحة ١٦

(٢) المصدر السابق ١٢ وكان يضم المؤتمر ١٢٠٠ عضواً منهم (روزفلت) رئيس جمهورية امريكا السابق لكنه أرسل يعتذر عن عدم تمكنه من الحضور والباقيون من مختلف الدول وكلهم من كبار رجال المسيحية في العالم راجع المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام للاستاذ محمد محمود الصواف صفحة ٢٦٢ .  
(٣) المصدر السابق .

ومن كتب الدراسات لتطور التفكير في منطقة الشرق الأوسط كتابان  
ظهرا حديثاً وهما (الغرب والشرق الأوسط) و (الاسلام والعرب والمستقبل)  
للمستشرق الأميركي أرنولد توينبي ، عربيها الدكتور نبيل صبحي وفيها  
يسلط الكاتب الضوء على أكثر الاتجاهات الفكرية في المنطقة . . .  
وللمستشرقين باع طويل في تحقيق أغراض هذا الهدف .

\* \* \*

### وسائل محور التبشير والاستشراق

أما وسائل هذا المحور في هجومه الماكر على الاسلام فهي :

الوسيلة الاولى : التعليم في الروضات والمدارس والكتليات والجامعات .  
يقول هنري حبيب - وهو أكبر المبشرين الذين عرفهم الشرق الاسلامي -  
ان التعليم إنما هو واسطة الى غاية فقط في الارساليات المسيحية . هذه الغاية  
هي قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً  
مسيحية ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه  
وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين  
والأطباء في سبيل الزهو العلمي . . فأننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : ان  
رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي الى مدى علماني ،  
محض الى مدى علمي دينوي ، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات  
هابدلبرغ وكمبردج وهارفرو وشيفيلد لا الجامعات التبشيرية التي تسعى الى  
أهداف روحية فحسب (١) .

جاء في كتاب اليسوعيون في سوريا « ان المبشر الاول هو المدرسة » (٢)  
من أجل هذا سلك المبشرون الطرق التالية :

---

(١) التبشير ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق صفحة ٦٦ .

١ - اكنثوا من المدارس وخاصة روضات الأطفال وقالوا « ان الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين إنما هي تعليم أولادهم الصغار » .

ورياض الأطفال، مثلاً، مهمة جداً، لأن التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتبشير وللتأثير في عقول الأطفال الغضة . . وكذلك التعليم الابتدائي وسيلة ثمينة للتبشير <sup>(١)</sup> .

٢ - قالت المستشرقة أنا ميلفان في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي وليس ثمة طريق الى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة <sup>(٢)</sup> .

٣ - اختاروا المدرسين والمعلمين واشترطوا في المعلم أن يكون أجنبياً غير وطني أما اذا دعت الحاجة الى معلم وطني فليكن مسيحياً في الدرجة الأولى ولكن يجب أن يكون متمرنًا على التبشير <sup>(٣)</sup> وظهر تعاون المستشرقين والمبشرين في المناصب الكبرى في الجامعات .

٤ - وضعوا كتباً خاصة بهم لختلف حقول التعليم وسخروها جميعاً للدرس على الاسلام وأحالوا الطلبة على مراجع تبشيرية واستشرافية تنضح بالسم .

٥ - اجبروا الطلاب المسلمين على دخول الكنيسة والاستماع الى مواعظ الأحد والقيام بالطقوس المسيحية وعندما احتج الطلاب على ذلك لم يتردد عمدة الجامعة الاميركية سنة ١٩٠٩ من اصدار بيان جاء في مادته الرابعة : « ان هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي هم اشتروا

---

(١) المصدر السابق صفحة ٧٥ - ٧٦ .

(٢) من مقال في جريدة الشهاب البيروتية الصادرة في ١٥ تموز ١٩٧٠

(٣) التبشير صفحة ٦٦

الأرض وهم أقاموا الأبنية وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر اذا لم يسند لها هؤلاء . وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الانجيل من مواده ، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ . هكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وان كل طالب يدخل الى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه <sup>(١)</sup> .

٦ - حاولوا - وهذا في أسوأ الاحتمالات - بمعاونة المستشرقين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الاسلامية <sup>(٢)</sup> .

#### الوسيلة الثانية : المطبوعات .

اعتنى المستشرقون والمبشرون بالمطبوعات عنايتهم بالتعليم أو أكثر فألفوا الكتب وأصدروا المجلات والجرائد وأنشأوا دور النشر وفتحوا المطابع حتى كادت هذه المرافق تكون حكراً لهم لا ينافيهم فيها منازع .

ومما لا ريب فيه ان للكتب تأثيراً كبيراً في الناس وتلك ظاهرة لم يغفلها المبشرون إذ هم يرون ان أشد الوسائل أثراً كان انتاج النشرات المسيحية الى المسلمين .

والمبشرون حريصون جد الحرص على أن يتولى كتابة هذه الموضوعات أشخاص وطنيون لا مبشرون أو أشخاص صباؤا الى النصرانية حديثاً لأن هؤلاء يكونون أقدر على فهم عقلية جماهيرهم وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل قريب من فهم تلك الجماهير <sup>(٣)</sup> .

ان الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيئة لقبول ما تنشره عليه بل

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٠٨

(٢) الفكر الاسلامي الحديث صفحة ٥٢٦ تحت عنوان مظاهر نشاط المستشرقين .

(٣) المصدر السابق ٢٠٤ - ٢٠٥

هي تخلق الرأي العام . ويعلم المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر من أي بلد اسلامي آخر (١) .

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو اصدار «دائرة المعارف الاسلامية» بعدة لغات وكذلك اصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة . وقد بدأوا في الوقت الحاضر في اصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء ومصدر الخطورة في هذه الدائرة هي - كونها - مرجعاً لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الاسلام والمسلمين (٢) .

وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الامريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة ( العالم الاسلامي ) انشأها صمويل زويمر ١٩١١ وتصدر الآن من هارتفورد بأمريكا ورئيس تحريرها كمنيث كراج وطابع هذه المجلة تبشيري سافر (٣) .

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت. أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الاسلامي . كما انهم أقاموا المطبعة الامريكية في بيروت تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٢١ وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الاولى (٤) .

### الوسيلة الثالثة : الخدمات الطبية والاجتماعية .

ولعل أهم هذه الخدمات التطبيب وقد كان أول من أسس عيادة طبية

---

(١) المصدر السابق ٢٠٧

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي صفحة ٥٢٦

(٣) المصدر السابق صفحة ٥٢٥ - ٥٢٦

(٤) التبشير والاستعمار صفحة ٢٠٨



من أجل التبشير هم الأمريكيون وقد افتتحوها في سيواس بتركيا ١٨٥٩ ،  
وهكذا نظر الأمريكيون من ذلك الحين الى الطب على أنه معين على التنصير  
ومنذ ذلك الحين اعتبر الأمريكيون الطب مشروعاً مسيحياً وعلى هذا قال  
الطبيب بول هايسون في كتابه « الطبيب في بلاد العرب » صفحة ٢٧٧  
ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة  
عمان بأسرها لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى.  
ولا ريب في أن الطبيب يستطيع أن يصل الى جميع الطبقات من الناس  
حتى أولئك الذين لا يخالطون غيرهم ولذلك قال المبشرون ان بإمكان الطبيب  
المبشر أن يصل بتبشيره الى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين  
يعالجهم . . ثم انهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر نسخة حية من الانجيل  
ان بإمكانه أن يغير الذين حوله ويجعل منهم نصارى حقيقيين أو أن يترك في  
نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل (١) .

وجاء في كتاب اسمه مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين « نحن نعني  
بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات  
الانسانية ان المسلمين يدعون ان في الاسلام ما يلي كل حاجة اجتماعية في  
البشر فعلينا أن نقاوم الاسلام دينياً بالأسلحة الروحية . فالنشاط الاجتماعي  
يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتممه . . . » من أجل ذلك  
نحن ننصح بالسير في الاعمال الاجتماعية على الأسس التالية : ايجاد بيوت  
للرجال والنساء خصوصاً الطلبة منهم ومنهن ، ايجاد أندية للاعتناء بالتعليم  
الرياضي وبأعمال الترفيه ، حشد المتطوعين لأعمال هذه الأعمال . (٢)

وبناء لهذه الفكرة أنشأوا الجمعيات ومنها جمعية الشبان المسيحيين وجمعية

---

(١) التبشير صفحة ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ١٨٩ .

الشابات المسيحيات وكما يقول أديسون ان فروع هذه الجمعية قد نشرت في الشرق لتكون عوناً على تغلغل التبشير المسيحي<sup>(١)</sup> .

وفي الآونة الأخيرة عملت الأديرة المنتشرة في لبنان على اتخاذ خطوات من شأنها جذب الناس مسلمين ومسيحيين اليها ، فجعلت من حدائقها منتزهات لهم وسهلت المواصلات بالإيعاز الى من يلزم ببناء التلفريك ( في جونبة الى سيدة حريصا )<sup>(٢)</sup> .

ونشرت جريدة النهار البيروتية في عددها الاثنين ٢٧ / ٧ / ١٩٧٠ تحقيقاً مصوراً عن نعيم الشباب الذي أقامه دير المخلص في منطقة الدير تحت اشراف الأب حداد والذي اشترك فيه عدد كبير من الشباب المثقف حيث توجيه ثقافي !

#### الوسيلة الرابعة : رعاية بعض الاحزاب والمنظمات والتدخل في شؤون الادارة المحلية .

أما عن الأحزاب والمنظمات فسرى تفصيله في محور الأحزاب والجمعيات كما سيأتي .. ونكتفي هنا بالإشارة الى ان معظم مؤسسيها من غير المسلمين<sup>(٣)</sup> . وأما التدخل في شؤون الادارة المحلية في شؤون بلدنا - أي لبنان -

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٥ .

(٢) نشرت مجلة العربي عدد أيار سنة ١٩٦٩ تحقيقاً مصوراً عن جونبة في لبنان والتلفريك فقالت: ( ان هذا الخط الكهربائي يربط ساحل كسروان بجباله ... ويطلقون على هذه العربة الصغيرة اسم « التلفريك » . وقبل نهاية الخط تتوقف هذه العربة عند مقهى كبير ومطعم فخيم، وشرفات واسعة تطل على خليج جونبة الساحر ... وبمدها يتابع المرء رحلته الى تمثال سيدة حريصا داخل نوع آخر من العربات يطلق عليه اسم فينكولير .

(٣) نسمي منهم على سبيل المثال لا الحصر : ميشيل عفلق لحزب البعث العربي الاشتراكي - جورج حبش للقوميين العرب وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - نايف خواتمة للجبهة الشعبية الديمقراطية - جورج سعادة لحزب القومي السوري الاجتماعي .

كثيرة منظورة ، نكتفي منها بما ألمح اليه رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ، وهو تلميذ الآباء اليسوعيين ، وان كان تلميحه غير مقصود انما جاء شهادة عفوية صادقة عن مدى تأثير هؤلاء الآباء على قضايانا السياسية أيام الانتداب فهو أولاً يعترف بفضلهم في رفعه الى سلطة ادارية مرموقة وهي الأمانة العامة لحكومة لبنان وكان ذلك على يد الأب اليسوعي كاثان الذي أوصى به الحاكم لافرو - ( الصفحتان ٩٩ و ١٠١ من الجزء الاول من حقائق لبنانية ) .

كان ذلك في أواخر عام ١٩١٩ وذات يوم وأنا في مكثي في بيروت دخل علي الحاكم لافرو بدون معرفة سابقة وسلمني كتاباً من الأب كاثان يطلب مني فيه أن أعاون الحاكم بالرأي في المسائل الادارية . . . وخبرني - الحاكم - بين أمرين إما السفر الى باريس في وفد جديد برئاسة المطران عبدالله خوري وإما تولي منصب الأمانة العامة للإشراف على جميع الدولة اللبنانية ولإعادة تنظيمها فنزلت عند الحاحه واخترت الأمر الثاني .

« ويشهد الرئيس الخوري في الصفحة ٢٣٨ من نفس المؤلف بأن الآباء اليسوعيين هم الذين أوصوا بتعيين الاستاذ الفرد نقاش رئيساً للجمهورية وعين الجنرال دانتز القاضي الفرد نقاش رئيساً للدولة بتوجيه من الآباء اليسوعيين ... »

ولا ينسى اللبنانيون يوم تدخل المندوب الفرنسي السامي وعلق الدستور وحل البرلمان بناء على رغبة جهات معينة هنا ، وهناك في فرنسا ، وذلك للحيلولة دون انتخاب الشيخ محمد الجسر رئيساً للجمهورية باجماع النواب المسلمين وعدد لا بأس به من المسيحيين ( كيف يصنع الرئيس في لبنان من ملف جريدة النهار البيروتية ) .

كما ان اللبنانيين اليوم يعيشون تدخلات سلطة بكركي ، الصرح الماروني الاكبر ، في الشؤون الادارية والسياسية وفي الانتخابات النيابية والرئاسية الأمر الذي أصبح معروفاً من الجميع ...

وعلى ذلك فقس !!

واخيراً . . .

فقد عبر الدكتور ( زوير ) للبشرين عن حصة اعمالهم في الشرق المسلم ولخصها تلخيصاً جيداً بقوله :

«انكم أعددتُم شباباً في ديار المسلمين لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم بمعظائم الامور ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فاذا تعلم فللشهووات وإذا جمع المال فللشهووات وإذا تبسوا أسمى المراكز فللشهووات ففي سبيل الشهوات يحد بكل شيء» (١) .

ولا بد من الإشارة الى ان المبشرين والمستشرقين قد عدّوا كثيراً في استراتيجيتهم ، بعد ان وجد مثل هذا النوع من الشباب المثقف في الشرق المنكود ... إذ ان أهداف المبشرين أصبحت مخدومة من قبل هذا الصنف من أشباه الرجال ... وسنقف في الصفحات التالية على جهود هؤلاء ( غير المشكورة ) وعلى نشاطهم ودعاويهم في ابعاد المسلم عن اسلامه وفي محاربة هذا الدين الخالد .

ويبدو ان القائمين على ادارة التبشير في العالم العربي بعد ان حققوا أغراضهم في تخريج جيل لا يؤمن بالاسلام ... راحوا يفرغون سمومهم في أقاصي الشرق المسلم في أندونيسيا حيث نشط المبشرون الغربيون نشاطاً هائلاً وذلك حين مارس الرئيس الاندونيسي سوكارنو عملية اضطهاد عنيفة ضد الاحزاب الاسلامية السياسية فتكتل هؤلاء في تجمع اسلامي غير سياسي في محاولة هادفة للوقوف بوجه الزحف التبشيري المرعب .

---

(١) عن مقال في جريدة الشباب البيروتية الصادرة في ١٥ تموز ٩٧٠ .

ذكر تقرير مؤسسة الدعوة الاسلامية في أندونيسيا - وهو اسم  
التجمع - تاريخ ١٩٦٧/٩/٣ ما يلي :

» في تلك الأوقات الحرجة أي بين عام ٦٠ - ٦٥ لمسنا النشاط الشيوعي والنشاط الصليبي يتسابقان كفرسي رهان انهالت على الفئتين المساعدات المالية من الشرق والغرب والسفارات الاشتراكية من الكتلة الشرقية لتعمل جهاراً مع الشيوعيين فيدخل زعماء الحزب الشيوعي الاندونيسي مركز السفارة الصينية في ضحى النهار وقد يستعمل سيارة السفارة على الرغم من انه يملك سيارة خاصة حكومية وسفارات الغرب ايضاً لا تقصر في اسداها المساعدات اللازمة بل وفوق اللازم . فتبرعت المانيا الغربية بمركبين زنة الواحد منها ٢٠٠٠ طن لنقل الرهبان والراهبات في تجوالهم بالجزر النائية في أندونيسيا ولتثبيت أقدامهم في مراكزهم هناك أعني بها جزر فلوريس وتيمور وهلماسيرا وسيرام وهي كلها قريبة من ايربان الغربية واستراليا . ثم تبرعت ببناء مستشفيات في جاوا الغربية وسومطرة تقدر بملايين الدولارات لأنها تعد من أضخم وأفعم وأحدث المستشفيات عندنا ثم تبرعت هولندا بمائة وعشرين مليون روبيات هولندية أي ما يعادل ١٠٠ مائة مليون فرنك سويسري لأجل التبشير البريستاني بأندونيسيا وتبرعت أستراليا بـ ٢٥ بالمائة من حاصل بيع سيارات هولدن التي يتوكل ببيعها شركة مسيحية يهاكرتا للنصارى من البروتستانت وتبرعت أميركا لطائفة الادفيث بشراء أراض لتبني عليها مطابع لتغذي أفكار نشئنا بأفكارهم ، فعندهم جرائد ومجلات ونشرات ، ومع ذلك فقد شرعوا يبنون دياراً للطابع الكبيرة الخاصة بهم فوق التي يملكونها بوفور وغيرها ما يكلفهم ٢٥ خمسة وعشرين مليوناً من الدولارات الاميركية ، ولم نذكر بعد تبرعات بلجيكا وفرنسا وكندا وغيرها للطوائف المسيحية عندنا .

وأما الكنائس الجديدة فيقدر بعض الاخوان الذين يتتبعون حركات المسيحيين بأندونيسيا بأن النصارى يبنون شهرياً كنيسة ، لأن من قرار مؤتمرهم في مدينة ملاغ بأنهم سيننون الى جنب كل مسجد كنيسة .

ولم تكن أفريقيا بأوفر حظاً من بلاد العرب وأندونيسيا فها هم المبشرون يجوبون البلاد في دعايتهم التبشيرية ويعلنون بلا مواربة ان عدوهم اللدود في عملية الغزو للشعوب هو الاسلام.. هذا الدين الذي ينتشر بمعدل ستة أضعاف انتشار دعواهم التبشيرية .

وقد نشرت ذلك مجلة الشهاب البيروتية في عددها الصادر في ١٥ - ٣ - ١٩٧٠ في تحقيق لها عن كتاب أصدره القس ستيفن نيل بعنوان تاريخ الارساليات التبشيرية تحدث فيه عن عملية الغزو التبشيري بين صفوف الوثنيين والمسلمين في أفريقيا ..

### محور الاتجاهات الفكرية الحديثة .

شهد الشرق الاسلامي في القرن العشرين اتجاهات فكرية تختلف أساساً عن الاسلام ، في التصور والهدف وتسعى لإحلال نفسها مكانه في كل جنبات الحياة .. فهي إذن في منشئها ومبناها وفي أصلها وغايتها محاولة لطمس حقائق الاسلام ولتحويل مجاري التفكير الاسلامي كما يقول المبشرون والمستشرقون .

ولعل أكثر هذه الاتجاهات ، في بلادنا ، وليد الهدف الثاني من أهداف محور التبشير والاستشراق - كما رأينا - فهذا الهدف يقوم على تشكيك المسلمين بدينهم وزعزعة عقائدهم .. والنتيجة المنطقية لهذا التشكيك تبني الأفكار الجديدة التي تمخضت عنها اوروبا في صراعها مع الدين . فكما ان اوروبا نبذت الدين ، نبذ النواة عندما أرادت النهوض ، وآمنت بدين جديد من وضع البشر ، فلاسفة وعلماء ومختصين ، فلا بد للشرق ، أيضاً ، ان

يتغلى عن هذا الدين المشكوك فيه أو على الأقل غير الملائم لتطور الحياة والدين دين على كل حال ..؟؟ - كذا -  
ولأول مرة منذ فجر الاسلام، يقوم في الشرق ناس من أبنائه يدعون بدعوات تنافض مع الاسلام عقيدة ومنهاجاً ..

والحقيقة التي لا جدال فيها ان ( محور الاتجاهات الحديثة ) قد تولته عناية كبار المستشرقين وأساتذة الجامعات . وقد استطاع هؤلاء على الزمن ان يحدوا صنائع لهم بين « المسلمين » أو بين « أبناء الشرق » من غير المسلمين فمنهج هؤلاء تلك الاتجاهات وأفرغوها في قوالب من العاطفة الوطنية وأفردوها بمبادئ، لاءمت جو الشرق المشحون بالجهل ( وخاصة بمقتائق الدين ) وبالإدارة الفاسدة وبالتبشير والاستشراق ..

#### أهداف الاتجاهات الحديثة :

وهدف هذا المهور الانتصار على الاسلام في معركة الصراع الفكري وابعاد هذا الدين عن واقع الحياة « واصطناع » دول تقوم على شرعة علمانية منقولة عن أوروبا أو بمعنى آخر « تغريب » الشرق المسلم في حضارته وتصوراته ومنهجه في الحياة ..

وهذا المهور أخطر من محور التبشير .. فخطر المهور الأول خطر واضح يقوم على مجابهة الاسلام وعلى تحديه ويدعو بصراحة الى التنصير والى اعدام الثقة بمنهج الاسلام وبعقيدته وتصوره ، فهو عدو مكشوف، يستخدم وسائل باتت معروفة، أما خطر الاتجاهات الحديثة . . فهو خطر متعرج ملتو متستر يقوم على خداع الناس ويتدرج بإقناعهم وينحط بهم الى درجات دنيا في عصبية أو مادية أو علمانية ..

ويزيد في خطورة محور الاتجاهات اعلان بعضها في مناسبات أو في غير مناسبات عن احترامها للدين ؟ واعتزازها به - كقيمة انسانية رفيعة ؟ - وعن تمسكها بالاسلام ؟ - كحضارة تاريخية هائلة منحت التاريخ قوة خلافة

مبدعة ؟ - أو غير ذلك من المعاني المبطنة التي تفضل كثيراً من الناس بإخفاء حقيقتها عن أعين الجماهير .

واستطاعت هذه الاتجاهات ان تأخذ طريقها الى المجتمع ومؤسساته وان تلعب دوراً كبيراً في اتجاه الشرق المسلم وان تحقق مكاسب كبرى ، تجهد الآن للمحافظة عليها وتنميتها والاضافة إليها .

ويعود تاريخ هذا المحور الى القرن التاسع عشر عندما بدأ التعليم التبشيري والاستشراقي ، في الشرق والغرب ، يؤتي ثماره .. فمن المعروف ان العثمانيين أهملوا التعليم والنهضة وأغرقوا أنفسهم ورعاياهم في لجة عميقة من الجهل ، الأمر الذي فسح المجال لاوروبا لكي تغزو بلادنا ثقافياً - كما رأينا - والتلميذ يعجب دائماً بأستاذه ثم يقلده ويحاكيه ويتمنى أن يسير على منواله وسيرته .

ومن هذا القرن ، التاسع عشر ، وعلى امتداد الأعوام ، حتى يومنا هذا ، شهد الشرق الاسلامي زحف التيارات الفكرية المصطرعة في العالم فكان أول هذه الاتجاهات الاتجاه القومي بفروعه ثم تلاه الاتجاه الاشتراكي والشيوعي مروراً باتجاه علماني وآخر مادي فلسفي الخ ..

## الاتجاه القومي

### أ - القومية التركية :

كانت الدولة العثمانية تضم في إمبراطوريتها الواسعة مسلمي الشرق كله تقريباً باستثناء إيران .. فالتركي يخضع لسلطان حكومة استانبول كالعربي والتركاني أو أي مسلم آخر <sup>(١)</sup> . وحتى أوائل القرن التاسع عشر لم يشعر أحد من الرعايا بنعرة قومية خاصة متولدة عن لغته أو عرقه أو أرضه حتى أخذت القومية العرقية تتسرب الى الإمبراطورية العثمانية ( من أواسط شرق

---

(١) نحن هنا نستعرض نشوء القومية ولا نناقش في شكل التجمع في دولة واحدة أو في اتحاد أو جامعة .



اوروبا) عبر أقنية عدة . ولقد كان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب أول الناقلين عندما ذهبوا لتركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨ فلقد بقي قسم كبير فيها واعتنقوا الاسلام \* واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية وكان أحدهم الكونت قسطنطين بورزيسكي وقد سمي نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا !! ولقد نشر سنة ١٨٦٩ كتاباً بالفرنسية في استانبول اسمه ( أتراك الأمس وأتراك اليوم ) وفي الكتاب جزء كبير يشكل تقريراً للسلطان عن المشاكل الحاضرة في الامبراطورية واقتراحات حلها وبه جزء تاريخي يضم دراسة أجراها المستشرقون الأوروبيون عن التاريخ القديم للشعب التركي وبه يؤكدون دور الأتراك الإيجابي الخلاق في التاريخ ولقد حاول بورزيسكي جهده لإثبات أن الأتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب اوروبا وينتمون لما أسماه العرق ( الطوراني - الآري ) .

ولقد عمل الكونت بورزيسكي على نقل القومية البولونية ورضعها في قالب تركي وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الأوروبيين الباحثين في الشؤون التركية ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء الى المجتمع التركي من عدة طرق ، وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصاً في تقدير التاريخ التركي القديم والاعتقاد بالهوية المميزة والمركز اللائق في التاريخ ولقد كان الأتراك أكثر من العرب والعجم نسياناً لتاريخهم الماضي فلقد كانوا لا يفكرون بأية هوية أخرى غير الاسلام ، ولكن المستشرقين عن قصد \* أو عن غير قصد ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القومية الضائعة !! وعلى الدعوة الى حركة قومية تركية جديدة .. (١)

\* شكلاً .

\* ان أعمال المستشرقين لا تسمح لنا بحسن النية الدائمة . لذلك فاننا نعتقد جازمين ان عملهم هذا كان مقصوداً ان لم نقل مدروساً ومخططاً أيضاً من حاشية لعرب كتاب الغرب والشرق الأوسط . ولقد رأينا أعمالهم في محورهم !!

(١) الغرب والشرق الأوسط تأليف برنارد لويس رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الافريقية والشرقية بجامعة لندن تعريب الدكتور نبيل صبحي ص ١٢٧ - ١٢٨ .

» . . . والكلمة التي تستعمل بالعربية للتعبير عن فكرة الجنسية الوطنية هي القومية وهي اسم مشتق من قوم وتعني بالعربية الكلاسيكية الأصل والاتباع ومجموعة العشيرة وبكلمة أدق تعني - الآل - الذين يتنادون للمساعدة عند الشدة . . . ومثل كلمة ( وطن ) كلمة ( قومية ) ، وهي اشتقاق من اللغة العربية إلا أنها استعملت بمعناها السياسي الجديد في تركيا أولاً ، وكانت اللغة التركية أو اللغات الإسلامية التي نقلت ثم ( صكت ) الكلمات الجديدة للأفكار الجديدة ولقد وردت كلمة ( قومية ) بالتركية على لسان ( الشبيبة التركية ) وفي كتاباتهم وكانوا يعنون بها القومية التي تعارض الولاء الأوسع للسلطنة العثمانية الكبرى وللإسلام . . . ولذلك في سنة ١٨٧٠ انتقد علي سوافي اقتراحاً عثمانياً شبه رسمي يطلب أن يتبنى الباب العالي ( القومية ) مثل إيطاليا وبروسيا ويوحد جميع المسلمين على أساسها وبين علي سوافي بحق أن القومية في أوروبا تعني شيئاً آخر مختلفاً تماماً فليس عندنا مشكلة قومية ، والمشاكل القومية تقود لدمارنا ، وقضية توحيد المسلمين مسألة إسلامية دينية وليست مسألة قومية . . . إلا أن نداءه ذهب عبثاً وانتشرت القومية بسرعة بين المسيحيين العثمانيين وانتقلت بواسطتهم الى المسلمين : الألبان والعرب . . . وعندما ثارت القومية الألبانية سنة ١٩١٢ أثارت معها حملة من الاستنكار قام بها الشاعر محمد عاكف المسلم الوطني المعارض للقومية وكان هو من أصل الباني قال :

» ان ملتكم هو الاسلام فما هي القومية القبلية ؟  
هل العرب أفضل من الترك ؟ أو أن اللاط أفضل من الشركس والكرد ؟  
أم أن الفرس أفضل من الصينيين ؟  
بماذا يفضلونهم ؟  
ماذا دهاكم هل تقسمون الاسلام الى أجزاء متعددة ؟  
ان الرسول الكريم نفسه سفه العصبية القبلية !  
وليس باستطاعة الأتراك العيش بدون العرب .

ومن يقول غير هذا فهو مجنون .  
 والترك بالنسبة للعرب عينهم اليمنى وساعدهم الأيمن .  
 فلتكن البانيا لكم انذاراً ؟  
 ما هذه السياسة المتخبطة وما هو هذا الهدف الشرير .  
 اسمعوها مني ، أنا الألباني .  
 لا أقول أكثر من :  
 أسفي على بلادي المبتلاة (١) .  
 إلا أن محمد عاكف الشاعر كان يقاتل في معركة خاسرة كما يقول برنارد  
 لويس وانتقلت العدوى الى كل مكان .

#### ب - القومية العربية :

أما بالنسبة للعرب . . فلم تظهر العروبة كحركة سياسية تقول بالعرب  
 أمة لها حقوقها القومية . ( إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبقي أول  
 الأمر محدوداً بمجموعة صغيرة من الناس لا تمثل الشعب العربي وكان أكثر هذه  
 المجموعة من المسيحيين . . أما غالبية العرب فبقوا مخلصين للدولة العثمانية  
 حتى تاريخ اندحارها فلقد كان العرب مواطنين مسلمين في وطن إسلامي .  
 والفئة الصغيرة من المتعلمين ، الذين بشروا بالبعث العربي \* لم يلاقوا صدى  
 مناسباً ، وكما أيقظت القومية السلافية في الامبراطورية الروسية الدعوة  
 الى القومية التركية وانتقلت هذه بدورها الى الدولة العثمانية كذلك قامت  
 ( التركية ) بدورها بايقاظ الدعوى الى القومية العربية بين العرب في  
 الدولة العثمانية (٢) .

ثم كانت الحرب العالمية الاولى وجزئت الامبراطورية العثمانية وانتدبت  
 بلاد العرب والفيت الخلافة الاسمية - كما رأينا \* - وانتشر المفهوم القومي بين

(١) المصدر السابق ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ .

\* لا يقصد «حزب البعث» انما الاتجاه القومي بوجه عام .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ - ١٣٣

\* راجع الفصل السابق

العرب ، وبعد ان أخذ ، خلال الصراع مع الاستعمار ، شكل الوطنية اللاهبة بدأ يتطور حتى أضحي مفهوماً ايدولوجياً خاصاً .

« وهكذا وصلت الحركة العربية في تطورها الطويل الى هذه النتيجة التي تفترض وجود كيان سياسي واحد للعرب مثلما تفترض وجود أمة عربية واحدة لأن الدولة الواحدة هي ضمان بقاء المجتمع ووحدته .

« ويمكننا أن نغيز مفهوم اليوم ، لما كان قبلاً ، بشمبيته ، فهو ينبثق عن إرادة الشعب المجموع ، ولا يمثل طبقة أو طائفة أو عقلية معينة ولا فئة محدودة ما . . إذ لم تعد الفكرة العربية إرادة النخبة السياسية أو الثقافية ، فقط .

« . . ولا تعني الميزة الشعبية للمفهوم الحديث للحركة القومية الغوغائية بالضرورة كما يخشى البعض . وبرهان ذلك انه لم يمر على هذه الحركة عهد نشطت فيه الأبحاث النظرية في توضيح المفهوم القومي مثل اليوم . فقد أصبحت القومية العربية علماً له قواعده وله مدارسه المختلفة وله تفسيراته المتنوعة » .

« والحقيقة ان هذا المفهوم الحديث بدأ بالتححرر من التيار التقليدي القديم وبالتبلور في نظريات منهجية ومنظمات واضحة الأهداف منذ سنة ١٩٤٠ ، بفضل مساع كتابية فردية متفرقة وحركتين حزبيتين منظمتين . أما المساعي الفردية فأبرزها ما قام به أساتذة جامعيون ينتمون بطريق أو بآخر الى الجامعة الأميركية في بيروت . . وأما الحركتان المنظمتان فهما « البعث العربي الاشتراكي » و « القوميون العرب » جناحا التيار القومي المعاصر وبينهما محور ضخيم من اللامنتمين لأي من الجماعتين ، المؤمنين معهم في الوقت نفسه بأمة عربية واحدة ، بأمل مشترك في قيام كيان عربي واحد ناهض ومتحرر . . وذوي رسالة بناءة . . (١) .

---

(١) تطور المفهوم القومي عند العرب لأنيس الصايغ ص ١٠٣ - ١٠٦

ومن التفكير القومي « المفلس » اعتبار المرحلة القومية أعلى درجات التفكير الإنساني وهي مرحلة حتمية في نشوء الدول وزوالها . . . حتمية كحتمية الشيوعيين في سيادة الشيوعية ، لأن الصراع الطبقي حتمي وستقضي الشيوعية على الصراع وتزول الدولة من الوجود .

يقول دعاة القومية <sup>(١)</sup> « ان انتقال الانسان من شكل اجتماعي لآخر عبر التاريخ منذ التجمع العائلي حتى المجتمعات القومية ماراً بالعشيرة والقبيلة والمجتمع الديني والامبراطوريات السياسية والدينية . . . لم يكن انتقالاً اعتباطياً ولا انتقالاً أعمى بلا هدف . . . وإنما كان يمثل تمثيلاً صادقاً تجربة الانسان في البحث عن وضع أفضل لحياته . . . وكان الانسان يترك شكلاً معيناً من أشكال المجتمع الى آخر حين يجد أن هذا المجتمع لا يوفر له الجو الطبيعي لحياته ولا يؤمن له احتياجاته ولا يحقق له أهدافه . . . وقد ترك الانسان هذه المجتمعات الواحدة تلو الأخرى حتى وصل الى المجتمع القومي . . . »

« وكان هذا الانتقال عبر التاريخ يسير جنباً الى جنب مع تبلور الوعي القومي لدى الأمم بحيث جاء المجتمع القومي في النهاية عصارة تجربة الانسان في البحث عن وضع أفضل لحياته . . . »

أما ميشيل عفلق <sup>(٢)</sup> فيعرف القومية بأنها ليست نظرية ولكنها مبعث. النظريات ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته . . . وليست مستعبدة الفن بل نبعه وروحه . . . <sup>(٣)</sup> هذه القومية هي « حب قبل كل شيء » وهي « قدر محتوم محبب » <sup>(٤)</sup> وهي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته لأن الوطن.

---

(١) الاستاذان الحكم دروزه وحامد الجبدي في كتابهما مع القومية العربية وهذا الكتاب

يمثل رأي حركة القوميين العرب ص ٣١

(٢) و (٣) في سبيل البعث ص ٥

(٤) عنوان المقالين في ( سبيل البعث )

بيت كبير والأمة أسرة واسعة والقومية ككل حب ، تفعم القلب فرحاً  
وتشيع الأمل في جوانب النفس . . . (١) .

وبهذا استحوالت القومية عند القوميين منهج تفكير وحياة .. لذلك فلا بد  
من استحداث عقيدة تملأ جوانب هذا القلب وتفعمه بالبهجة والسرور .

يقول دعاة القومية « فكل ما في واقعنا اليوم يؤكد بأن انعطافنا  
التاريخي وانقلابنا الجذري وثورتنا الحقيقية لا يمكن أن تتم إلا بعقيدة . . .  
عقيدة تضع القيمة الحقيقية للفرد العربي وتوفر له الحياة الحرة الكريمة التي  
تتحقق فيها إنسانيته . . . وتنطلق امكانياته ومواهبه . . . وعقيدة تضع  
المحتوى الشامل للمجتمع العربي فتتحقق فيه العدالة الاقتصادية عن طريق  
نظام اشتراكي عادل . . . والعدالة السياسية عن طريق نظام ديمقراطي سليم  
والعدالة الاجتماعية الخاصة عن طريق نظم تربية بناءة . . . تضع مفهوماً  
جديداً خلافاً للمرأة والأسرة والمدرسة والهيئات ومختلف مرافق الحياة  
الاجتماعية . . . (٢) .

إذن هذه العقيدة لا تمت الى الاسلام بصلة . . لأنها عقيدة جديدة  
بنظراتها وتصورها وفي كل شيء فيها . . هكذا أرادوها أو هكذا  
أريدت لهم .

فهذه العقيدة العربية الجديدة !! الخلاقة البناءة !! لا تعترف أبداً - كما  
يقولون - (٣) بالفروقات الدينية في تكوين ونشوء الاجتماع البشري ولقد  
أثبت التاريخ - في زعمهم - أن أية وحدة لا تستمد أساسها من وحدة

---

(١) المصدر السابق ص ٨

(٢) مع القومية العربية ص ١٥

(٣) المصدر السابق ص ١١٩ .

الروابط القومية ، هي وحدة عرضية !! ما أسرع ما تتفكك حين تسنح الظروف !! \*

وتنظر هذه العقيدة الجديدة !! الى الإسلام بما يلي ولكن الدين الإسلامي بالنسبة لنا نحن العرب !! قد اختلف عنه بالنسبة لغيرنا من الأمم فالإسلام انتفاضة !! عبرت عن حقيقة هذه الأمة !! \* ومثلها العليا وعبقريتها وامكانياتها ورسالتها وتصورها للحياة والكون والانسان !! \* ولو لم يكن الاسلام كذلك لما استطاع العرب أن يفهموه وأن يعملوا بمثله وأن يسعوا لنشره بين الأمم !! \* لقد كان الدين الاسلامي رسالة الأمة العربية في الماضي .. \* نحو الانسانية جمعاء .

ولذلك فأننا نعتز به \* كدين وثقافة وتشريع ، ونفهمه على أنه نزعة الانسان نحو المثل الأعلى ، وارتقاء بالحياة الأفضل . ان الدين الإسلامي وأي دين آخر ، اذا توصلنا الى جوهره وتلمسنا روحه العامة ونظرنا إليه من هذا المفهوم على أنه قيم ومثل وفضائل وتهذيب للحياة وبلورة للإحساس ، لا أنظمة اقتصادية واجتماعية وثقافية محددة .. ان أي دين بالاستناد الى هذا المفهوم هو انطلاق - للعقل ودفع نحو التطور والتجدد .. \* (١)

---

\* ومثل هذا الكلام قاله محمد حسن الزيات مفرقاً بين الوحدة الحمدية وبين الوحدة الصلاحية نسبة الى صلاح الدين الأيوبي وبين الوحدة الناصرية ويقول في الأخيرة انها أفضل ( الوحدات ) لأنها الباقية الخالدة .. من مقال نشره في مجلة الأزهر .

\* انتفاضة عبرت عن حقيقة الأمة وليس وحياً ربانياً ليخرج الناس من الظلمات الى النور وليهب لهم نظاماً في الحياة وشرعة في الوجود ..  
\* يا ليت كان لعرب الجاهلية ما يزعمون ..  
\* هكذا بكل صفاقة وقحة ودون استحياء ..  
\* ليس في الحاضر والمستقبل بل في الماضي فقط ..  
\* مجرد اعتزاز على أنه جزء من التاريخ العربي .. لذلك فهم لا يقبلونه نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً كما سنرى ؟.

\* والا فهو - بزعمهم - انفلاق وتحجر وجود ..  
(١) مع القومية العربية ص ١١٩ - ١٢٠ .

ولقد أُنِيط دُعاة القومية بالعقيدة الجديدة مهمة خلق الإنسان العربي الجديد الذي يبتهج بالقومية - كما قال عفلق - والذي تنطلق امكانياته ومواهبه وتتحقق انسانيته - كما قال الحكم دروزه - .

واستطاعت العقيدة الجديدة ان « تخلق » هذا الانسان العربي الجديد فاتخذ العروبة ديناً بل الها فقال أحد دعايتها (١) .

« العروبة نفسها دين عندنا نحن « القوميون العرب » المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين . . لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا مع دعوتها الى أسمى ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات . »

أما محمود تيمور (٢) فقد كتب يقول « لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة فان القومية العربية هي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي . . » ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة وتكتيل الجهود والانطلاقة بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة .

« وان كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة يزكونها بأقلامهم وينفحون فيها من أرواحهم ويعملون على أن تتكامل لها أسباب النماء والازدهار . »

والآن ألا يحق لنا أن نسأل : هل طمع الصليبيون والمبشرون والمستشرقون والاستعمار بأكثر من هذا ؟

### الاتجاه الشيوعي

ظهرت العقيدة الشيوعية في أوروبا في أواسط القرن التاسع عشر وانشأها

---

(١) علي ناصر الدين قضية العرب هامش ص ١٣٨ الطبعة الثالثة .

(٢) مقال نشر في مجلة « العالم العربي » عدد ١٧١ بعنوان الفكر والقومية العربية . وقد

نقلنا الاستشهادين عن الاستاذ السيد ابي الحسن علي الندوي من مجلة البعث الاسلامي التي تصدر في الهند المجلد الحادي عشر العدد العاشر تموز سنة ١٩٦٧ .



بفلسفة خاصة ، كارل ماركس ، وفريدريك انجلز ثم أخذت تمتد حتى استطاعت ان تحقق وجهها الاشتراكي في روسيا وأن تقيم دولة الاتحاد السوفياتي .

والشيوعية تقوم على فلسفة مادية للتاريخ مفادها ان الإنسان في صراع دائم من أجل المدة وما نضال الشعوب في التاريخ إلا نضال طبقي ثور الطبقة المظلومة على الظالمة المستبدة وهكذا - على ممر العصور - حتى نصل الى صراع العمال ضد الرأسمالية وفي هذا الصراع لا بد من انتصار العمال ومن قيام ديكتاتوريتهم التي تعمل على تحطيم المجتمع الرأسمالي وعندها تتلاشى الدولة ويقوم المجتمع الشيوعي حيث تكون فيه الملكية مشاعة الى أبعد الحدود والدرجات (١) .

أما فلسفة الشيوعية المادية أي نظرتها للإنسان والكون والحياة فهي نظرة مادية بحتة فالمادة هي كل شيء في الوجود حتى التفكير الانساني فهو ( خاصة مادة عالية التنظيم ) .

وبناء على ذلك ( فليس لهذا الكون إله ) . ( والدين خرافة ) وعلى الإنسان حتى يصبح شيوعياً ، أن يكفر بكل القيم السابقة ويؤمن بالماركسية والماركسية - اللينينية وأن يتخذ الشيوعية باقتصادها وتنظيم حزبها وأسس اجتماعها منهج حياة ومصدر تصور دائم .

وقد استطاعت الثورة البلشفية في روسيا ان تكتسح بلاد المسلمين في الشرق الأقصى وأن تضمها اليها بعنف وقوة ولا تزال تمارس فيها نوعاً من التحكم المتسلط في شتى جوانب الحياة وخاصة فيما يتعلق بالعبادة والعقيدة . وبالرغم من العهد الطويل الذي قضاه الحزب الشيوعي في محاربة العقائد والأديان فلا تزال الروح الايمانية تتغلغل في أبناء المسلمين هناك الأمر الذي

---

(١) لقد تعدلت اخيراً آراء الشيوعيين لهذا الموضوع راجع كتات المجتمع والعلم والناس من منشورات وطباعة موسكو .

أوقع المشرفين على التوجيه العقائدي في الحزب في إشكال كبير فقرروا عندئذ انشاء معهد خاص للاتحاد العلمي .

ولا بد من الإشارة الى أن درس الاتحاد العلمي وهو يبحث في فلسفة الماركسية للكون والانسان والحياة وعن خرافة الأديان وأسطورة الله وعن ضرورة الايمان بالمادة وان ليس لهذا الكون إله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - مادة أساسية يتعين على كل طالب في أية مرحلة من مراحل الدراسة الفوز بها ويعلق عليها انتقاله الى مرحلة أعلى . . هذا فضلاً عن التوجيه العمالي في المصانع ومراكز العمل وعلاوة على ما تتحدث عنه النشرات والصحف ومختلف المطبوعات والتي توزع باهتمام في جنوب الاتحاد السوفياتي حيث يقيم المسلمون .

ولا ريب ان هذا العمل الدائب المستمر وبسبب ظروف أخرى أخرج أعداداً كبيرة من المسلمين من الاسلام وجندهم لاطفاء نوره في بقية القلوب المسلمة . .

ولا يقلل من خطر هذا الاتجاه ما تحاول أن تعلنه حكومة الاتحاد السوفياتي بين الحين والآخر من السماح بالصلاة في المساجد القليلة الباقية ومن طبع القرآن ومن إيفاد الحجاج الى مكة . . فهذه مسائل شكلية استهدفها المسؤولون هناك لدحض شبهة ورد اتهام . . وجدير بنا أن لا نضل بها عن موقف الحزب والدولة الرسميين .

وقد ظهر الاتجاه الشيوعي باكراً في الشرق المسلم فالشيوعيون الثوار في موسكو شعروا من أول يوم بضرورة التغافل في أوساط الشرق المسلم وخاصة في الشعوب المحيطة بروسيا في آسيا وتنهبوا الى قيمة هذا التغافل وإلى صعوبة مسالكة لأن الشرق المسلم يقوم على الدين المختلف أساساً مع النظرية الماركسية - اللينينية الاتحادية .

من أجل هذا لم ير قادة الثورة البلشفية ( من الحكمة الدخول في حرب مباشرة ضد الاسلام الذي يدين به نحو أربعين مليوناً من الناس في قازان والتركستان والقوقاز الخاضعة لحكمهم فرأوا ان يخادعوا المسلمين ويهادونهم ليكسبوا المسلمين الأشداء الى صفوفهم وهم المحتاجون لكل عون لثورتهم أبان قيامها .

« وبينما نجد الشيوعيين الروس يصدرّون في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بياناً الى جميع المسلمين يقولون فيه نعلن من الآن فصاعداً انكم أحرار في دينكم وعاداتكم ومدارسكم القومية مصونة من أي تدخل ، فأسسوا حياتكم القومية دون عائق حافظوا على الثورة وساعدوا حكومتها .. »<sup>(١)</sup>

نجدهم في عام ١٩٢٣<sup>(٢)</sup> يملنون في مؤتمرهم الكبير بدء « الهجوم الماكر » على عتائد المسلمين الباطلة ؟! وبدء البناء العقائدي الشيوعي في قلوب وعقول انفسهم الجديد من مسلمي الشرق ..

أما شيوعيو البلدان العربية من الوجهة العقائدية فهم لا يختلفون بشيء عن شيوعي العالم فهم يأخذون مبادئهم من تعاليم الحزب الرسمية الالزامية ومن كتب ماركس وانجلز ولينين والمفكرين الشيوعيين الرسميين ويقومون بالدعوة إليها وبإقناع الناس بها .

وقد مارس الماركسيون دعايتهم ودعواهم عبر حلقاتهم ومنشوراتهم وصحفهم \* والمطبوعات التي تصدرها السفارة السوفياتية في بيروت \* فضلاً عن نواديهم \* وكتابهم وكتبهم .

---

(١) التضييل الاشتراكي ٨٣ .

(٢) التضييل الاشتراكي وانظر أيضاً الاسلام والمبادئ ص ٢٢ - ٢٣ .

\* من هذه الصحف صحيفة الأخبار الاسبوعية وصحيفة النداء اليومية وهما تصدران في بيروت .  
\* تصدر السفارة السوفياتية في بيروت مجلة شهرية ومطبوعات شبه دورية تتحدثان عن نشاط الحزب الشيوعي ومبادئه المتطورة وحياة رجاله وابحاثهم ..  
\* يستتر الحزب الشيوعي في البلاد العربية وراء تجمعات مسموح بها كالنادي العربي وأنصار السلم ؟ .

ولعل أبرز هؤلاء الكتاب خالد بكداش زعيم الحزب فهو الذي عرب وألف وكتب وحاضر وإليه يرجع الفضل في التنظيم الحزبي في الشرق العربي. ولم يظهر الاتجاه الشيوعي - في البلاد العربية - عدواته للإسلام دفعة واحدة بل حاول دوماً مخادعة الجماهير وكان بين الحين والآخر يدس سمه فيما يقول عنه الدسم .

وفي الآونة الأخيرة ظهر الطابع الماركسي عنيفاً لدى كتاب تخصصوا - على ما يبدو - في التهجم على الاسلام والتشكيك به .. وما يلفت النظر أن بعض هؤلاء يعملون أساتذة في الجامعة الأميركية في بيروت ؛! ومنهم الدكتور صادق جلال العظم صاحب مؤلف ( نقد الفكر الديني ) وقد صرح - وهو صادق فيما يصرح - انه ماركسي لا يؤمن بالله بل يعتبره - سبحانه وتعالى عما يقول علواً كبيراً - وغيباياته كالجنة والنار والملائكة وابليس - خرافات وأساطير كما أنه زيف في كتابه هذا على الفكر الاسلامي وأوله تأويلًا مسيخاً وأعلن ( ان الله الذي مات في اوروبا يحتضر في كل مكان .. ) وقد تولت صحيفة ( النهار ) البيروتية وملحقها والدستور ومما صحيفتان معروفتان بميولهما الغربية ، تضخيم الكاتب الماركسي وسلطت عليه وعلى مؤلفه الأضواء وسخرت صفحاتها لخدمة فكرة الكتاب طيلة أكثر من ثلاثة أشهر وذلك في أواخر سنة ١٩٦٩ وبداية سنة ١٩٧٠ . فتأمل !!

ولا بد أيضاً من لفت النظر ونحن في صدر الكلام عن الاتجاه الشيوعي ، ان هذا الاتجاه قد عدل كثيراً في استراتيجيته فراح يعتمد على دعاة القومية العربية تبنيوا بشكل عنيف الفكر الماركسي .

وقد ظهر هذا التبدل بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ . وخطر هذا الاستراتيجية انها اعتمدت على منظمات فدائية تمارس تحركها وفعاليتها من فوهة البندقية .

ولا شك ان لهذا معقبات كبيرة في التصور والمصير .

ونشير أخيراً الى ان الصدام الفكري بين أجنحة الشيوعية وبصورة خاصة بين بكين وموسكو أوجد مشايعين لكل من الاتجاهين بين شيوعيين العرب وقوميينهم ، فكان عندنا من مختلف الألوان الحمراء والصفراء .. وما قد يجد ..

## الاتجاه الاشتراكي

لم تظهر الاشتراكية في الشرق المسلم كاتجاه فكري متميز إلا بعد عام ١٩٥٠ فهي بهذا المعنى قريبة العهد .

ومع أنها كانت ردة فعل للشيوعية الفكرية فإنها قد اكتسبت منها كثيراً من المبادئ وحتى الألفاظ والشعارات . ولم يرد أصحابها لها ان تكون منفصلة عن القومية فجعلوها مندمجة بها أو رسالة لها وهكذا أصبحت الاشتراكية تصوراً ونظام حياة ..

فالاشتراكية ، عند دعاة القومية ، ليست مذهباً اقتصادياً مجرداً إنما هي عقيدة ومبدأ ورسالة ونظام ..

ولقد رأينا كيف أن القوميين دعوا أو طالبوا بعقيدة شاملة لمختلف جوانب الحياة تخلق الانسان العربي الجديد وتنظم المجتمع وتعطي معنى جديداً للأسرة والمرأة وللحياة !!

وكانت هذه العقيدة هي الاشتراكية «فالاشتراكية العربية إذن هي تنمية الوعي القومي .. الذي يفسر مظاهر الحياة تفسيراً تكاملياً يستند الى أنها مجموعة عوامل وعناصر تتفاعل فيما بينها وتؤثر في بعضها البعض منها عوامل مادية ومنها عوامل معنوية وفيها الاقتصاد كما فيها السياسة كما فيها الفكر .. كما فيها العاطفة .. وكل هذه تتأثر ببعضها وتؤثر ببعضها والاشتراكية القومية هي ذات مضمون ومستلزمات وحدة وجوده القومي العربي ، انها الايمان بهذا المجموع العربي الكبير وبحقه في الحياة الحرة الكريمة (١) .

---

(١) مع القومية العربية ص ١٨٠ - ١٨١ .

« ان هذا المفهوم للإشتراكية العربية القائم على كونها ركيزة أساسية للوصول الى القيمة الحقيقية للانسان !! واعتبارها تعكس جانباً هاماً من نظرتة في الحياة تتجاوز الاشتراكية كإنتاج وتوزيع لتصل الى ما وراء الاشتراكية كمواهب وطاقات وامكانيات وعطاء وباعتبارها تثبت الوحدة القومية . وتعمل على تجسيدها في أنظمة ومفاهيم تنعكس في الحياة العربية اليومية .. (١) »

أما البعثيون فانهم يذهبون نفس المذهب بإيضاح أكثر فقد جاء في مقدمة كتاب (٢) صدر في بيروت سنة ١٩٦٠ عن دار الطليعة ما نصه :

قد تختلف الآراء حول الأسباب الاجتماعية والسياسية التي أدت لظهور التفكير الاشتراكي في البلاد العربية ، ولكننا نستطيع ان نقول بدون تجاوز على الحقيقة بأن استقراء التاريخ السياسي في هذه الناحية يشير بكثير من الوضوح الى ان التفكير الاشتراكي قد جاء نتيجة لليقظة القومية العامة التي طبعت تاريخ المنطقة منذ بداية هذا القرن . وبعبارة أخرى كان ظهور التفكير الاشتراكي تعبيراً عن تقدمية الفكرة العربية منذ البداية .»

وتقول الدراسة « يمر المجتمع العربي الحاضر في مرحلة تغيير اصلاحي في أوضاعه العامة . وهدف الاشتراكية هو تجديد أسس هذا التغيير أي جعله يسير الآن في اتجاه يؤدي لتحويل المجتمع في المستقبل الى مجتمع اشتراكي .. فالفرق بين التقدم الاجتماعي وبين الاشتراكية هو ان مقياس الأول نسبي لأنه مرتبط بالواقع المختلف الذي يبدأ منه في حين ان مقياس الاشتراكية ثابت مطلق لأنه مشتق من قيم غير نسبية وهي تحرير الانسان وحفظ كرامته ومنع استغلاله وتنشيط قوى الإبداع فيه .. وتنمية ميول الخير في نفسه .. وتحقيق حريته بأوسع معانيها ..

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٢) دراسات في الاشتراكية ليشيل عفلق ومنيف الرزاز ومصطفى انلاح وسوام من كبار

قادة البعث العربي الاشتراكي المقدمة ص ٧ الى ١٤ .

ويقولون « بنفس المنطق يمكننا ان نقول بأن الاشتراكية لا تقتصر على الناحية الاقتصادية بل يجب ان تطبع كل جوانب المجتمع الأخرى من ثقافية واجتماعية وسياسية فتتخذ شكل نزعة تقدمية تحررية عامة شاملة .. إذ لا يمكننا ان نتصور مجتمعنا اشتراكياً صحيحاً تتحقق فيه العدالة في توزيع الثروة في حين يبقى نظام التعليم فيه مثلاً رجعياً .. يؤكد قيم المجتمع المتخلف .. وينشر الأفكار المحافظة .. ويقدم التقاليد البالية ..

ويقولون أيضاً ومن المبادئ الأساسية الأخرى في الاشتراكية العربية هو الثورية في معالجة قضية المجتمع ومبدأ الثورية .. هذا مشتق من النظرة العلمية التي تعتمد على الحركة الاشتراكية في البحث والتحليل .. ومن ذلك نستنتج ان لا بد من الصراع العنيف والانقسام الحاد في المجتمع واستناد عملية التغيير ، شطر الاشتراكية ، على هذا الصراع بالذات .. لا بد لكي يتحقق المجتمع العربي الاشتراكي من تجمع القوى التقدمية وتنظيمها وتوجيهها حسب العقيدة الاشتراكية والهجوم بها على الرجعية والأوضاع المتخلفة<sup>(١)</sup>.

وكالقومية غدت الاشتراكية مذهباً سياسياً في بعض الدول العربية فقد تبنت مصر وسوريا خاصة الاتجاه الاشتراكي ( ولم تصبح الاشتراكية ذات شأن إلا حين قرر الرئيس عبد الناصر في تموز سنة ١٩٦١ تطبيق الخطوات الأولى من الاشتراكية فكانت مصر بذلك أول بلد اشتراكي النظام في العالم العربي<sup>(٢)</sup>.

وصدر بعد ذلك ، في الجمهورية العربية المتحدة الميثاق وفيه نرى نوع الاشتراكية المتبناة جاء في الميثاق . الاشتراكية العلمية .. هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم .. ان أي منهج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود (ص ٧٣).

---

(١) لا يعجب القارئ، فهو يقرأ هنا لاشتراكية عربية لا لاشتراكية ماركسية .. حاول - بكل قواك وجهودك وذكاك - ان تكتشف الفرق بين الاثنين ..  
(٢) التضليل الاشتراكي - صلاح منجد ص ٢٥ .

ويقول في الباب السادس ( ص ٧١ ) ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر - وصولاً ثورياً الى التقدم - لم يكن افتراضياً على الانتفاء الاختياري .. وإنما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية ، مزقتها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير . . . .

وعلى هذا الأساس بدأ الكتاب المصريون يكتبون في الاشتراكية ككتاب (١) الاستاذ مصطفى المستكاوي الذي أورد فيه ما نصه :

« الاشتراكية هي مسألة عقيدة اعتنقها الشعب العربي كله من حدود إيران في الشرق حتى مشـرف المغرب على المحيط الأطلسي . الاشتراكية فكرة تعمقت في عقل المواطن العربي . مسألة روح حية سرت في جسده ، مسألة إيمان . . . دخل قلبه مسألة ثورة اعتملت في نفسه » ص ٢٩ .

وكتب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة (٢) يقول « هل أنت قوي الرجاء في أن النظام الاشتراكي يدوم ما دامت الأمة ويقوم في البلاد العربية ما دامت العروبة وبقية الله شر الرجعية والرأسمالية والكراهية ، حتى يتأصل في الأمة ويتوثق فيجري في القلوب . . . مجرى الدم وفي النفوس . . . مجرى العقيدة .

« اذا كانت أجوبتك على هذه الأسئلة بالإيجاب كنت اشتراكياً بدمك وعقلك وعصبك وهواك . . . وان كانت أجوبتك عن أكثرها أو عن أقلها بالنفي فأنت اشتراكي مغلق . . . فج تحتاج الى تفتح ونضج .

ومن خلال هذه المعاني كتب البعثيون القطريون في سوريا في تحديد معنى

---

(١) في التطبيق الاشتراكي أصدرته الدار القومية الحكومية ونقل هذه الفقرات الدكتور المنجد في كتابه التضييل الاشتراكي ص ٤٦ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ١١٠٣ ، ٤ آذار سنة ١٩٦٥ تحت عنوان الاشتراكية حب ، راجع المصدر السابق ص ٥٨ .



الانسان العربي الاشتراكي الجديد وفي بيان طريق خلقه وابداعه فقالوا (١) .

« استنجدت أمة العرب بالإله . فتشت عن القيم القومية في الإسلام والمسيحية . . استعانت بالنظام الاقطاعي ، والرأسمالي وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى ، كل ذلك لم يجد فتيلاً . ومع كل هذا شمرت أمة العرب عن ساعديها ونظرت بعيداً . . لترى طفلها الوليد يقترب شيئاً فشيئاً . . وهذا الوليد ليس إلا الانسان العربي الاشتراكي الجديد .

« الانسان المتمرد على جميع القيم المريضة الهزيلة في مجتمعه . . التي هي ليست إلا وليدة الاقطاع والرأسمال والاستعمار . . تلك القيم التي جعلت من الانسان العربي انساناً متخاذلاً متواكلاً ، انساناً جبرياً مستسلماً للقدر . . . انساناً لا يعرف إلا أن يقول ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

« أما القيم الجديدة التي ستخلق الانسان العربي الجديد فهي قيم تابعة من صلب الانسان المتمرد المعذب ، تابعة من قلب الانسان الجائع تابعة من الانسان الاشتراكي الثوري الجديد ، الذي لا يؤمن إلا بالانسان ، وبالانسان وحده . . .

« والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن ان الله والأديان ، والاقطاع والرأسمال والاستعمار ، والمنتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي مخنطة في متاحف التاريخ .

« ونحن ، إذ نشترط في انساننا الجديد رفضه للقيم السابقة علينا أن نضع قيماً جديدة محدودة . . ليست هناك سوى قيمة واحدة وهي الايمان المطلق بالانسان القدرتي الجديد . . الإنسان الذي لا يعتمد إلا على نفسه وعمله وما

---

(١) وعبر عن رأيهم هذا المرشح ابراهيم خلاص أحد العسكريين السوريين البعثيين وقد جاءت هذه المقالة في مجلة جيش الشعب الرسمية والناطقة باسم ذلك الجيش في شهر أيار سنة ١٩٦٧ قبل هزيمة حزيران بشهر تقريباً فتأمل ! .

يقدمه للبشرية جمعاء لأنه يعلم نهايته الحتمية . . الموت . . وليس غير الموت .  
لن يكون هناك نعم أو جحيم . . بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض .  
لذلك هو مضطر الى أن يقدم كل ما يملك لأمتة ولإنسانيته دونما مقابل  
( كزاوية صغيرة في الجنة مثلاً ) .

ولا بد هنا أيضاً من طرح السؤال من جديد هل يريد منا أعداء الاسلام ،  
صليبيون ومستشرقون ومبشرون وشيوعيون الخ . . أكثر من ذلك : أن  
يخرج ناس منا ومن أبناء جلدتنا ويتكلمون لفتنا يطعنون في ديننا واسلامنا .

### الاتجاه العلماني

و نتيجة لما تقدم ابتداء من محور التبشير والاستشراق وانتهاء باتجاهي  
القومية والاشتراكية فقد طرحت مسألة علمنة الدولة على صعيد رسمي . . .  
فالشباب المثقف وخريجو الجامعات والعلماء دون من الغرب والشرق وحمل  
الأفكار القومية والاشتراكية جميع هؤلاء لا يدينون بدين الإسلام العقيمة  
والمنهاج بل على العكس فان معظمهم يطالب بعقيدة جديدة تعالج موضوعات  
الكون والإنسان والحياة وتحقق الانسان العربي الاشتراكي الجديد . . أو  
التركي الجديد . . أو الايراني الجديد .

وهكذا غدت مسألة العلمانية أي فصل الدين عن الدولة وابعاد الدين الى  
التكامل ومحاربتة ، مسألة مفروغاً منها عند من يعدون أنفسهم طليعة الأمة  
وساسة البلاد ؟

وعندهم أن انقلاب مصطفى كمال في تركيا على الخلافة ثم اعلانه الجمهورية  
مع قبوله بالاسلام ديناً ثم تعديله الدستور و اعلان علمنة الدولة وتحضير الدعوة  
الدينية وسنه القوانين اللادينية أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق المسلم  
يمكن أن تقلد أو تحاكي (١) .

---

(١) راجع ما كتبناه في فصل كيف دالت دولة الاسلام .

ومما لا جدال فيه ان الاتجاه العلماني إنما يقصد الاسلام فقط إذ أن الاسلام هو دين الغالبية وهو فضلاً عن ذلك الدين الوحيد الذي يملك منهج حياة وتنظيماً لكل شؤون الدولة ومرافقها ، أما المسيحية فهي أصلاً ، قد قامت على فصل الدين عن الدولة أي على العلمانية ( اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ) .

وهناك أمر آخر في لبنان زاد مسألة العلمانية حدة وقوة فالوضع الطائفي الخطر يوحى دائماً الى المثقفين والأحزاب بضرورة علمنة الدولة <sup>(١)</sup> كطريق وحيد لانتهاء الانقسام في لبنان . . وفي الوطن العربي .

والحقيقة ان الطائفية بمعنى الخصومة وعدم التعايش بين المسلمين والمسيحيين لم تنشأ إلا عندما تدخل الأوروبيون مبشرون ومستعمرون في شؤون الدولة العثمانية <sup>(٢)</sup> وعندما جهل كل من الفريقين المسلمين والمسيحيين روح الدين وصفاء العقيدة .

## الاتجاه الفلسفي

لقد تأثر الشرق المسلم بدراسات الغرب الفلسفية كما تأثر بسائر الأفكار القومية والاشتراكية . فقد غزت الأفكار الفلسفية عقول الشباب المسلم

---

(١) المادة الثامنة من عقيدة الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان : علمانية في الدولة وحرية المعتقدات والغاء نظام الطائفية السياسية .

المادة الثالثة من المبادئ الاساسية لحزب الكتائب « قومية علمانية تحترم جميع الأديان والمعتقدات وتأبى أن يكون للدولة دين أو معتقد خاص بها .

المادة التاسعة من الحزب القومي السوري الاجتماعي « فصل الدين عن الدولة » . وأول نقطة في مخطط عمل حزب البعث العربي في لبنان كما صرح بذلك الدكتور علي جابر التركيز على علمانية الدولة ، راجع الأحزاب السياسية في لبنان لتوفيق القدسي ولوسيان جورج .

(٢) انظر الطائفية والاقطاعية في لبنان والتبشير والاستعمار وتاريخ لبنان .

واستطاعت أن توجد لها المؤيدين والتلامذة الذين سرعان ما أسسوا المدارس الفلسفية وأصدروا المجلات وألقوا الكتب وألقوا المحاضرات وقاموا بنشاط كبير ملموس دعاية لفلسفة معينة أو اتجاه فلسفي عام .

ومن الأفكار الفلسفية الفازية ما يختص بفكر الانسان وتصوره كالحسية الوضعية والعقلية والوجودية ومنها ما يتعلق بنظرة للكون والانسان والحياة كالمادية الماركسية .

### • محور الجمعيات والاحزاب

لعبت الجمعيات والأحزاب القومية والسياسية والفكرية وحتى الأدبية دوراً بارزاً في أحداث الشرق المسلم ولا تزال تقوم بالأعباء والمهمات التي عجزت الصليبية واليهودية عن تحقيقها بوجه سافر . ولا نقول ان جميع أحزاب وجمعيات المنطقة تقوم عن قصد بخدمة هذه الأغراض الملوثة إذ أنه قد تكون بعض هذه المنظمات قد نشأت بغية تحقيق أهداف أخرى إلا انها اتفقت في نشاطها ووسائلها وغاياتها البعيدة مع ما نشأ عن قصد وعن دراسة . .

ان خطر هذا المحور قيامه على التنظيم والتنسيق والمتابعة ، فالقومية مثلاً ليست بالنسبة لهذه المنظمات ايدولوجية فحسب ، محاضرات تلقى وكتباً تنشر إنما هي فوق هذا ، تعهد للعناصر التي آمنت بالعقيدة الجديدة وتربية لهم وتكوين وتنظيم وتدريب حتى يصبحوا دعاة للمنهج الحزبي فاعلين مؤثرين في الرأي العام واتجاه الأمة .

والقاسم المشترك لأكثر منظمات الشرق المسلم انها وليدة التفكير الغربي أو هي من وحي سياسي ( التغريب أو التهويد ) العالميتين - على ما فيها من تضارب في بعض الأحيان - الداعيتين الى وجوب ابعاد الاسلام عن ميدان الحياة وتفتيت قواه ومؤسساته مهما عظمت التضحيات وغلا الثمن .

« وكثيراً ما نرى جمعيات محلية أو دولية أو مؤسسات اجتماعية أو خيرية أو رياضية أو ثقافية أو مؤسسات تعمل ظاهراً للكشف عن الآثار أو للتبشير في الظاهر وهي إنما تعمل في الباطن لتخريب المجتمع فتعلن عن أهداف براقة مرغوبة جداً ولكنها تعمل - في حقيقة الأمر على إثارة النزاع الطائفي أو التعصب العرقي أو بلبلة أوضاع المجتمع بمختلف الأساليب الشيطانية أو تعتمد الى أسلوب تكتمي للغاية . . كأن تستر وراء أهدافها العلنية ، أهدافاً سرية تناقض مصالح المجتمع وتهدم دعائمه .

« ان هذه القوى وفي حقيقة الأمر ، ليست إلا قوى احتياطية يستخدمها المستعمرون لسند هدفهم الأساسي ، لذلك نجدهم يشجعونها ويبدلون العون الانادي والمعنوي العلني والسري لها . . ويجمعون أقطابها وقادتها عند اللزوم ويسهلون لهم تسنم أسمى المناصب في ديارهم ودولهم . لذا نراهم ينتقلون في دوائر الدولة بسرعة إذ يسند بعضهم بعضاً ويتكاتف تكاتفاً عجيباً وغريباً ويستفيدون كثيراً من الشركات الاستثمارية ، خاصة ما كان لها طابع عالمي أو كانت تابعة لاحتكارات أجنبية فيتولون ادارتها أو مهمة الدفاع عنها كمحاميين أو وكلاء وغير ذلك من المهام لقضاء مبالغ كبيرة تقوم بدورها لدعم مراكزهم في المجتمع وتضاعف نفوذهم بين الناس <sup>(١)</sup> .»

#### ١ - الماسونية تحتضن رجال الحكم ومؤسسي الاحزاب :

ولعل أخطر الجمعيات في الشرق التي نشأت قديماً ولا تزال على قيد الحياة وتنفرد بأعمال مشبوهة وتضفي على نفسها وأشخاصها والعاملين فيها ومشروعاتها طابع السرية المطلق هي الماسونية .

ومن المعروف لدى الجميع ان الماسونية حركة يهودية ذات أسرار ودرجات هدفها الأكبر قيام دولة اسرائيل في فلسطين والتحكم في سير

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام للاستاذ محمد محمود الصواف ص ٢٧٩ - ٢٨٠

الشرق المسلم خاصة والعالم بأسره عامة . . ومع هذا فاننا نجد كثيراً من ساسة بلاد الشرق ومثقفيه وعلمائه وشخصياته أعضاء كباراً في محافل هذه الجمعية الخطرة .

ونكتفى ، هنا أن نشير الى أهداف الماسونية كما أعلنت ذلك مجلة أكاسيا الماسونية الايطالية سنة ١٩٠٤ قالت المجلة <sup>(١)</sup> :

« من أهداف الماسونية محاربة الأديان وصيانة الدول اللادينية .. العلمانية .. ولذا فهي تستسيغ الارهاب بالتجرد عن مفاهيم الأخلاق والضمير .. ويجب ان تكون الماسونية مرنة حسب الظروف والأوضاع » .

يقول الاستاذ عمر الحكيم « وتمكن اليهود من تأسيس الحزب الماسوني في الدولة العثمانية وكانت غايته استخدام رجالات الدولة العثمانية للحصول منهم على المساعدة اللازمة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود من شتى أنحاء العالم واقامة وطن يهودي قومي فيها باسم ( الأخوة الماسونية ) التي لا تعرف وطناً ولا ديناً ولا عنصراً في الظاهر وهي في الحقيقة مؤسسة يهودية عالمية تسعى الى تسخير رجالات العالم أجمع .. والداخلين في هذا الحزب الى خدمة مآرب الصهيونية تحت ستار الأخوة الانسانية ونصرة الانسانية .. وقد لعبت المنظمات الماسونية دوراً بالغاً في حرب فلسطين فقد أوعزت الى جميع أعضائها في البلاد العربية بتأييد قيام اسرائيل .. <sup>(٢)</sup> »

ولقد رأينا كيف احتضنت الماسونية في تركيا وفي الغرب وفي كل مكان من الدولة العثمانية ، جمعية الاتحاد والترقي ، وكيف خططت لها

---

(١) نقلاً عن الماسونية أقدم الجمعيات السرية وأخطرها ص ٢٣ وبهذا المعنى ما قاله زيل الماسوني في النشرة الرسمية للشرق الأعظم الفرنسي « على الماسون أن يتحرروا من كل اعتقاد بوجود الله لأنه لم يبق أحد يؤمن بالله الا بالله والحقي ويجب عليهم أن يتصوروا أنه ينبوع كل استبداد وظلم » راجع المخططات الاستعمارية ص ٢٨٧ .

(٢) حاضر العالم الاسلامي ص ٩٨ .

وساعدتها في الانقلاب على السلطنة وكيف سهلت السبل لليهودي مصطفى كمال حتى وصل الى ما وصل إليه وألقى الخلافة الاسمية الإسلامية (١) .

وكذلك فقد احتضنت الماسونية في بيروت أكثر الجمعيات الأدبية والفكرية والقومية التي نشأت في العهد العثماني بغية الانفصال أو لأي هدف سياسي أو فكري آخر .

يقول جورج انطونيوس (٢) « يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية .. الى سنة ١٨٧٥ .. حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستانتية السورية ببيروت جمعية سرية .. وكانوا جميعاً نصارى .. ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم .. فاستطاعوا أن يضموا الى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون الى مختلف الطوائف الدينية ويمثلون الصفوة المختارة .. المستنيرة في البلاد . وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفت في أوروبا .. فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية عن طريق أحد زملائهم ان يستميلوا إليهم المحفل الماسوني .. الذي كان قد أنشئ من عهد قريب ويشركوه في أعمالهم .

والى جانب الجمعيات التي نشأت هنا وهناك (٣) قامت الأحزاب السياسية والعقائدية في طول البلاد وعرضها .. وأبرز صفة في نشأة الأحزاب القومية والعقائدية هي أن هذه الأحزاب ترعرعت في الجامعة الأميركية في بيروت وان زعماءها الفكريين وفلسفي العقيدة هم من المسيحيين الذين درسوا في معاهد التبشير وتخرجوا من جامعات الشرق الأميركية أو الفرنسية أو من معاهد باريس ..

---

(١) راجع ما كتبناه في الفصل السابق .

(٢) كتاب يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية كتبه بالانكليزية جورج انطونيوس وهو لبناني من دير القمر وعربه الدكتوران ناصر الدين الاسد واحسان عباس ص ١٤٩ .  
(٣) نذكر منها : جمعية العلوم والفنون - الجمعية الشرقية - رابطة الوطن العربي - الجمعية العربية الفتاة - حزب اللامركزية - المنتدى الأدبي . . . الخ .

يقول جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧ بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أميركية<sup>(١)</sup>.

ويوم نشب الصراع العقائدي في بيروت بين منظمة الكتائب التي تدعو الى وطنية لبنانية .. وبين الحزب القومي السوري الاجتماعي الذي يدعو الى وحدة بلاد الشام - خاصة بعد محاولة الحزب الانقلابية عام ١٩٤٩ - تكشف حقائق - كانت عن أعين الكثيرين - محجوبة . فالكتائب طالبت السلطات اللبنانية بإغلاق الجامعة الأميركية لأنها ( بؤرة ملأى بالدس على لبنان وعلى كيانه . ان أكثر الضالين من اللبنانيين ضلوا بين أحضانها وكل المهوشين علينا من جيراننا تلقنوا بفض لبنان وأساليب السعي ضده تحت أكنافها وهل كانت حركة انطون سمادة تمكنت لو لم تجد لها أرضاً خصبة في تلاميذ الجامعة الأميركية لبنانيين وغير لبنانيين<sup>(٢)</sup> ورداً على هذا النداء سمعنا من يقول<sup>(٣)</sup> «فاذا كان المقصود من الضلال، أرباب العقيدة العربية السليمة . . فان طلبة الجامعة ليفتخروا بعهد أيقظ فيهم روح العزة العربية . . وجميع أبناء البلاد العربية في حظيرة هذه القومية . . وانهم يشفقون على مقتفي قوميات شعبية سواء كانت قوميات لبنانية أو فينيقية أو سورية .

» . ان مليون حجة تبنى على قومية محلية لا تقنع سورياً أو عراقياً بفساد نظرية القومية السورية بل الاقناع يتأتى من التطلع الى قومية واسعة ناسخة هي القومية العربية ان هذه المهمة يتبرع بها طلاب الجامعة الأميركية وهم رسل القومية العربية في اتحاد الشرق العربي وحمله أعلام التحرر

---

(١) يقظة العرب ص ٧١ .

(٢) جريدة العمل ٩ تموز ١٩٤٩ انظر التبشير والاستعمار ص ٩٠ - ٢١ .

(٣) جريدة الديار ١٠ تموز ١٩٤٩ انظر المرجع السابق .



والاستقلال يوم كان طلاب المعاهد الأخرى يغوصون في عبادة الاستعمار الى ما فوق الرقاب \* » .

وهكذا نرى بوضوح ، دور الجامعات الأجنبية في تخريج الأفكار الحزبية القومية والشعبوية واللا دينية .

### ٣ - حزب القومي السوري الاجتماعي :

فأنطون سعادة ، كما يقول عبد الله قبرصي أحد زعماء الحزب الكبار ، عندما أسس الحزب القومي الاجتماعي عام ١٩٣٢ إنما قام بعملية بعث ، فهو لم يوقظ الوجدان القومي بل انه صاغ في « القومية الاجتماعية » فلسفة ثينة بأن تنقذ العالم كله من آفة الشيوعية ومن الحروب ومن سباق التسلح بين الدول الكبرى ومن التفسخ الاجتماعي والانهيار الاقتصادي والمناقي .

« ونحن ، أي الحزب القومي الاجتماعي خريج الجامعة الأميركية ، لم نخلق ( الأمة السورية ) بل اكتشفناها بعد ان تكاثفت فوقها أجيال من التجزئة والعبودية والانحطاط المرضي . فقد وجدت « الأمة السورية » قبل الميلاد ، وقبل الفتح العربي بأمد طويل ، حين كانت المدن الفينيقية بالرغم من تصارعها مع بعضها تتكاتف وتتوحد لترد كل فاتح أجنبي وحين كانت على الرغم من النزاعات الداخلية التي تمزقها وتدميها وتنهكها تستيقظ آناً بعد آخر وتستعيد قوتها على الخلق والابداع ، لتنفخ تاريخ الانسانية بأثر حضاري خالد . . . » (١) .

### ٤ - القوميون العرب :

« أما القوميون العرب أو حركة القوميين العرب أو الشباب القومي .

---

\* اشارة الى الكتاب والى زعمائهم المتخرجين من الجامعة اليسوعية .  
(١) الاحزاب السياسية في لبنان ١٩٥٩ لتوفيق المقدسي ولوسيان جورج منشورات جريدة الجريدة في لبنان .

العربي ( فهم ) نمط من التفكير السياسي ، تكون في لبنان منذ أكثر من  
عشرين سنة وتوزع على مختلف أنحاء العالم العربي في سوريا والاردن والعراق  
وليبيا وتونس والسودان ومراكش والكويت والسعودية . . وكانت نواة  
« القوميين العرب » أو هذا النمط من التفكير السياسي في نادي « العروة  
الوثقى » لطلاب الجامعة الاميركية . . »

لقد مر حدثان في مجرى تاريخ البلاد العربية كان لهما أثر فعال جداً في  
وضعية القوميين العرب الراهنة هذان الحدثان هما نكبة فلسطين وقيام  
حلف بغداد .

وبالفعل فقد شهدت العروة الوثقى \* في الجامعة الاميركية في بيروت . .  
بعد أن حدثت هجرة الفلسطينيين الى البلاد العربية نشاطاً كبيراً ، ذلك أن  
معظم الشباب الفلسطيني القادر كان يلتحق بهذه الجامعة ، وينتسب للعروة  
الوثقى ، فيما رس عن طريقها ، نشاطه السياسي والقومي .

« . . والقومية العربية هذه تتخذ معاني شتى في أذهان الشباب القومي  
العربي المتخرج من الجامعة الاميركية فهناك :

أولاً : فئة القوميين العرب الواعين ، الذين يفهمون دعوتهم على انها سبيل  
للتحرر من سيطرة الاستعمار الغربي ولتحقيق وحدة عربية ترضي  
نزعة نفوسهم الطامحة .

ثانياً : فئة القوميين الذين يعادون في بلدانهم العربية الظلم الاجتماعي فيجدون

---

\* جاء في ملف النهار العالم العربي اليوم - الفلسطينيون في لبنان عدد ٣ تعريفاً للعروة  
الوثقى ص ٥ وهو التالي :

« كانت تستقطب طلاب الجامعة الذين يؤمنون «بالقومية العربية» جمعية سميت نفسها «جمعية  
العروة الوثقى» تألفت هذه من المتحمسين للقومية العربية المعارضة للاشتراكية ، المطالبة بمصالحة  
الغرب ، ومناصرة اميركا في سعيها لازاحة الاستعمار التقليدي القديم ( الانكليزي - الفرنسي )  
وكان هؤلاء يعتبرون اميركا رائدة التقدمية والديمقراطية والحرية ، ويحملون لواءها » .

في القومية العربية تبشير مستقبل ومنفساً للكبت النفسي الذي يعانونه ويتألمون منه خصوصاً بعد ان تفتتح أعينهم على أضواء المعرفة .

ثالثاً : فئة القوميين العرب من أبناء الأسر الحاكمة أو الطبقات الاجتماعية الغنية هؤلاء يحدون في الدعوة القومية العربية مجالاً للسير في ركب الأفكار التقدمية أو لمسايرته دون أن يتنازلوا عن شيء من امتيازاتهم الموروثة<sup>(١)</sup>. ومن الزعماء الفكريين والمنظمين الكبار لحركة القوميين العرب الدكتور جورج حبش ! !

#### ٥ - حزب البعث العربي الاشتراكي :

وقبل القوميين العرب نشأ حزب البعث العربي في سوريا عام ١٩٤٠ بقيادة الأستاذ ميشيل عفلق - خريج مدارس التبشير في دمشق وباريس ! - بالتعاون مع ليف من أساتذة سوريا وقد لاقى هذا الحزب صدى بعيد المدى في أوساط المثقفين والطلاب من العراق والأردن فضلاً عن سوريا وذلك لدعوته الى بعث القومية العربية على أسس اشتراكية ! ثم اتحد الحزب العربي الاشتراكي الذي أسسه أكرم الحوراني سنة ١٩٥١ والقائم أساساً على الدعوة الاشتراكية وتولد عن الاتحاد حزب البعث العربي الاشتراكي سنة ١٩٥٣ .

ولقد مزج هذا الحزب فكرة اشتراكية اقتصادية بفكرة قومية غامضة وربح عدداً كبيراً من الأنصار في الشرق العربي وكان هذا الحزب بالإضافة الى الحزب الشيوعي الحزب الوحيد الذي يحمل أيديولوجية منظمة ! وأسس شبكة واسعة من الفروع ، أما أتباعه فكانوا من المتعلمين . . ومن الطبقة العاملة<sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر السابق ص ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ .

(٢) الغرب والشرق الأوسط برنارد لويس ص ٩٦ - ٩٧ .

## ٦ - الحزب الشيوعي :

« أما الحزب الشيوعي فقد نشأ أول ما نشأ في لبنان ١٩٢٥ على شكل منظمات وتيار فكري عقائدي ، يتجلى في الكتب المعربة والصحف والمجلات التي كانت تصدرها هذه المنظمات من الشباب المثقف ولم ينظم الشيوعيون هنا في اطار حزبي بالمفهوم الشيوعي إلا عام ١٩٣٠<sup>(١)</sup> .

« وعندما تشكل الحزب قرر أن يسير على خط عقائدي واضح في تكوين الأعضاء مهما بلغت التضحيات وتلكا السير ، لذلك أعلن الحزب موقفه من الثقافة الحزبية والموضوعات التي يجب أن يتناولها - والتي تعتبر دستور الحزب - بالأمور التالية :

اولا : درس تاريخ الحزب البلشفي لنشره خارج الحزب بين جماهير الشعب ومن واجب القيادة المركزية واللجان المنطقية ان تساعد الكادر وكل الاعضاء على درس الفصول المترجمة الموجودة بين أيدي المنظمات مع العمل الجدي لوضع بقية الفصول بين أيديهم بدون تأخير .

ثانياً : تأليف لجنة ثقافية في كل منطقة مهمتها المساعدة في تدريس تاريخ الحزب وكل العمل الثقافي .

ثالثاً : فتح باب ثقافي في جريدة الحزب ( نضال الشعب ) ومساهمة جميع المنظمات فيها .

رابعاً : معالجة القضايا التي تضعها المقررات على أساس نظري مع الاستشهاد بكتابات لماركس وإنجلز ولينين وستالين .

خامساً : شرح تعاليم لينين وستالين عن الاستراتيجية والتكتيك . .<sup>(٢)</sup> »

---

(١) الأحزاب السياسية سنة ١٩٥٩ .

(٢) الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية لحكم دروزة الطبعة الاولى سنة ١٩٦١ ص ١٤١ .

وانتشر الحزب الشيوعي في أكثر بلاد الشرق المسلم وكون الخلايا الحزبية المنظمة واستطاع أن يستميل اليه كثيراً من الشباب المثقف والعمال .

ويبدو ان اليهودية العالمية قد عملت على تأسيس فروع للحزب في كافة أرجاء الوطن العربي ، فقد نشرت جريدة الشهاب البيروتية تحقيقاً عن نشأة الأحزاب الشيوعية في عددها الصادر في ١٩٧٠/٨/١ جاء فيه :

« فقد أسس أول حزب شيوعي في فلسطين عام ١٩٢٢ على أيدي اليهوديين الروسين ( أبو زيام ، وباكوب تير ) .

وقد سافر ياكوب تير الى بيروت عام ١٩٢٤ حيث استطاع ان يؤسس مع اليهودي جوزيف برغر الحزب الشيوعي اللبناني ، وامتد نشاط هذا الحزب الى سوريا حيث استطاع هؤلاء اليهود مع بعض العرب تأسيس الحزب الشيوعي السوري اللبناني .

أما في العراق فقد أسس الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٣٤ على أيدي اليهود أمثال صديق يهودا ، وساسون دلال ويعقوب كوجمان .

أما في مصر فقد أسس اليهوديان الروسيان فيجدور ، ناداب عام ١٩٤٢ ( الحركة المصرية للتحرير الوطني ) وموئل هذه الحركة اليهودي الايطالي الأصل هنري كوريل الملقب بالرفيق يونس وصاحب بنك كوريل في القاهرة ، كما ألف اليهودي هيكمل شفاتس منظمة الايسكرا الشيوعية وقد اتحدت هاتان المنظمتان عام ١٩٤٧ تحت اسم الحركة الديمقراطية المصرية للتحرير الوطني المعروفة باسم ( حدنو ) . كما أسس اليهودي مرسيل اسرائيل عام ١٩٤٢ منظمة تحرير الشعب الشيوعية ، كما أسس اليهود المقيمون في مصر غير هذه المنظمات حتى بلغ عدد الواجهات الشيوعية في مصر أربعة عشر منظمة ، وفي عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعي الايطالي رؤساء هذه المنظمات الى الاتحاد - بوحى من موسكو - ، وبعد مفاوضات اتحدت هذه المنظمات في يناير ١٩٥٨ تحت اسم ( الحزب الشيوعي المصري ) . »

ويعتمد الحزب فضلاً عن الصحف والمجلات والكتب المعربة على ما تصدره السفارات الروسية في بلدان الشرق من نشرات ورسائل ودراسات وبيانات \* .

### محور التشكيك بالاسلام : العقيدة والحركة

ولعل هذا المحور أخطر المحاور في الهجوم على الشرق المسلم ويهدف هذا المحور الى إثارة شبهات كثيرة حول الإسلام العقيدة والمنهاج ، والى التشكيك بأفكاره ومعالجته شؤون العصر المتجددة والى الطعن بكل حركة اسلامية تقوم بالدعوة الى الله ...

ويستخدم هذه المحور لتحقيق أهدافه كل وسيلة ممكنة . والمحور في حقيقته وسيلة مشتركة بين جميع المحاور ... لذلك رأينا كافة المحاور تثير حول الاسلام والعاملين له الغبار متهمة إياهم بشتى الأكاذيب والأراجيف .

والمدقق يجد ان هذا الاتجاه قد آتى أكله فكثير من شباب المسلمين قد شكوا في اسلامهم وتخلوا عنه وتحولوا الى سواد من عقائد البشر وفلسفات العصر ... حتى غدوت ترى مخالفة الإسلام في كل صغيرة وكبيرة وتكاد لا تجد من ينكر هذا الواقع الفاسد المظلم .

لقد فقد المسلم حسه الاسلامي وتصوره الاسلامي وحياته الاسلامية ... وشب أولاد المسلمين على انحراف كبير في القيم والسلوك ... وارتكست الحياة العامة والخاصة للشرق المسلم في جاهلية قد تكون أشد من جاهلية ما قبل الاسلام .

ولا يُنْفَص على هذا المحور حياته إلا وجود الحركات الإسلامية تلك

---

\* نذكر منها على سبيل المثال : ( الاشتراكية هي السلام والصداقة بين الشعوب - بيان من الحكومة السوفياتية - الاستعمار يغير وجهه لكنه لا يغير عاداته - استراتيجية العقل - رسالة مقدمة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي ) ...

الحركات التي تصدت بقوة وجسارة وبوعي واخلاص لمحاربة شتى المحاور ومقاومة الهجوم الماكر . . . فكان لا بد لهذه المحاور بغية تأمين النصر الكاسح لها من تقييب الحركة الاسلامية عن معترك الصراع . فتعاون الاستعمار بشقيه الغربي والشرقي والصليبية الدولية واليهودية العالمية لتحقيق هذه الأغراض فوجهت الضربات الى هذه الحركات وشوّهت حقائقها ومناهجها . . . حتى كاد يحزم الباحث المدقق ان وراء كل ضربة أو تشويه لحركة اسلامية عاملة في الشرق المسلم خطة استعمارية دولية .

وحين يتقرر هذا كله تتضح معه شناعة الجريمة التي يرتكبها اولئك الذين يوجهون الضربات الوحشية لطلائع البعث الاسلامي في كل مكان . . . والذين يجندون قواهم كلها لطمس معالم المنهج الاسلامي بشتى الخدع والتمويهات والأكاذيب<sup>(١)</sup>

ان الضربات الوحشية التي « تكال لطلائع البعث الاسلامي في كل مكان على ظهر هذه الأرض ، تشترك فيها كل المعسكرات المتخاصمة التي لا تلتقي على شيء في مشارق الارض ومغاربها إلا على الخوف من البعث الاسلامي الوشيك الذي تحتمه طبائع الاشياء وحقائق الوجود والحياة ودلالات الواقع البشري من هنا ومن هناك »<sup>(٢)</sup> .

والآن . . .

وبعد هذه الجولة السريعة على محاور الهجوم الماكر على الاسلام وحركته نعلن بكل ثقة ويقين أن « المستقبل لهذا الدين » .  
ان الذي يفصل في انتصار الاسلام على الهجوم الماكر ( ليس هو ضخامة الباطل وليس هو قوة الضربات التي تكال للاسلام انما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ومدى الصمود للضربات )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٦ .

وهذا الدين لن يهزم في معركة المصير ... لأنه قرآن من الله وقد سبق الوعد من الله في انتصار هذا الدين ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) .

« فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين ومن حاجة البشرية الى هذا المنهج نستمد نحن يقيننا الذي لا يتزعزع في ان المستقبل لهذا الدين وان له دوراً في هذه الارض هو مدعو لأدائه - أرادوا أعداؤه أم لم يريدوا - وان دوره هذا المرتقب لا تملك عقيدة أخرى ، كما لا يملك منهج آخر ، أن يؤديه ، وان البشرية لا تملك كذلك أن تستغني طويلاً عنه » (١) .

سيكسب هذا الدين الجولة الاخيرة في معركة الحياة ... ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله ألا ان نصر الله قريب . . . . ويومها أيضاً سيقول الاسلام لأبنائه - الذين حاربوه وهاجموه - ( لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء ) .





## الفصل السابع

### المجابته

على أثر الهجوم الماكر الذي تعرض له الاسلام في الشرق والذي أظهرنا  
بعض جوانبه ومحاوره في الفصل السابق، قام من يصد الهجوم ويرد العدوان  
ويسعى جاهداً لكسب الجولة الأخيرة وتأمين النصر النهائي .

ولا ريب ان جهد المعركة ومستلزماتها ليس باليسير فمن المفروض بداهة  
أن تكون محاور صد الهجوم أقوى من محاور الهجوم حتى تتمكن الأولى  
من التغلب على الأخرى وحتى تتمكن - بعد ذلك - القيام بهجوم مضاد يعيد  
الحق الى نصابه . .

والناظر الى معترك الصراع بين الإسلاميين وأعدائهم يجد أن القوى غير  
متكافئة والامكانيات غير متعادلة والمحاور غير متوازية .. ويكاد المرء يقول  
بعد النظرة العجلى هذه بحتمية مستقبل مظلم أسود . .

بيد أننا إذا أمعنا النظر في طبيعة الصراع وأحوال المتصارعين تأكدت  
عندنا نظرة أخرى انبثقت عنها أمل مشع لمستقبل مضيء مشرق ..

#### صلابة المقاومة الاسلامية :

ان صلابة المقاومة الإسلامية تشير الى أصالة في الإيمان والفكر والى  
وعى عقائدي رائع والى تصميم وعزم أكيد في دفع المقاومة قدماً الى الأمام .  
لقد انبثقت المقاومة الإسلامية بوحى الشرع فكانت متميزة بالأصالة  
الواعية المدركة من أول يوم فلا عجب بعد ذلك ان تكون قد حددت أهداف  
عدوها المهاجم ثم رسمت الخط العريض لمجابهته . فالعدو الغربي الجاهلي يريد  
قتال الاسلام .. وفي سبيل الوصول الى هدفه هذا توسل بكل شيء ، احتل  
الأرض وفرّق الكلمة واستثمر الخيرات وذل الشعوب .. فلا بد ، اذا ما

أراد الشرق المسلم أن يفوت على العدو هدفه ويحبط مسعاه ، ان يكشف عن غاية الجاهلي الزاحف والصليبي المهاجم ويعلن بصراحة ووضوح تمسكه بقرآنه منهجاً لحياة ودستوراً لمؤسساته وأنظمته ..

### تحديد الأهداف :

ان تحديد الأهداف في معركة الصراع أول خطوة للنصر المؤكد وكل محاولة لتغيب هذه الأهداف لا يمكن ردها إلا الى جهل بطبيعة الصراع أو الى تمويه من العدو المهاجم . فالحرركات التي تجعل من وسائل المهاجم غايات له وأهدافاً كباراً حرركات تنقصها الإصالة ويعوزها الوعي أو.. هي حرركات للتمويه أوجدها المهاجم نفسه لتشتيت القوى ولإخفاء الأهداف من معركة الصراع ..

ان الجاهلية ، من غرب وشرق ، لم ترد في يوم من الأيام احتلال الشرق لأنه شرق .. فيه الخيرات والماء العذب الفرات إنما أرادت ان تطمس معالم الحياة فيه بجاهلية جديدة كجاهليتها أو أشد .. فعندما استطاعت تجهيل قلوب المسلمين وصلت الى كل شيء الى خيراتهم وثمراتهم الى أسواقهم وتجارهم ..<sup>(١)</sup>

وبهذا المعنى ما أطلقه الامام الشهيد حسن البنا كشعار للمقاومة الاسلامية ضد الجاهلي المهاجم ( اطرءوا الاستعمار من قلوبكم يخرج من أرضكم ) . ففي الوقت الذي تتمرد فيه قلوب الشرق على جاهلية المهاجم .. لا يستطيع هذا العدو أن يثبت على أرض الشرق لا بجيشه ولا بفكره اذ أنها تكون قد مادت من تحته .

وقد لاحظ بعض الدارسين هذه الخاصية في المقاومة الاسلامية فقال

---

(١) قال وزير المستعمرات البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر « ما دام القرآن بين أيدي المسلمين معزراً فانه سيعيق سبيلنا ، لا بد من اخفاء ، هذا الكتاب عنهم أولاً » .  
انظر حياة سعيد النورسي ص ١٣ .

الاستاذ برنارد لويس رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن في كتابه الغرب والشرق الأوسط ما نصه :

ومن بدء التفغلل الغربي في العالم الاسلامي .. حتى يومنا هذا كانت أهم الحركات الفكرية المتميزة المهمة الأصلية التي قامت في وجههم ، حركات اسلامية . ولقد كان اهتمام هذه الحركات بمشاكل الإيمان والعقيدة بمشاكل الجماعة الإسلامية التي سيطر عليها غير المسلمين ، أكثر من اهتمامها بأرض أو بلد احتله الأجانب ، وأقوى الحركات الثورية التي قامت ، والتي كسبت أقوى التأييد وأثارت حماس أغلب الجماهير كانت دينية شعبية في أصولها ، وفي شعاراتها ، وفي الاسلوب التي عبرت عن غايتها وسبيلها<sup>(١)</sup>.

#### محاور المقاومة الاسلامية :

وعلى غرار محاور الهجوم كانت المقاومة الاسلامية تعمل على محاور أيضاً . فمنها ما تميز بالعمل الفردي ومنها ما انصبغ بالتعليم والخدمات الاجتماعية ومنها ما كان أكثر شمولاً وحيوية عن طريق الأحزاب والمنظمات الاسلامية ..

فمحاور المقاومة الاسلامية إذن ثلاثة :

أولها : محور العمل الفردي .

ثانيها : محور الجمعيات الخيرية والتعليمية .

ثالثها : محور الأحزاب والمنظمات الاسلامية .

#### ● محور العمل الفردي :

وضم هذا المحور جهود عدد كبير من الشخصيات الاسلامية التي لم يتسن لها ان توجد حركات إسلامية منظمة وان تلتزم بالحركات القائمة .

---

(١) الغرب والشرق الأوسط ص ١٤٨ .

ولا ريب ان هذا الجهد المبرور كان له كبير الأثر في تفتح الوعي الاسلامي في قلوب الناشئة في الأجيال المتعاقبة وربما أيضاً كان له أثر في تنشئة رجال سعوا فيما بعد لإيجاد المنظمات والأحزاب الاسلامية العاملة .

ولا تكاد بلدة في الشرق تخلو من داعية أو أكثر كتب أو نشر أو دعا وقاوم محوراً أو أكثر من محاور الهجوم الماكر . وهذا الزخم الهائل قد سد سداً كبيراً في الجهاد الاسلامي ضد الزحف الجاهلي الصليبي الخطر .. بيد أن فاعلية هذا المحور تتوقف الى حد كبير على المواهب الشخصية الذاتية للفكر المسلم فتشتد هذه الفاعلية أو تضعف تبعاً للقدرة أو الوضوح الشخصي .. وعمل هؤلاء الاسلاميين من خطيب المسجد الى مؤلف كتاب الى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ، يتميز بالفردية أي أن عمله يخرج من ذاته دون تخطيط جماعي عام . وثمرات هذه الأعمال أشبه بزارع ينشر البذور في كل مكان فان أصاب أرضاً طيبة أنبتت بذوره وآتت أكلها وإلا تلفت ولفها العدم ..

ومن هذا يتضح المقصود بالعمل الفردي فهو كل عمل يقوم به داعية اسلامي من تلقاء نفسه دون أن يخضع هو أو عمله لمخطط اسلامي جماعي أي دون أن ينظم ثمرات عمله ويسلكها في حركة مسؤولية منظمة .. ويبقى العمل فردياً ولو كان للعامل تلاميذ وأنصار يأخذون عنه ويدرسون عليه ..

ويهدف الاسلاميون الفرديون الى كشف مخططات الهجوم الماكر على الاسلام والى توعية المسلمين في شؤون اسلامهم ورفع مستواهم الفكري والروحي والى الدفاع عن الاسلام على أنه فلسفة أو منهج أو دستور أو نظام . إلا أن هذه الأهداف يسمى كل منهم للوصول إليها بوسيلته الخاصة ودون تنظيم أو ترابط فيما بينهم ..

ويتوسل هؤلاء لبلوغ الأهداف بالخطابة والتدريس المسجدي والكتابة

والتأليف وإصدار المجلات والصحف وربما أيضاً التدريس في المدارس والمعاهد والجامعات .

وإذا ألقينا نظرة الى هؤلاء وجدناهم عدداً ضخماً يأمل المرء بهم خيراً كثيراً .. بيد أنه سرعان ما ينقلب كنيباً أسفاً بسبب انعدام الرابطة التنظيمية بين هؤلاء ولإصرارهم في عناد على رفض مواكبة الحركات الاسلامية المنظمة في عمل جماعي مشترك ..

ان القوى الفردية الاسلامية قوى ضخمة هائلة . ولو أنها انضوت في عمل جماعي حركي أو التحقت في تجمع اسلامي أو تنظيم فاعل إذن لَسَرَّعت تحرك المقاومة الاسلامية ولضاعفت من طاقاتها وامكاناتها ولفوتت فرص أعدائها المتربصين بها الدوائر ..

ويمكننا هنا أن نقرر بكل طمأنينة أن قادة العمل الفردي كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا لو انهم عملوا بتجمع حركي شعبي جماهيري منظم لغيروا سير التاريخ ولقوموا الانحراف في الدولة العثمانية ولأحبطوا مؤامرات التجمع الحركي المنحرف ( الاتحاد والترقي ) . . إلا أن هؤلاء اعتمدوا على ذواتهم دون الجماهير . لقد انعزلوا حركياً عن المسلمين مع أنهم كانوا على اتصال دائم بهم فكرياً وثقافياً .

ان الأفكار والمبادئ التي نادى بها هؤلاء وجدت التجاوب العميق في قلب كل مسلم . . فلو أنهم تعهدوا هذه القلوب بالتنظيم والتجميع لأثمرت جهودهم وما بأت بالفشل . فالإصلاح السيامي الذي نادى به الأفغاني ومشروعه في الجامعة الإسلامية قد قضي عليها في مهديها . . ذلك ان جمال الدين قد تحرك بالمشروع فردياً ودعا اليه دون تجمع ودون تنظيم .. وما كان ليصل المشروع الى هذه النتيجة لو كان له تجمع يمتد في طول البلاد وعرضها ويترابط بوحدات تنظيمية واعية .

ولا بد لنا أيضاً من تقرير واقع آخر وهو أثر سلمي للاسلاميين الفرديين.

فرفض هؤلاء المفكرين الكبار أو الدعاة أو الخطباء . . الخ الانضواء في عمل حركى منظم أوجد السلبية في كثير من الناس فقد بات عدد من المسلمين وخاصة المتصلين بالفرديين الإسلاميين يستسيغ الفردية في العمل الإسلامي ويرفض الجماعية ويجد مبرراً له ، زيداً وعمراً بل يسمى - بردة فعل خاطئة - الى تخطيط العمل الجماعى وتبيان عيوبه ومساوئه .

وبقطع النظر عما تقدم فان محور العمل الفردي في المقاومة الاسلامية ضد الهجوم الماكر قد قام بواجب ضخيم نجد آثاره في آلاف من الكتب والصحف والمجلات والدراسات والرسائل وكلها تنافح عن الاسلام بوعي واخلاص عميقي الغور .

### محور الجمعيات الخيرية والتعليمية

قام هذا المحور للرد على محوري التبشير والخدمات الاجتماعية والخيرية فقد لاحظ بعض المفكرين المسلمين اعتماد خطة « التغريب » و « التبشير » ، كوسيلة للوصول الى الأهداف على التعليم والخدمات الاجتماعية . فعزم هؤلاء على انشاء جمعيات للعناية بنفس الوسيلة بغية إيجاد جيل مسلم مثقف ثقافة عالية .

والملاحظة الأولى ، التي تسجل هنا ، هي كون هذه المدارس والخدمات أهلية . وقد بدأت منفصلة عن الحكومات وربما الى حد ما عن برامجها الرسمية .

### المعاهدة التعليمية

١ - معهد ديونبد في الهند :

ولعل أول معهد تعليمي - بكونه ردة فعل على محور التبشير والتغريب - هو معهد ديونبد في الهند فقد كتب الأستاذ ابو الحسن علي الحسيني الندوي يقول<sup>(١)</sup> -

(١) رسالة الدعوة الاسلامية في الهند وتطورها ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠



وفي سنة ١٨٥٧ ثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من الانجليز ولكن اخفقت. هذه الثورة واحتلت الحكومة محل شركة الهند الشرقية فكان الأمر أشد ودخلت الهند في حكم بريطانيا المباشرة . . . وانبث دعاة المسيحية والقسس في القرى والمدن يدعون الى المسيحية علناً ويشنعون على العقيدة الاسلامية والشريعة المحمدية ويعلنون ان دولة الاسلام قد زالت وان عهده قد انقضى . . . وطبقت الحكومة نظام التعليم المدني وهو يهدف الى تخريج طراز من الناشئة لا يصلح إلا لادارة جهاز الحكومة الانجليزية وتنفيذ برامجها وكثيراً ما كان افراد الجيل الجديد ينسلخون عن الاسلام انسلاخاً كلياً ويثورون على الحضارة الاسلامية والديانة الاسلامية بتأثير التعليم والتربية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الانجليز وأشباه الانجليز .

« ولم ير العلماء أمامهم طريقاً الا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية فأنشأوا هذه المعامل ليحتفظوا ببقايا الحياة الاسلامية وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي ويخرجوا منها دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين وعلماء الدين فيحفظوا على المسلمين دينهم ويعيدوا الثقة الى نفوسهم فأسس مولانا محمد قاسم النانوشي مدرسة ديوبند سنة ١٢٨٣ هـ وأسس مولانا سعادات علي مدرسة مظاهر العلوم في سهارنبور في نفس ذلك العام ثم تواترت المدارس الدينية في اتحاد الهند وقد كان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الاسلامية وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب .

ويعلق الأستاذ الندوي على نجاح هذه المدارس فيقول « وسر نجاح هذه المدارس - كديوبند وشقيقاتها - في أداء رسالتها ونشر العلم والدين أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهد فأثار ذلك روح المقاومة والجهد وقوة العمل والنشاط . ثم أن

أبناءها المتخرجين لم يكن لهم أمل - بطبيعة الحال - في وظائف الحكومة والرواتب الضخمة لأنهم تخرجوا من مدارس حرة لا صلة لها بالحكومة فألجأ ذلك أكثر المتخرجين الى الانقطاع الى الشعب دون الحكومة والتجرد للدعوة والخدمة دون المناصب والرواتب وهكذا وجد دعاة متجردون متحمسون متطوعون يقنعون بالكفاف وينقطعون الى الدعوة والرسالة فقاموا بأعمال اصلاحية لا تقوم بها أكبر دولة .

## ٢ - دار العلوم في اكنهو :

ويعقب الاستاذ الندوي على ذلك فيقول :

« ولما رأى بعض العلماء ان الهوة قد اتسعت جداً بين التعليم المدني والتعليم الديني وحدثت بين المتخرجين من المدارس الدينية والمتخرجين من المدارس المدنية فجوة وجفوة تتسعان على مر الأيام حتى أصبح هؤلاء أمة ولكل أمة لغة خاصة وثقافة خاصة ونفسية متميزة لا يفهما الآخر ، بل أصبح التعليم الديني في واد والمصر الحديث في واد ولا جسر يربطهما ، وقد أصبح هذا العصر يطلب من العالم الديني ثقافة أوسع وأسلوباً للدعوة أرقى وأقرب الى نفسية هذا العصر واطلاعاً على ما تجدد من العلوم والإفكار والمسائل والحاجات أنشأ القائمون على ( ندوة العلماء ) وفي مقدمتهم مولانا محمد علي المونكيري مدرسة دار العلوم في لنكهو سنة ١٣١٦ هـ ورسالتها الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع والتصلب في العقيدة والمبادئ والتوسع في الجزئيات والوسائل . وقد خرجت علماء ومؤلفين كانوا ملتقى للثقافتين وبرزخاً بين الطائفتين وقد ألفوا في السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي كتباً هي خير ما ألف الى الآن للجيل الجديد ولا يزال كتاب ( سيرة النبي ) في ستة مجلدات كبار للشيخ شبلي النعماني والاستاذ الكبير السيد سليمان الندوي أعظم

مؤلف في السيرة النبوية وتعليمات الاسلام لا يوجد له نظير في مكتبة الاسلام الحديثة ولا يزال لهذا المركز التعليمي نشاط وانتاج<sup>(١)</sup> .

### رشيد رضا والتربية والتعليم :

أما في بلاد العرب فقد قام رشيد رضا<sup>(٢)</sup> في مصر ببحث العلماء على أن يكون الإصلاح عن طريق التربية والتعليم . . وأكد ان التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة وقال :

« ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للأول لا يتم إلا به بل هو جزء منه لأن التربية على ثلاثة ضروب : تربية الجسم وتربية النفس وتربية العقل وهذا الأخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم<sup>(٣)</sup> .  
وعدد رشيد رضا الفنون التي يجب أن تعتمد عليها التربية والتعليم وتدرسها في مدارسها فذكر :

- ١ - علم اصول الدين ويقصد به القضايا الأساسية للدين لا البحث في غوامض علم الكلام .
- ٢ - علم تهذيب الأخلاق وإصلاح العادات لأنه يساعد على التربية الصحيحة .
- ٣ - علم فقه الحلال والحرام والعبادات .

---

(١) لا يزال هذا المعهد قائماً حتى الآن ويشرف على اصدار رسائل وكتب مختلفة منها الرسالة التي اعتمدها هنا (الدعوة الاسلامية في الهند) . وأهم اصدار مستمر على مدار السنة هو البعث الاسلامي وتصدر بالعربية منذ أكثر من احدى عشرة سنة وشعارها كما هو معلن عنه على غلاف المجلة ( الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وبين الايمان الراسخ والعلم الواسع ) .

(٢) ولد محمد رشيد رضا في القلمون قرب طرابلس في لبنان ٢٧ جمادى الاول ١٢٨٢ / ١٨٦٥ ودرس على استاذة الشيخ حسين الجسر علامة طرابلس ثم هاجر الى مصر وانشأ فيها مجلة النار التي كان لها الأثر الطيب في مختلف البلاد الاسلامية .

(٣) رشيد رضا الامام المجاهد للدكتور احمد المدوي سلسلة أعلام العرب ص ١٧٤ وما يليها .

٤ - علم الاجتماع وأحوال البشر في بداوتهم وحضارتهم وعاداتهم وسائر شؤونهم .

٥ - علم تقويم البلدان « الجغرافيا » .

٦ - علم التاريخ لأنه مادة السياسة ومجد العقل ومغذيه ..

٧ - علم الاقتصاد الذي يبحث في إنشاء الثروة وحفظها ..

٨ - علم تدبير المنزل وينبغي أن تتوسع البنات في هذا العلم لأنه وظيفتهن .

٩ - علم الحساب ولا بد من معرفة القدر اللازم منه للبنين والبنات .

١٠ - علم حفظ الصحة وهذا من أهم المهبات لتربية الأولاد وهناء العيش ..

١١ - علم لغة البلاد .

١٢ - فن الخط .

### ٣ - مدرسة الدعوة والارشاد في القاهرة :

ونادى رشيد رضا أثناء دعوته لإصلاح التربية والتعليم بأن يتولى الناس بأنفسهم انشاء المدارس والابتعاد عن الحكومة ذلك أن معظم الحكومات في البلاد الاسلامية كانت خاضعة في عهده للسلطات الاستعمارية ولا يرجى من ورائها نفع وفي نفس الوقت أكثر الاستعمار من المدارس التبشيرية في البلاد الإسلامية وصار الموقف يتطلب نهضة تنبعث من الشعوب الإسلامية نفسها حتى يتمكن اقبالها على التربية والتعليم مثمراً وضرب رشيد رضا أروع الأمثلة في ميدان التربية والتعليم اذ لم يكتف بدور الموجة والناصح وإنما نزل الى هذا الميدان عملياً ووضع فيه خلاصة آماله وتجاربته .. وتبلورت مجهوداته في تلك السبيل في انشاء جمعية الدعوة والارشاد تكون مهمتها الاولى والأخيرة الاشراف على مدرسة تحمل اسم الجمعية وتهدف الى تحقيق الإصلاح في ميدان التربية والتعليم<sup>(١)</sup>

(١) المرجع السابق ص ٨٩ - ٨٠

ودخل مشروع انشاء جمعية الدعوة والارشاد الى حيز الوجود سنة ١٣٣٠ هـ  
١٩١٢ م وجاء في مشروع تأسيس مدرسة الدعوة والارشاد ما يأتي .

١ - يختار طلاب هذه المدرسة من طلاب العلم الصالحين من مسلمي  
الاقطار ويفضل الذين هم بأشد الحاجة الى العلم على غيرهم كأهل جاوة والصين  
وما عدا القسم الشمالي من افريقية .

٢ - المدرسة تكفل لهم جميع ما يحتاجون اليه من الغذاء والطعام  
والكتب .

٣ - يعنى بتدريبهم على آداب الاسلام واخلاقه وعباداته بحيث يطرد  
من المدرسة من ثبت عليه ارتكاب أو اظهار العصبية الجنسية أو المذهبية  
او ارتكاب شيء من المعاصي<sup>(١)</sup> .

وبدأت المدرسة في التربية والتعليم وانجبت نفراً لا بأس به من خيرة  
المثقفين في البلاد الاسلامية ولكن المدرسة تعطلت عند نشوب الحرب العظمى  
الاولى ولم تفتح أبوابها مرة أخرى<sup>(٢)</sup> .

#### ٤ - المنار انشأت مدارس اندونيسيا :

ويبدو ان مجلة المنار التي كان يصدرها رشيد رضا قد أحدثت أثراً بالغا  
في الوسط الاسلامي في جاوة - اندونيسيا ففي نفس العام ١٩١٢ التي  
أسس فيها الاستاذ الامام مدرسة الدعوة والارشاد السالفة الذكر قامت في  
اندونيسيا جمعيتان تعليميتان : الجمعية المحمدية وجمعية الارشاد ، وتعتبر  
الجمعية المحمدية اليوم ( اكبر جمعية في العالم للتعليم أعضاؤها نحو مئتي الف  
ولها ألف وخمسمائة مدرسة ثانوية وسبعماية مستشفى وثلاثمائة دار أيتام ولها  
دار لتخريج المعلمين لمدارسها وللجمعية الآن فروع للسياسة والاقتصاد والثقافة  
والاوقاف والتبليغ .

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٨ .

أما جمعية الارشاد فلها الآن نحو خمسة آلاف مدرسة ، التدريس فيها بالعربية ومدرستها الكبرى في سورابايا في شرقي جاره . . . أكبر من الشكنة الحميدية التي فيها كليات جامعة دمشق كلها .

وفي سنة ١٩٣٠ أسس كياي ( أي الشيخ ) عبد الرحمن شهاب جمعية ولها اليوم في كل بلدة وكل قرية من ( سومطرة ) مدرسة ..<sup>(١)</sup>

#### الجمعيات الخيرية الاسلامية في لبنان :

ان حركة التعليم في البلاد الاسلامية - على انها حلقة في المقاومة الاسلامية ضد الهجوم الماكر - أخذت في الانتشار والاتساع حتى لا تكاد تجد بلداً في الشرق المسلم يخلو من مدرسة أهلية أنشئت لهذا الغرض ... فمثلاً هنا في لبنان مركز الجامعات والكليات التبشيرية ، نجد جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت التي افتتحت عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية والثانوية في بيروت وصيدا والقرى ، والمستشفى المعروف بمستشفى المقاصد في بيروت . وكذلك نجد الجمعية الخيرية الاسلامية وإسعاف المحتاجين في طرابلس التي أسست دار التربية والتعليم وملجأ الأيتام والمعهد الديني الابتدائي ومدارس أخرى للبنات وفي القرى ... ومنذ عشر سنوات تقريباً تأسست في بيروت جمعية البر والاحسن وعلى أثرها افتتحت جامعة بيروت العربية التي أصبحت ، في الواقع ، إحدى الجامعات المصرية ليس إلا !..

وخلال سنة ١٩٦٧ تداعى في لبنان نفر مخلص من شباب الدعوة الاسلامية ، وأسسوا جمعية التربية الاسلامية التي من أهدافها فتح المدارس لتخريج جيل يؤمن بالله وقد أخذت الموثق على نفسها ألا تنحرف عن جادة

---

(١) من مقال الاستاذ علي الظنطاوي بعنوان : الحركة الاسلامية في أندونيسيا منشور في مجلة المسلمون المجلد السادس ص ٦٣٨ .

الحق وألا تقع في أخطاء الجمعيات الأخرى وقد افتتحت فعلاً في طرابلس مدرسة الإيمان النموذجية وأخرى لتعليم القرآن خلال أشهر الصيف ..

وقد سبقت هذه الجمعية في لبنان ، مدارس الأقصى في الأردن ، ومدارس وطنية مختلفة في سوريا<sup>(١)</sup> خرجت بالفعل شباباً يجمع الى الثقافة المدنية الثقافة الدينية والخلق والعمل الاسلاميين .

والملاحظة التي أسجلها هنا بألم وأسى أن بعض هذه المؤسسات والجمعيات الخيرية وخاصة هنا في لبنان قد تحولت عن مقصدها وغدت تجارية المظهر والجوهر ولم تعد تحقق أهدافها في تنشئة جيل مسلم يقوى على مواجهة التحديات والانحرافات .

ان التعليم مجال ضيق لصقل نفوس النشء الجديد وتخرج أجيال تنطبع بالإسلام خلقاً وسلوكاً عقيـدة ومنهاجاً . . . ومن نكد الأيام أن تتحول مؤسسات المسلمين التي نشأت من جيوبهم الى معاهد للتعليم الرسمي شأنها شأن المدارس والكليات الرسمية الحكومية ...

وما يقال عن التعليم يقال أيضاً عن جمعيات الكشافة والأندية الرياضية والمستوصفات الطبية وجميعها قد نشأت بغرض تأدية خدمات اجتماعية اسلامية معارضة خدمات المبشرين ... بيد انها أصبحت تكايا للمتزعمين والمتنفذين وفقدت كل مظهر اسلامي كريم ..

## ● محور الاحزاب والمنظمات الاسلامية

ولعل هذا المحور أعظم المحاور في المقاومة الاسلامية شأناً وأثراً. فهو المحور الذي تلقى على جبهاته ثقل المقاومة بكاملها ، وهو الذي يملك

---

(١) أمت هذه المدارس في سوريا في الآونة الاخيرة كما أمت المدارس الاجنبية .

مخططاً ما لصد الهجوم الماكر ولإعادة مجد الاسلام في إقامة حكم إسلامي.  
في الشرق المسلم ...

ومن المحقق ان الحركات الإسلامية منذ نشأتها في الشرق المسلم كانت شوكة  
في أعين المبشرين والمستعمرين وتلاميذهم من أبناء البلاد ...

ولقد واجهت هذه الحركات صعوبات شتى وخاضت معارك ضارية ضد  
أعدائها من أجازب ورسميين حكوميين وحزبيين محليين أصحاب الدعوات  
غير الإسلامية . . ويبدو ان كل ضغط واجهته هذه المنظمات كان وفق  
خطة مدروسة وبناء على محور أو أكثر من محاور الهجوم الماكر على الاسلام  
العقيدى والحركي .

يقول الاستاذ برنارد لويس في كتابة الغرب والشرق الأوسط : ( والشيء  
الواضح ان من بين جميع الحركات الكبرى التي هزت الشرق الأوسط في  
آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة في تمثيلها لمطامح  
أهل هذه المنطقة ، فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية  
والاشتراكية كلها أوروبية الأصل مهما أقلمها وعدلها أتباعها في الشرق  
الأوسط والمنظمات الإسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة وتعتبر  
عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة . وبالرغم من ان كل الحركات الإسلامية  
قد هزمت حتى الآن غير انها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة )<sup>(١)</sup> .

#### الشعبية والجماعية في الحركة الإسلامية :

وتتميز الحركات الإسلامية - بوجه عام - بالشعبية أي انها تعمل في  
الوسط الشعبي لاختيار دعاة يمكن أن ينضوا تحت لواء العمل الجماعي ويخضعوا  
لتوجيه قيادي وفق نظام مدروس .

---

(١) الغرب والشرق الأوسط ص ١٧٩ .



ولعل هذه الصفة - أي الجماعية - هي التي تحدد خطورة هذه الحركات في مقاومة الهجوم الماكر وبناء التجمع الاسلامي الجديد . فهي أي الحركة الاسلامية ليست أفراداً يعملون متفرقين دون خطة أو تنظيم يبذرون البذور ولا يتعمدونها بالرعاية والسقاية والتهديب والتشذيب انما هي تنظيم قبل كل شيء محدد الأهداف والغايات مبين الوسائل والمسالك يتحرك بخطة ومنهج ويتوقف ليدرس ما نفذ وطبق وما يجب أن يعدل في الوسيلة والطريقة ، فهناك إذن قيادة وقاعدة أمراء وجنود وعي ونظام ...

### هدف الحركة الاسلامية :

وهدف هذه الحركات ، بوجه عام ، إقامة مجتمع اسلامي ، يطبق حكم الاسلام وتصوراته في الدين والانسان والحياة ... ومن أجل ذلك تحارب هذه الحركات كل فكرة جاهلية غير الاسلام غربية أو شرقية ، قومية أو اشتراكية ، ولا تدين - هذه الحركات - بالولاء إلا لمفاهيم الاسلام وفق القرآن والسنة مرددة قوله تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير » (١) .

### وسائل الحركة الاسلامية :

وتتوسل الحركات الإسلامية في سبيل أهدافها بكل شيء شرعي أو موافق للشرع فمن الخطابة الى التدريس الى التعليم الى الكتب والمطبوعات والرسائل والصحف الى المناقشة الفردية والجماعية والمحاضرات والندوات الى التدريب والتجميع والخدمات الاجتماعية الخ ... والفارق الأساسي بين وسائل الحركات الإسلامية والشخصيات الإسلامية ( العمل الفردي والجمعيات الخيرية ) التنظيم . . فوسائل الحركات تسمى لاختيار العناصر الصالحة من

---

(١) آية ٣٠ من سورة لقمان .

مجموع الناس وسلوكها في تجمع عضوي حركي يخضع في النهاية لتنظيم ( القيادة والقاعدة ) ... فهي اذن تعتمد البذور بالسقي والرعاية حتى إذا ما أثمرت قطفت ثمارها بالانضمام الى التنظيم الجماعي .

### الأسلوب الحركي :

والملاحظة الثانية في الحركات الاسلامية الحديثة انها فهمت الاسلام فهماً حركياً جيداً أو انها أضفت على تفهم الإسلام أسلوباً علمياً فريداً . ويحسن بنا ونحن في هذا الصدد أن نوضح بعض خصائص هذا الأسلوب كما جاء بها ، ونبين بعض المبادئ كما هي معتمدة في تلك الحركات ...

ان أسلوب الدراسة الاسلامية في الحركات الاسلامية الحديثة هو أسلوب حركي علمي واع يتجاوز الخلافات المذهبية ويحاول أن يستقي المعلومات من القرآن والسنة مباشرة فيمكن بالتالي وصفه بأنه سلفي المنهج حركي الطابع . ويستهدف الأسلوب ( مجال التأثير عند الانسان ) لبيان ان الاسلام عقيدة الخلاص لهذه الانسانية المعذبة المهوكة بالآلام الجاهلية وإدران الضلال والزيغ ...

### المبادئ التي أظهرتها الحركة بشكل جديد :

أما المبادئ التي أظهرتها الحركات الاسلامية في دراساتها ومؤلفات قادتها وأعضائها فيمكن أن نوجزها بما يلي :

أولاً : التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة وهو بحث يتعلق بالعقيدة وما يرافقها من ظلال ومعقبات ( وإدراك المسلم لطبيعة التصور الاسلامي وخصائصه ومقوماته هو الذي يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً في بناء هذه الأمة ذات الطابع الخاص المنفرد المتميز وعنصراً قادراً على القيادة والانقاذ فالتصور الاعتقادي هو أداة التوجيه الكبرى الى جانب النظام الواقعي الذي ينبثق منه ويقوم على أساسه ويتناول النشاط الفردي كله والنشاط الجماعي كله في شتى حقول النشاط الانساني ) .

ولا بد ( من صيانة التصور الاسلامي في قالب ذاتي مستقل ) و ( لا بد أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة إذ ان محاولة عرضها بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفئ إشعاعها وإيحائها ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الانسانية الكثيرة ) ( ان العقيدة - إطلاقاً - والعقيدة الإسلامية - بوجه خاص - تخاطب الكينونة الانسانية بأسلوبها الخاص وهو أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع والمسة المباشرة والإيجاء ) فإذا ما أردنا ( البحث عن خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ) علينا ( أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة بعد الحياة في ظلال القرآن طويلاً - وأن نستحضر - بقدر الإمكان الجو الذي تنزلت فيه كلمات الله للبشر ... ومنهجنا في استلهم القرآن الكريم ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً لا هزات عقلية ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته ، نحاكم اليها نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات ) و ( واننا لا نبغي بالتماس حقائق التصور الاسلامي مجرد المعرفة الثقافية ولا نبغي انشاء فصل في المكتبة الإسلامية يضاف الى ما عُرف من قبل باسم الفلسفة الإسلامية . . انما نحن نبتغي ( الحركة ) من وراء المعرفة نبتغي أن تستحيل هذه المعرفة قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع ، نبغي استجابة ضمير الانسان لتحقيق غاية وجوده الانساني كما يرسمها هذا التصور الرباني نبغي أن ترجع البشرية الى ربها والى منهجها الذي أراده لها والى الحياة الكريمة الرفيعة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للانسان والتي تحققت من فترات التاريخ على ضوء هذا التصور عندما استحال واقعا في الأرض يتمثل في أمة تقود البشرية الى الخير والصلاح والنجاة...<sup>(١)</sup>

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته - سيد قطب مقتطفات متفرقة من الفصل الاول « كلمة في المنهج » انظر الجاهلية والاسلام للاستاذ المودودي ، والعدالة الاجتماعية في الاسلام لسيد قطب ، وعقيدة المسلم لمحمد الغزالي ، والانسان بين المادية والاسلام لمحمد قطب ، ومبادئ الاسلام للاستاذ المودودي ،

## ثانياً : الجاهلية والاسلامية :

وبناء على التصور الإسلامي للكون والانسان والحياة أطلقت الحركة الإسلامية لفظ الجاهلية على كل مجتمع لا تسوده شرعة الله ( ليست الجاهلية صورة معينة محدودة ، كما يتصورها ( الطيبون ) الذين يرون انها فترة تاريخية مضت الى غير رجوع . انما هي جوهر معين يمكن أن يتخذ صوراً شتى بحسب البيئة والظروف والزمان والمكان فتتشابه كلها في انها جاهلية وان اختلفت مظاهرها كل الاختلاف .

وليست هي ( المقبل ) لما يسمى العلم والمعرفة والحضارة والمدنية والتقدم المادي والقيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والانسانية على اطلاقها كما يتصورها ( الخبيثون ) سواء بالنسبة للجاهلية العربية أو بالنسبة للقرن العشرين .

انما الجاهلية — كما عنها القرآن وحددها — هي حالة نفسية ترفض الاهتمام بهدي الله ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزله الله ( أفحك الجاهلية يبنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ) . المائدة ٥٤

هي اذن — مقابل — معرفة الله ، والاهتمام بهدي الله والحكم بما أنزل الله وليست مقابل ما يسمى العلم والحضارة المادية ووفرة الانتاج<sup>(١)</sup> .

ولعل الأستاذ أبا الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان كان أول من أطلق هذا اللفظ ( الجاهلية ) على المجتمعات الحديثة وذلك في رسالته الإسلام والجاهلية .

## ثالثاً : الاسلامية في المجتمع والدولة :

أكدت الحركات الإسلامية في أهدافها وكتاباتنا ان الإسلام دين ودولة

---

(١) جاهلية القرن العشرين — محمد قطب ص ٩ ، انظر أيضاً الاسلام والجاهلية لأبي الأعلى المودودي ، ومعالم في الطريق لسيد قطب .

مصحف وسيف حرب ومحراب وانـه يملك الأنظمة لكل شأن من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها ، وراحت هذه المؤلفات تصور حياة الإسلام في الدولة والمجتمع في السياسة والاقتصاد في الفرد والأسرة وتقارن بين هذه الحياة الربانية الإيمانية الإسلامية وبين أنظمة الأرض قومية وشيوعية ورأسمالية وديكتاتورية وديمقراطية وحزبية . الخ ..

فالحكومة في الإسلام كما يقول الإمام الشهيد حسن البنا هي قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس فهو لا يقر الفوضى ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام ، ولقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه : ( إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه ) . كما قال في حديث آخر لبعض أصحابه كذلك : ( إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا عليكم رجلاً ) .

فمن ظن ان الدين أو بعبارة أدق الإسلام لا يعرض للسياسة أو ان السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه وظلم علمه بهذا الإسلام ولا أقول ظلم الإسلام فان الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجميل قول الغزالي رضي الله عنه : ( اعلم ان الشريعة أصل والملك حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع . فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة - ولا حكومة مادة صماء لا روح فيها - كما لا تقوم الدولة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها<sup>(١)</sup> .

وأما الاقتصاد فقد لخص حسن البنا قواعده الإسلامية بالنقاط التالية :

١ - اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتشميره .

---

(١) مشكلتنا في ضوء النظام الاسلامي - حسن البنا ص ٣٨ - ٣٩ انظر ايضاً النظرية السياسية في الاسلام للاستاذ المودودي ، والاسلام وأوضاعنا السياسية لعبد القادر عودة .

- ٢ - ايجاب العمل والكسب على كل قادر .
- ٣ - الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد .
- ٤ - تحريم موارد الكسب الخبيث .
- ٥ - تقريب الشقة بين مختلف الطبقات تقريباً يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع .
- ٦ - الضمان الاجتماعي لكل مواطن وتأمين حياته والعمل على راحته وإسعاده .
- ٧ - الحث على الإنفاق في وجوه الخير وافترض التكافل بين المواطنين ووجوب التعاون على البر والتقوى .
- ٨ - تقرير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة .
- ٩ - تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم والتدقيق في شؤون النقد .
- ١٠ - تقرير مسؤولية الدولة في حماية هذا النظام<sup>(١)</sup> .

وللعادلة الاجتماعية معنى وتصور فهي تقوم على أسس ثلاثة هي :

- ١ - التحرر الوجداني المطلق بمعنى أنه ( لن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ما لم تستند الى شعور رئيسي باطن باستحقاق الفرد لها وبجاجة الجماعة اليها وبعقيدة في انها تؤدي الى طاعة الله والى واقع انساني أسمى ) .

- ٢ - المساواة الإنسانية الكاملة بمعنى انه ( إذا استشعر الضمير كل هذا التحرر الوجداني فخلص من كل ظل للعبودية إلا الله وأمن الموت والأذى

---

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ انظر ايضاً الاقتصاد بين الاسلام والانظمة المعاصرة للاستاذ المدودي ، واشتراكية الاسلام لمصطفى السباعي ، والعدالة الاجتماعية في الاسلام .

والفقر والذل إلا بأذن الله وتفلت من ضغط النقيم الإجتماعية والمالية . . إذا استشعر الضمير البشري هذا كله ووجد من الضمانات الواقعية والقانونية ما يؤكد في نفسه هذا الشعور فلن يكون في حاجة لمن يهتف له بالمساواة لفظاً وقد استشعرها في أعماقه معنى ووجدتها في حياته واقعاً بل لن يصبر على التفاوت القائم على تلك القيم اطلاقاً سيطلب حقه في المساواة وسيجد لتقرير هذا الحق وسيحتفظ به حين يناله .

٣ - التكافل الإجتماعي الوثيق بمعنى انه للمجتمع مصلحة عليا لا بد أن تنتهي عندها حرية الأفراد ولل فرد ذاته مصلحة خاصة في أن يقف عند حدود معينة في استمتاعه بحريته لذلك يقرر - الإسلام - مبدأ التبعة الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليها وهذا ما ندعوه بالتكافل الإجتماعي<sup>(١)</sup> . وعلى هذا المستوى الرفيع وبهذا الوعي العميق عاجلت الحركة الإسلامية مختلف جوانب الحياة وأضفت عليها طابع البحث الدقيق وخاصة فيما يتعلق بالنفس البشرية وخصائص تكوينها وطرق معالجتها<sup>(٢)</sup> .

### الظروف الصعبة في نشأة الحركات الاسلامية :

لقد نشأت الحركات الاسلامية في ظروف صعبة فهي قد ولدت في قلب الصراع وفي وسط الهجوم الماكر على الشرق المسلم .. وكانت هذه الظروف المعاكسة كفيلة بالقضاء عليها وطمس معالمها بيد ان الحركة استطاعت التغلب على كثير من الصعوبات وواجهت التحديات بإيمان ووعي الأمر الذي يثبت حيوية هذا الدين وقدرته على المقاومة والانتصار .. ولقد انتشرت الحركات الاسلامية في مختلف البلاد وكأنها حلقات متصلة تنتظمها سلسلة واحدة هي الاسلام وكأنها فروع لحزب واحد هو حزب الله مع أن هذه الحركات قد نشأت منذ البداية منفصلة عن بعضها ..

(١) العدالة الاجتماعية لسيد قطب ص ٣٦ و ٥١ و ٦٣ .

(٢) نذكر هنا كتابي الاستاذ محمد قطب في النفس والمجتمع وخطوط متقابلة في النفس البشرية.

ولعل أبرز هذه الحركات في القرن العشرين هي كما يلي :

- |                     |                                    |
|---------------------|------------------------------------|
| في البلاد العربية : | جماعة الاخوان المسلمون .           |
| في تركيا :          | حركة النور .                       |
| في ايران :          | فدائيان اسلام .                    |
| في باكستان :        | الجماعة الاسلامية .                |
| في أندونيسيا :      | حزب ماشومي أو مجلس شوري المسلمين . |
- ولا بد لنا أن نلقي أضواء كاشفة على هذه الحركات ..

أولاً : الاخوان المسلمون في البلاد العربية :

يبدو أن بعض المؤرخين الموضوعين قد كتب بشيء من التجرد على الاخوان المسلمين فالدكتور نبيه أمين فارس - أحد أعلام المؤرخين العرب المعاصرين كتب عن الاخوان يقول :

ان فكريتهم ومثالياتهم لا تزال أعمق مطامح المسلمين من المغرب الى اندونيسيا (١).

أما البروفسور كانتول سميت فقد نقل عنه الاستاذ برنارد لويس قوله :  
( من الخطأ في نظري اعتبار الاخوان المسلمين حركة رجعية محضة .. فلقد قامت فيها مجهودات إيجابية بناءة عمودة لبناء مجتمع جديد مؤسس على العدالة والانسانية المستمدة من أفضل القيم التي احتفظ بها من تقاليد الماضي ولقد مثلت حركة الاخوان جزئياً العزم على التخلص من الانحلال والتفسخ اللذين أغرقا المجتمع العربي ، وخصوصاً الانتهازية الاجتماعية غير الاخلاقية التي امتزجت بالفساد الفردي وأرادت العودة بالمجتمع الى مقاييس خلقية مقبولة وتوحيد النظرة الى هذه المقاييس والسير قدماً في برامج التطبيق وتنفيذ

---

(١) نقلاً عن كتاب الغرب والشرق الأوسط ص ١٧٨ .



الأهداف الشعبية بواسطة منظمة منتجة حسنة السلوك وهبت نفسها للمثل العليا . وحركة الاخوان تمثل جزئياً - التخلص من الاحترام السلبي لقيم مينة تافهة متوارثة .. ومحاولة تحويل الاسلام من عاطفة حماسية في قلوب المعجبين الكسالى الى عمل وتحويل التقليديين المنحرفين محدودي الفكر والتنفيذ الذين يشدون أنفسهم الى عصور الانحطاط الى قوة عاملة نشيطة فاعلة تحمل مشاكل العصر»<sup>(١)</sup>.

### طبيعة الحركة ووسائلها :

كتب الدكتور محمد كمال خليفة الاستاذ في جامعة القاهرة في مقدمة كتاب الاخوان المسلمون والمجتمع المصري<sup>(٢)</sup> يقول ( وجاء حسن البناء ليأخذ من هذا وذاك - أي من الأفغاني وعبد - ويسلك طريقاً شعبياً يكفل العصبة المؤمنة وطريقة تعليمية تنشر العقيدة السليمة والفهم الصحيح الشامل للاسلام ونظامه وأخذ يكافح في سبيل ذلك كفاحاً أدهش الجميع حتى ركز للاسلام مكانته في المجتمع وكل ذلك بتلك البساطة المعجزة في اقناعها بذلك الاسلوب الممتنع في سهولته وبذلك المنطق الذي أَرْضَى العامة والخاصة وبتلك الروح الانسانية التي تهدف الى المبادئ الأساسية للاسلام وتبعد عن الخلافات الفرعية وتتجنبها حتى اكتسب ثقة الجميع ومحبتهم وكون تلك اذ مجموعة من الشباب المؤمن التي كافحت ولا تزال في سبيل استخلاص الحقوق الوطنية وانقاذ الكرامة العربية وشهد لها الأعداء والأصدقاء .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٦ وقد علق العرب الدكتور نبيل صبحي على قول كانتول سميث بما يلي ( هذا أول كاتب غربي لم يخل تحليله من بعض الموضوعية والتجرد فبالرغم من ترديده للنفمة المألوفة - الرجمية والتعصب - فإنه لم يستطع ان يتجاهل النقاط الايجابية البارزة في دعوة وقاريغ هذه الجماعة التي رماما خصومها الكثير بالسهام المسمومة وبخل ، حتى المحايدون، عليها بطاقة من الورد ..

(٢) أعد هذا الكتاب الاستاذ محمد شوقي زكي عام ١٩٥٢ ليكون رسالة ينال على أساسها اجازته وقد أشرف على هذه الرسالة الدكتور خليفة وقدم لها ومن مقدمته نقلنا رأيه .

ثم اتجه اتجاهاً عملياً في اصلاح المجتمع فأقام المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتربوية باسم الاسلام . حتى عادت الثقة شيئاً فشيئاً الى النفوس وترعزت نبتة الايمان الكامنة في القلوب ووصل الناس الى مرحلة من فهم الاسلام الكامل الشامل كما يفهمه الاخوان وكما كان في عهود العصور الأولى للاسلام وهكذا أدى الرجل رسالته حتى قضى حياته وقد خلف من بعده جيلاً من الايمان يسعى على الأرض تحوطه ظلال الوحي وأنوار النبوة الكريمة وأمثلة حية للرجولة المؤمنة والكفاح المجيد .

### تاريخ الاخوان المسلمين :

وقد لخص الاستاذ برنارد لويس في كتابه الغرب وشرق الأوسط ، تاريخ الاخوان المسلمين فقال : ( وكانت أقوى هذه المنظمات الاسلامية وأكثرها نجاحاً منظمة الاخوان المسلمين وهي جمعية نصف علنية واسعة الانتشار تقوم على أساس الخلايا والفتوة ذات الطابع العسكري ، وشبكات ضخمة واسعة من المؤسسات الثقافية والاقتصادية ) \* .

ولقد أسست حوالي ١٩٢٨ على يد مدرس ثانوي مصري اسمه الشيخ حسن البنا وكان يلقب بالمرشد العام ثم نمت الحركة بإضطراد وبسرعة ما بين

---

\* من المؤسسات الاقتصادية الاخوانية شركة المعاملات الاسلامية والشركة العربية للنماذج والمهاجر وشركة الاخوان المسلمين للقرن والنسيج - شركة المطبعة الاسلامية ( شركة الاخوان للطباعة ) والجريدة اليومية ( شركة الاخوان للصحافة ) ( شركة التجارة والأشغال الهندسية بالاسكندرية ) ( شركة التوكيلات التجارية ) ( شركة الاعلانات العربية ) . وكان في القاهرة فقط وبندر الجزيرة سبعة عشر مستوصفاً طبياً أما بالنسبة للتعليم فقد كان هناك عدد كبير من المدارس موزعة وفق التصنيف التالي : رياض الأطفال - مدارس لحو الأمية وتنمية الثقافة الدينية - مكاتب لتحفيظ القرآن - مدارس ليلية لتعليم العمال والفلاحين - أقسام خاصة للراغبين في الامتحانات العامة شعب لتعليم الفلمن الذين حرموا التعليم لاشتغالهم بالصناعات - معاهد لتعليم البنين مدارس أمهات المؤمنين لتعليم البنات - دور الصناعات الملحقه بالمعاهد .. مدارس الجمعية .. واجمع الاخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٧٧ وما يليها ..

١٩٣٠ - ١٩٤٠ ودخلت الميدان السياسي ما بعد عام ١٩٤٠ وتمكن الاخوان بسرعة ان يلعبوا دوراً عاماً عاصفاً في السياسة المصرية خصوصاً في الفترة العصيبة التي مرت ما بين آخر الحرب العالمية الثانية وقيام الحكم العسكري في مصر . ولقد عملت الحركة الى فترة من الوقت كحزب سياسي .. وفي ١٩٤٨ حارب متطوعو الاخوان في فلسطين وعند عودتهم قيل انهم دبوا خطة الزحف على القاهرة والقيام بانقلاب للاطاحة بالملك والحكومة واقامة جمهورية اسلامية وجاءتهم الضربة الأولى من النقراشي (باشا) رئيس الوزراء . ففي سلسلة من التدابير التي بدأت في ٨ كانون أول ديسمبر ١٩٤٨ حل النقراشي جماعة الاخوان المسلمين وحجز موجوداتها واعتقل العديد من أعضائها \* . وفي الثاني عشر من شباط ( فبراير ) سنة ١٩٤٩ قتل الشيخ حسن البنا صريعاً في ملابس غامضة لم تفسر كلياً الى الآن وقام نشاط سرّي قوي بعد ذلك واستلم منصب المرشد العام الاستاذ حسن الهضيبي وفي سنة ١٩٥١ سمح للاخوان باستعادة بعض ممتلكاتهم المحجوزة ومزاولة نشاطهم العلني ، ولقد لعب الاخوان دوراً مهماً في معركة القنال ضد الانكليز وفي الأحداث الجائحة التي أدت الى قيام الثورة سنة ١٩٥٢ وبعد فترة قصيرة من التعاون الصعب بين الاخوان والحكم العسكري تدهورت العلاقات بسرعة<sup>(١)</sup> .

---

\* كتب الاستاد البنا قبل مقتله وكان هذا آخر ما كتبه عن أسباب حل الاخوان وجاء فيها الضغط الاجنبي : فقد أقر وكيل الداخلية للمرشد العام أن مذكرة قدمت الى النقراشي باشا من سفير بريطانيا وسفير فرنسا والقائم بأعمال سفارة أمريكا بعد أن اجتمعوا في فايد في ٦ ديسمبر ١٩٤٨ تقريباً يطلبون فيها المبادرة بحل الاخوان المسلمين انظر « الاخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٢٩ » . ووصفه اللواء محمد نجيب في خطاب ألقاه بذكرى وفاة البنا بما يلي : ان الامام الشهيد حسن البنا أحد أولئك الذين لا يدرك البلى ذكراهم ولا يرق النسيان الى منازلهم لأنه رحمه الله لم يعيش لنفسه بل عاش للناس ولم يعمل لنفعته الخاصة بل عمل للصالح العام . انظر المرجع السابق ص ٣٥ .

(١) الغرب والشرق الأوسط ص ١٧٣ - ١٧٦ .

فاتهموا بمحاولة الانقلاب وأعدم ستة منهم من بينهم المرحوم الاستاذ عبد القادر عودة مؤلف كتاب التشريع الجنائي في الاسلام .. وزج بالآلاف في السجون ثم في عام ١٩٦٥ اتهموا مجدداً بنفس الاتهام وحوكم الاستاذ سيد قطب على كتابه معالم في الطريق وأعدم هو واثنان في التاسع والعشرين من آب سنة ١٩٦٦ .

وللاخوان المسلمين فروع في مختلف البلاد العربية وقد لعبوا دوراً بارزاً في سياسة أقطارهم .

### أهداف الاخوان :

أما أهداف الاخوان المسلمين فقد أوجزها المرحوم الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين في سوريا ولبنان فقال :

« تستهدف دعوة الاخوان خمسة أمور رئيسية » :

اولاً : اصلاح الفرد وصلاحه إنما يتم - على الوجه الأكمل بتطهير عقيدته من الفساد وقلبه من الزيف ونفسه من الشهوة وخلقه من الضعف وروحه من العزلة حتى يكون في المجتمع بناءً يعمل بروح الأبرار ويكافح بعزيمة المناضلين ويفكر بعقل العلماء والحكماء .

ثانياً - اصلاح الأسرة : اذ هي الخلية الأساسية في المجتمع ، واستقامة شؤونها وتماسك بنيانها هو وحده السبيل الى تماسك بنيان المجتمع على الأسس التالية :

- ١ - التحرر من الجهل والخوف والرذيلة والجوع والمرض والمهانة .
  - ٢ - النظام المحكم الذي يجمع بين القوة والرحمة والعدالة والتسامح وينتفي فيه طغيان الفرد وميوعة الجماعة .
  - ٣ - القوة التي تحفظ الأمة في داخل المجتمع وتصد العدوان عن حدوده وسيادته وتحارب الظلم والطغيان أينما كان ..
- رابعاً - كفاح الاستعمار : الاخوان المسلمون لا يرون لكفاح الاستعمار

حداً يقفون عنده حتى تتحرر أمتهم من كل آثاره العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية وهم لا يرون استعماراً أولى بالمهادنة من استعمار . فكل عدوان على بلادهم وعلى عقائدهم وعلى كرامتهم وأموالهم يعتبر استعماراً يجب محاربته بكل وسيلة .. ويرى الاخوان ان كفاح أعوان المستعمرين من طغاة ومستبدين ومستثمرين هو كفاح للاستعمار ذاته لا يهادنون فيه أحداً ..

خامساً - توحيد العرب والمسلمين : ( .. مر أجل ذلك نادى الاخوان المسلمون بوجود تكتل العالم الاسلامي في اتحاد سياسي واقتصادي كالإتحاد السوفياتي أو الأمريكي وفي ظل هذا الاتحاد يستطيع العرب وكل شعب من شعوب العالم الاسلامي أن يعملوا لبلادهم ولكياناتهم الخاصة في إطار من التعاون العملي الذي يجعل منهم أمة مرهوبة الجانب محترمة الكيان تلعب دوراً خطيراً في صيانة السلام في العالم وتوفير الرغد والأمن لشعوبه .. )<sup>(١)</sup>

#### تعريف جماعة الاخوان :

ويعرف الدكتور السباعي جماعة الاخوان المسلمين بما يلي :  
ليست دعوة الاخوان المسلمين دعوة حزبية ضيقة تقف عند حدود سوريا ولبنان ، فقط بل هي حركة عالمية في مصر والسودان وشمال أفريقيا وفلسطين وشرقي الأردن والعراق وسوريا ولبنان والحجاز وباكستان وأندونيسيا وأكثر مناطق الشرق العربي والاسلامي ، نهضة عالمية تمثل حركة البعث الجديد في شباب العروبة والاسلام بعثاً قوياً يعتمد على أقوى الدعائم التي أحدثت كبرى الانقلابات الاصلاحية في العالم القديم والحديث وهي واضحة في اسسها واضحة في أهدافها ووسائلها ..

ونحن الاخوان المسلمين :

لسنا جمعية خيرية تنحصر مهمتها في جمع الأموال لإغاثة الفقراء والمنكوبين من المحسنين والأغنياء .

---

(١) دروس في دعوة الاخوان المسلمين .

ولسنا جمعية وعظية تنحصر مهمتها في وعظ الناس بالخطب والمقالات والنشرات .

ولسنا حزباً سياسياً تنحصر مهمته في جمع الناس حوله ليصل أعضاؤه الى الحكم فيحنتقوا منهمجهم السياسي المحدود .

ولسنا جماعة مادية تنحصر مهمتها في نطاق المشاريع الاقتصادية لفائدة أعضائها المنتمين إليها .

ولسنا هيئة اقليمية تنحصر مهمتها في نطاق محلي أو إقليمي أو قومي ضيق .

« إنما نحن :

دعاة انقلاب إصلاحي فكري وعملي شامل ..

دعاة رسالة شاملة .. تشمل الناس جميعاً وتنظم نواحي الحياة جميعاً ..

دعاة عصبية للفضيلة والخير والحق والعزة .

دعاة دين ولسنا دعاة طائفية ..

انصار سلم ان أراد بآمتنا وبلادنا سلباً وخيراً وكرامة ..

جنود كفاح لمن أراد لنا الافناء ولأوطاننا الاستعمار ولشريعتنا التهديم ولجماهيرنا الإفقار والإذلال ..

دعاة إصلاح اجتماعي في أمتنا .. « (١)

ثانياً : حركة النور في تركيا

حتى في تركيا . . في المجتمع المتغرب العلماني المترفع . مجتمع الجمهورية الكمالية . . كانت حركات دينية مكافحة تعارض الثورة الكمالية وكان على زعامتها الأخوة الدراويش ولم يكونوا من « العلماء » لأنهم كانوا موظفين رسميين . في حياة كمال أتاتورك كانت الحركة النقشبندية رأس حربة المعارضة

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢ .

الدينية ، إذ قاد عدد غير قليل من أفرادها ثورات مسلحة وأهمها في المنطقة الجنوبية الشرقية سنة ١٩٢٥ وفي مينيمين سنة ١٩٣٠ ، أما حديثاً فالحركة التيجانية والحركة النورية هما اللتان تبشران وتدعوان مناهضة الثورة الكيالية .. ولكنها لم تحملا السلاح بعد ، هذا ما قاله الاستاذ برنارد لويس في كتابه الغرب والشرق الأوسط ص ١٧٧ .

والحقيقة ان حركة النور حركة ضخمة بلغ عدد أفرادها الملايين وقد أسسها العلامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي .

« ففي منتصف القرن الماضي نشأت في الدولة العثمانية حركات علمانية قوية بين طبقات المثقفين بالثقافة الأوروبية من المدنيين والعسكريين تدعو الى تجديد بناء الدولة العثمانية على أسس أوروبية محضة ، ونجحت هذه الحركات بعد محاولات كثيرة في الاستيلاء على الحكم وأنشأت جمهورية حديثة على أسس علمانية وبذلت أحكام الشريعة بأحكام قانونية غربية ثم تابعت محاولتها لفصل شعب تركيا المسلم عن سائر الشعوب الإسلامية الشقيقة وعلى الأخص الشعوب العربية .

ولكن شعب تركيا الشجاع لم يستسلم لهذه الفتنة الجديدة بل راح يقاومها بكل ما أوتي من قوة وقامت حركات شعبية إسلامية تبين أصالة الشعب التركي في تعلقه بالإسلام ديناً وشريعة وبالأخوة الإسلامية مع الشعوب العربية . وكان من أهم تلك الحركات وأغزرها فكراً وأعقها أثراً تلك الحركة التي قام بها العلامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي وتلامذته - طلاب رسائل النور - فكشف عن دقائق الإسلام الخالدة من جديد وأعاد للأجيال الناشئة ثقتها بتاريخها وجهادها ونجح في بلورة تعاليم الإسلام وبين مزايا شريعته الخالدة للشباب المتوثب في تركيا . وأخذ يكتب عدداً من الرسائل الإسلامية تحت عنوان ( سلسلة رسائل النور ) (١) .

---

(١) من مقدمة لرسالة عن حياة سعيد النورسي الاستاذ الشيخ عبد الله الخالدي .

وإذا كانت سنة الله في كونه اقتضت كما يقولون أن يبعث بين كل فترة وأخرى من الزمن من يحدد للمسلمين أمر دينهم ، ويوقظ فيهم دواعي الجهاد ذوداً عن شريعة الله ودينه فان بديع الزمان هو المجدد الذي أكرم الله به المسلمين في تركيا إبان حكم كمال أتاتورك فقد كان رمز الحرب الإسلامية لحكمه وكان المحور الذي استقطب حوله ملايين الشباب المسلمين للصمود في وجهه ، ولقد مات أتاتورك مصطفى كمال واتباع بديع الزمان يكثرون ويزيدون .

« وحينما توفي بديع الزمان منذ ثلاث سنوات ( توفي في ٢٧ رمضان ١٣٧٩ / ١٩٥٩ ) تقريباً كان أتباعه يطرقون أبواب الحكم في تركيا من جميع أطرافه ورغم أن أمريكا تداركت الأمر فقلبت الأوضاع وعملت على وضع الحكم من جديد في أيدي « الكماليين » فان أتباع بديع الزمان والأمناء على عهده وجهاده هم الذين يجمعون أمرهم اليوم للثورة » (١) .

ففي سنة ١٩٠٨ حين ظهرت حرية محمد رشاد وجمعية الاتحاد والترقي التي كانت تتقنع بالدين ظاهراً وتحفي رجس الماسونية واليهودية باطناً ، بادر بديع الزمان فألف جمعية إسلامية باسم « الاتحاد المحمدي » سرعان ما انضم إليها من شتى أطراف الدولة العثمانية آلاف الناس .

#### محاكمة الماسونية لبديع الزمان :

.. ولقد أثار عمل بديع الزمان هذا مخاوف الماسونيين الذين كانوا من وراء الحركة الاتحادية فأرسلوا رئيس محفلهم الشري اليهودي العظيم «قرصو» لمقابلته ولكنه ما لبث ان خرج من عنده قائلاً لرفاقه « لقد كاد هذا الرجل العجيب ان يزجني في الإسلام بحديثه » و«قرصو» هذا هو أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة العثمانية وخلع السلطان عبد الحميد واستلاب فلسطين .

---

(١) الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي ، المرجع السابق ص ٦ - ٧ .



ولم يجد الاتحاديون من سبيل أمامهم أخيراً سوى القبض على بديع الزمان فقبض عليه في حادثة ٣١ آذار سنة ١٩٠٩ التي أعدم فيها ١٥ مسلماً وقدم الى نفس المجلس الذي حوكم فيه هؤلاء .

وبعد ان حكم على الخمسة عشر بالإعدام توجه رئيس المحكمة خورشيد باشا الى بديع الزمان قائلاً : وأنت أيضاً تدعو الى تطبيق الاسلام ؟ وطلب منه أن يتكلم بما لديه فقال بديع الزمان :

لو ان لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الاسلام . . انني أقول لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي الى الآخرة لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله :

. . لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد والآن فانها تعادي الحياة واذا كانت الحكومة هكذا فليعيش الجنون وليعيش الموت . . . وللظالمين فلتعيش جهنم .

لقد سألتهموني : هل أنت داخل في جمعية الاتحاد الحمدي ؟ وأنا أقول لهم مع الفخر إنني من أصغر أفرادها ولكن هل لكم أن تخبروني من هم الذين يوجدون خارج هذه الجمعية غير المجانين والسفهاء ؟

وكانت جريمتي الأخرى اني تصديت للرد على دعاة الماسونية والاحاد من أصحاب الصحف وقلت لهم : ان على الأديب أن يكون أديباً في دعوته . . خصوصاً اذا كان سمع الأمة ولسانها . وانني أقول الآن : كما انه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين فكذلك لا يناسب استانبول أن تلبس أخلاق أوروبا (١) .

---

(١) المرجع السابق .

وحكم على بديع الزمان . . . ثم أخلي سبيله تحت ضغط الجماهير . . . ونشبت الحرب الأولى ووقع بديع الزمان أسيراً في يد الروس، واستطاع الفرار . . . وبعد انتهاء الحرب الأولى استولى الانكليز على استانبول عام ١٩١٨ ووجهوا ستة أسئلة الى المشيخة الاسلامية عن طريق كنيسة (انكلكان) أريد منها البدء بسلسلة مؤتمرات على الاسلام فوجهت المشيخة الاسلامية هذه الاسئلة الى بديع الزمان ليجيب عليها بستمئة كلمة حسب طلب الانكليز فكان جواب بديع الزمان « ان هذه الأسئلة لا يجاب عليها بستمئة كلمة ولا بستة كلمات ولا بكلمة واحدة . بل ببصقة واحدة على أفواه السائلين فحكم عليه بالاعدام . . ثم عدل عن ذلك خوفاً من ثورة الاناضول » .

#### حكم الخائن مردود :

وعندما قام مصطفى كمال بثورته ١٩٢٠ وكان يتظاهر بالايمن والاسلام - أرسل بديع الزمان خطاباً مطولاً الى المجلس النيابي الذي ترأسه مصطفى كمال ضمنه نصائح لهم في عشر فقرات وجعل عنوانه هذه الجملة :

« اعملوا أيها المبعوثون انكم مبعوثون ليوم عظيم » .

وكان من تأثير هذا البيان . . ان استقام على التدين وإقامة الصلاة ستون نائباً منهم غير ان هذا أثار حفيظة مصطفى كمال ، فاستدعى بديع الزمان ودخل معه في مناقشة حادة وفي ديوان المجلس النيابي وكان مما قاله كمال : لا ريب اننا بحاجة الى استاذ قدير مثلك . . ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة لقد كان أول جهودكم هنا حديث الفرقة في أهل هذا المجلس .

فأجاب بديع الزمان : « ان أعظم حقيقة تتجلى بعد الاسلام إنما هي الصلاة وان الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود » (١) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢

وبدأ الصراع . . واستطاع كمال أأتورك ان يحول تركيبا الرسمية عن الاسلام - على نحو ما رأينا (١) - وعكف بديع الزمان على كتابة الرسائل مستهدفاً التوعية الاسلامية ومقاومة أأتورك بفكرة والمبدأ . أما كيفية انتشار هذه الرسائل بين الناس ففيها الأعجوبة الخارقة التي تكشف عن مدى ما تفعله عقيدة هذا الدين في نفس صاحبها إذ تحول فيه الضعف الى قوة والجبن الى شجاعة .

كان أأتورك إذ ذاك قد أسفر عن وجهه . . . فالتى جميع وجوه النشاط الاسلامي وفي مقدمتها الكتابة بالأحرف العربية وما قد يتضمنها من بحوث وتعليقات إسلامية . فكان سبيل جماعة النور الى نشر رسائل الاستاذ هو أن يأخذ كل فرد على نفسه كتابة ما يمكن من النسخ عن كل رسالة تظهر فاذا وزعها على القراء كان على كل من هؤلاء ايضاً أن يقوم بنفس الوظيفة وهكذا تتكاثر هذه الرسائل في الأيدي عن طريق التوالد المطرد وكما تنتشر الدوائر المتداخلة على سطح الماء إذ يقذف فيه بحجر تنتشر هذه الرسائل بسرعة مذهلة في مختلف البلدان والقرى والمجتمعات . لقد ظل جماعة النور قرابة عشرين عاماً ينشرون رسائل النور بهذه الوسيلة ، فقد كانت أيدي الشبان والفتيات تقوم بما تعجز عنه آلات الطباعة . وكثيراً ما تعرضت فتيات للسجن والتنكيل إذ ظهر للسلطات انها تسهر الليالي الطويلة وهي تنسخ هذه الرسائل ثم توزعها في صناديق البريد أو في صفوف المدارس (٢) .

وعلى أثر ذلك أمر أأتورك بنفي بديع الزمان فنفي الى بارلاثم الى اسكي شهر ثم حوكم بتهمة قلب نظام الحكم . وبعد ان انتهت مدة سجنه نفي الى كاستامونو على البحر الأسود . . ولكنه حتى في هذه الحالة ظل يكتب البحوث والمواضيع الاسلامية ويهيب بالمسلمين أن لا يتركوا دينهم ويصبح

---

(١) راجع فصل كيف دالت دولة الاسلام من هذا الكتاب .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧

بالشباب أن لا يعصب عينيه بمصائب الجهل بالاسلام. وظلت النشرات تنتقل سرّاً . . الى صفوف الجامعات ومعسكرات الجيش ودواوين الحكومة .

« وشعر مصطفى كمال بالزلزال يسري في كيان حكومته ، فعقد اجتماعاً سرياً دعا اليه كبار رجال الماسونية الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقويض بناء الخلافة الاسلامية وبناء الحكومة العثمانية على أنقاضه ، انتهى باتفاقهم على إحالة بديع الزمان مرة أخرى للمحاكمة بتهمة تأليف جمعية سرية والعمل على الاساءة لحكومة الثورة واتهام مصطفى كمال بالدجال » (١) .

بديع الزمان امام المحكمة من جديد :

ووقف بديع الزمان وكثير من أعضاء جماعته أمام المحكمة . . وكان مما قاله :

« انني لا أتوجه في بياني هذا الى أعضاء هذه المحكمة فقط بل والى تلك الجماعة المناكرة في اسباطة ايضاً . . اني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية . على حين يحق لما رق مثل ( الدكتور دوزي ) أن يفترى على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار ثم يعتبر أمراً مقدساً بذلك ، لأنه حرية للرأي والفكر . أما نور القرآن الذي يأبى الا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره فهي خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة .

« انكم تدورون ثم تقولون: ان أعمالي الدينية ما هي الا استغلال ووسيلة للاخلال بالأمن ولكن أقول لكم بالمقابل : ان دعواكم هذه ليست الا استغلالاً ووسيلة لاعدام الدين باسم المحافظة على الأمن . . إذا فان تلك المادة ذات الرقم ١٦٣ ما هي إلا عبارة عن كرة تقذفون بها الى حيث أردتم وما

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦

إرادتكم إلا معاداة الدين اذا « فاسمعوا يا من بعث دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق انني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة : افعلوا ما يمكنكم فعله ففاية ما نتمناه ان نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام » (١) .

ومع ان المحكمة برأته وآمن بأفكاره من آمن من أعضائها . . إلا أن بديع الزمان أعيد الى منفاه وبقي فيه حتى أوائل عام ١٩٤٧ حين ظهرت سلسلة من التسهيلات التي أدخلتها الحكومة إذ ذاك على قانون أتاتورك فيما يخص الثقافة والنشاط الديني وكان هذا بضغط من جماعة النور التي اكتسحت إذ ذاك كل شيء .

وأجازت الحكومة أيضاً طباعة رسائل النور بمختلف وسائل الطباعة .. فانتشرت الرسائل في كل بلدة وسوق ومسجد ومدرسة وجامعة بل كثيراً ما كانت آلاف النسخ منها تظرف فوق رؤوس الناس بواسطة القائما من الطائرات بواسطة ضباط ينتمون الى حركة النور .

فعاد الجذع يستبد من جديد بأفئدة السلطات فقد رأوا أن تيار النور سيكسحهم لا محالة وشعروا ان دائرة الاتحاد واللا دينية تنتقص أطرافها بسرعة مذهلة وان الواجهة الثقافية والفكرية للشعب التركي من علماء وأدباء ومفكرين وأساتذة جامعة ينضون تباعاً تحت لواء هذه الدعوة . بحماس منقطع النظير .

فألقت الحكومة القبض عليه واحالته الى محكمة افيون الجزائية عام ١٩٤٨ فأصدرت المحكمة حكمها على سعيد بالحبس عشرين شهراً ثم بقي معزولاً مراقباً حتى وفاته في السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩ هـ .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦

تقرير اللجنة الرسمية المكلفة بدراسة طبيعة وعمل جماعة النور :

ولا تزال جماعة النور حركة قوية تنتشر في كل مكان من تركيا فتبدد ظلام الكمالية والجاهلية . . ويقدر المراقبون عدد أعضاء هذه الحركة بين ٦٠٠,٠٠٠ عضو وبين مليون (١) .

وقد وضع مجموعة من أساتذة الجامعات التركية تقريراً رفعوه الى الحكومة التركية بناء على طلبها وذلك حين قدمت جماعة النور الى المحاكم - في المرة الأخيرة - وكان التكليف رغبة من الحكومة لمعرفة طبيعة هذه الجماعة وكان من اللجنة ثلاثة من كبار الأساتذة هم البروفسور حميد طويجواووظو والبروفسور فاروق رام والبروفسور نشات جاغاتاي وقد نشرت تعريب هذا التقرير مجلة الشهاب اللبنانية العدد الخامس السنة الأولى سنة ١٩٦٧ وقد جاء في هذا التقرير :

هي دعوة شاملة لعموم المسلمين تدعوهم لغيروا تفكيرهم حتى يطابق التفكير الإسلامي . وهم يدعون الناس الى تفهم القرآن الكريم وأن يتخلقوا بأخلاق الإسلام وحين تصبح عقولهم وقلوبهم مطابقة لتعاليم الإسلام يدعون يومها طلبة النور .

وهم جماعة متساندة متعاونة تحاول درأ أي خطر قد يمس جماعتهم والخلاصة هي جماعة رائدها الاخلاص متمسكة بمجبل الله المتين مستعدة للجهاد في سبيل الله وفي سبيل إقامة شرع الله في الأرض . . وفي سبيل إقامة وحدة إسلامية مع البلدان الإسلامية عامة والعرب بصورة خاصة .

وهم ليسوا من أولئك الذين يؤمنون بترك نعم الحياة وينفرون من العمل

---

(١) راجع الحركة الإسلامية بين الأمس واليوم للاستاذ فتحي يكن في مجلة الشهاب اللبنانية العدد ٥ السنة الاولى ١٩٦٧ وحياة سعيد النورسي للاستاذ البوطي .

في السياسة والاكتفاء بالحياة الآخرة دون الحياة الدنيا ويتبعون لذلك الأنزواء البعيد عن الحياة .

كلا : فهم ليسوا من هؤلاء المنعزلين في سبيل الوصول الى الهدف ولكنهم جماعة يحبون العمل والحركة ويستعدون لإعلان الجهاد المقدس في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض ولذا فهم يحرصون على تربية أفرادهم تربية روحية وعقلية كاملة بحيث تصبح الشهادة في سبيل العقيدة مطلبهم الرئيسي .

وحركة النور في تركيا .. تعرف أن الأحكام الإسلامية وما يتصل بها من قوانين حقوقية خاصة بالدولة قد استبدلت بأحكام مدنية لا دينية وهي تعلن أنها تستنكر هذا الأمر .

.. وهم لن يلجأوا الى تغيير الأوضاع بالقوة ولكنهم سيمهدون لهذا التغيير بالأمور الدعوية المعنوية حتى يقيم الوعي وينتشر نور الاسلام في كل مكان ..

### ثالثاً - فدائيان اسلام في ايران :

يقول برنارد لويس في كتابه الغرب والشرق الأوسط ( ويلاحظ نفس المزيج من المثالية والعنف ، من التقوى والارهاب في المنظمة الايرانية التي تسمى فدائيان اسلام .. وبالرغم من مذهبهم الشيعي فإنهم يحملون فكرة عن الوحدة الإسلامية تماثل الى حد كبير فكرة الاخوان المصريين . ولقد كانت بينها اتصالات وفي ٧ آذار سنة ١٩٥١ قتل أحد أفراد فدائيان اسلام رئيس الوزراء الإيراني الجنرال ازمارا .. وفدائيان اسلام هي في حالة خسوف الآن ولقد بقيت الى مدة عامل اضطراب في سياسة ايران )<sup>(١)</sup>.

---

(١) ص ١٧٦ - ١٧٧

## نواب صفوي وجهاده :

( كان نواب صفوي معارضاً شديداً للجهاز الحاكم في ايران وكان يعتبره مؤلفاً من دمي في أيدي المستعمرين وكان على يقين انه سيدعى ورفاقه ان عاجلاً أو آجلاً ليقدموا دماءهم في سبيل الأهداف التي يتمسكون بها وقال نواب اننا متأكدون من أننا سنقتل ان لم يكن اليوم فغداً ، ولكن دماءنا وتضحياتنا سوف تحيي الاسلام وتحفزه الى النهوض ان الاسلام بحاجة الى هذه الدماء والتضحيات اليوم ولن ينهض بدونها أبداً )<sup>(١)</sup> .

ونواب هذا شاب متوقد الإيمان والحماس يبلغ من العمر تسعة وعشرين درس في مدينة النجف بالعراق ثم عاد الى ايران ليقود حركة الجهاد ضد الخونة والمستعمرين أسس ( نواب صفوي ) حركة فدائيان اسلام التي تؤمن بأن القوة هي السبيل الوحيد لتطهير أرض الاسلام من الصهيونية والمستعمرين<sup>(٢)</sup> .

## فدائيان وجهادهم بفلسطين وضد الانكليز :

وعندما بدأت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ لبس رجال جماعة فدائيان اسلام الاكفان واستعدوا للزحف على فلسطين .. لكن توقيع الهدنة أعادهم )<sup>(٣)</sup> .

وأيضاً عندما بدأت ( معارك التحرير من النفوذ البريطاني عند تأميم مصافي عبادان كان فدائيان اسلام الشعلة التي أثارت السبيل ومهدت الطريق بسيل من الدماء ..

وأخيراً عندما نقضت اتفاقات التأميم انتكست الوثبة وعاد معه أذناؤه وأتباعه ، كان لا بد لفدائيان اسلام من أن يعملوا .. فقال زعيمهم نواب « لا » بالرغم من أن الكتل الوطنية كلها سكنت أو زج بها في السجون ..

---

(١) مجلة المسلمون المجلد الخامس ص ٨٦

(٢) و(٣) الاستاذ فتحي يكن جريدة الشهاب اللبنانية العدد ٤ السنة الاولى ١٦٧



فكان أن شرفه الله بالشهادة مع نفر من اخوانه وسقط نواب صفوي برصاص  
الخونة والعملاء صباح يوم الاربعاء الواقع في الخامس من جمادى الثاني ١٣٧٠  
الموافق ١٨ من كانون الثاني ١٩٥٦<sup>(١)</sup>.

### مبادئ فدائيان :

ويمكن أن نلخص مبادئ حركة فدائيان اسلام بالمبادئ الأربعة التالية :  
أولاً : الاسلام نظام شامل للحياة .  
ثانياً : لا طائفية بين المسلمين أي لا سنة ولا شيعة .  
ثالثاً : لا تعارض بين الاسلام والوطنية .  
رابعاً : وحدة العالم الاسلامي على أساس « الاسلام طريق حل مشكلات  
المسلمين » .

فمن المبدأ الأول يقول نواب « ليس الاسلام عندنا مجرد فرضية غيبية انه  
نظام شامل للحياة الانسانية ، انه فكرة فعالة قادرة على تزويد الانسان  
بكل خير في الدنيا والآخرة ، وينطوي على الحلول الحاسمة لجميع مشكلاتنا  
وقضايانا انه يوفر للجميع الغذاء والكساء والمأوى ويهيء لنا أشرف علم  
وأسمى ثقافة وتربية وفوق كل ذلك يضع لنا نظاماً اجتماعياً اقتصادياً  
سياسياً يضمن الأمن والسلامة للفرد والمجتمع والناس كافة . انه يغنينا عن كل  
ما في النظم المعاصرة - الرأسمالية والشيوعية - من فوائد وينأى بنا عن  
مضارها »<sup>(٢)</sup>.

وعن المبدأ الثاني قال نواب « لنعمل متحدين للاسلام ولننس كل ما عدا  
جهادنا في سبيل عز الاسلام . . ألم يأن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام  
الى شيعة وسنيين . لينظروا جميعاً في كتاب ربهم وهو كفيل بتوحيدهم حتى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة المسلمون ص ٧٥

يكونوا جبهة قوية متحدة أمام أعدائهم المتربصين . ان الآلام والتضحيات التي يتحملونها في سبيل هدفهم المشترك سوف يكون لها الأثر الفعال في جميع القلوب » (١) .

أما المبدأ الثالث فقد أوضحه نواب الصحفي الباكستاني الذي سأله عن تعاون فدائيان مع حركة مصدق القومية المتطرفة التي آزرها حزب تورة الشيوعي في نفس الوقت فقال « ان مصدق يعمل لنهضة ايران . وان تأميم البترول كان من الأهداف المشتركة التي جمعت بين مصدق وفدائيان ولذلك وقفت الجماعة من مصدق موقف المؤيد الثابت ، خصوصاً عندما حاول المستعمرون التغلب عليه بالدسائس الدنيئة والمؤامرات بالتعاون مع عملائهم في ايران . . . وان الاسلام لا يتعارض والوطنية ولكنه يحارب الوطنية المحمقاء.. واذا حصل أي تعارض بين الاسلام والوطنية فان جماعة (فدائيان) دون شك أو تردد تعتزم سبيل الاسلام » (٢) .

وجواباً على سؤال كيف يواجه المسلمون مشكلاتهم الكبرى التي تعترض سبلهم كمشكلة كشمير وفلسطين والمغرب ( حين كان المغرب مستعمراً ) أجاب نواب محدداً المبدأ الرابع من مبادئ فدائيان فقال « ان الكنولت الاسلامي هو الحل الصحيح بل هو الطريق الوحيد للخلاص ، ولكن هذا غير مستطاع ما دام العاملون المخلصون للاسلام لم يتقلدوا بعد أمور المسلمين وكل وحدة مصطنعة بين المسلمين مع وجود القوى المستعمرة التي لا تعمل إلا لمصلحتها فانها رهينة التفكك . ان وحدة العالم الاسلامي ممكنة على أساس الاسلام ولصالح المسلمين ولا تصح إلا على هذا الأساس » (٣) .

---

(١) مجلة المسلمون ص ٧٥

(٢) المرجع السابق ص ٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٧٧

#### رابعاً : الجماعة الإسلامية في باكستان :

الجماعة الإسلامية في باكستان حركة إسلامية مجتة تدعو إلى إحياء الدين الحنيف وتهدف إلى رفع كلمة الله في الأرض وتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في الحياة العامة والخاصة وتطهيرها من شوائب التناقض والشرك وإقامة مجتمع إسلامي سليم يمثل الإسلام في مبادئه النبيلة وتقاليده الذهبية وروحه الطيبة .

« ولقد تأسست الجماعة الإسلامية سنة ١٩٤١ أي قبل قيام باكستان بست سنوات بقيادة الاستاذ الكبير العلامة المجاهد الشجاع أبي الأعلى المودودي وما أن تأسست باكستان وبرزت إلى الوجود هذه الدولة الإسلامية حتى أخذت الجماعة الإسلامية زمام المبادرة للمطالبة بوضع دستور البلاد على أسس مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وقد لاقت في سبيل هذه الدعوة ما لاقت من المحن والمتاعب »<sup>(١)</sup> . واصطدمت اصطدامات عنيفة بالفئات والاتجاهات التي أوجدتها الاستعمار كالفاديانيين ومنكري السنة النبوية والمتفرنجين والمخدوعين بالحضارة الغربية .

وفي عام ١٩٦٣ صادرت الحكومة مجلة ترجمان القرآن - التي كان يصدرها الاستاذ المودودي - وألغت امتيازها \* بحجة أن المجلة حاولت إساءة العلاقة بين باكستان وإيران \* .

وفي عام ١٩٦٤ أصدرت الحكومة أوامرها بحل الجماعة وصادرت أموالها وأغلقت دورها ومراكزها ، ثم أُلقي القبض على أمير الجماعة وجميع أعضاء مجلس الشورى وهم ستون شخصاً ... وزج بهم في السجون والمعتقلات ... وبعدها قدّم المودودي للمحاكمة وصدر الحكم فعلاً ثم خفّض إلى السجن .

---

(١) مجلة الجماعة الإسلامية في باكستان ص ٣ .

\* مع غرامة مالية قدرها عشرة آلاف روبية باكستانية ، انظر أيضاً كتاب مجلة الجماعة الإسلامية في باكستان يفتي حياة هذه الجماعة وأعمالها ومنها وتهم الحكومة الباطلة .

\* مقال نشرته المجلة كتبه علماء إيران عن الوضع في إيران وسياسة الحكومة ووضع اليهود انظر المرجع السابق ص ٧٠ وما يليها .

المؤبد تحت ضغط العالم الإسلامي واستنكاره الشديد لموقف الحكومة من الجماعة الإسلامية<sup>(١)</sup> .

وتقلبت الجماعة الإسلامية - بعد ذلك - في أدوار مختلفة حتى إذا ما أعلنت الحكومة العسكرية الأخيرة عن إجراء انتخابات في باكستان في أواخر سنة ١٩٧٠ لوضع دستور للبلاد حتى راحت الجماعة الإسلامية تركز قواها في جميع أنحاء البلاد متآلفة مع المجموعات الإسلامية هناك .

وقد كشف النقاب في باكستان عن ان الجماعة الإسلامية توجه ثلاثة تنظيمات جماهيرية كبرى هي منظمة العمال التي تضم خمسمائة اتحاد مهني ومنظمات الشباب التي يتفرع عنها منظمة الطلاب المسلمين ومنظمة قوة الشباب الديمقراطية ومنظمة الفدائيين المسلمين الذين كتبوا بدمائهم استعدادهم للاستشهاد في سبيل الدعوة الى الله .

ومن الناحية الاعلامية فان الجماعة الإسلامية تحاول تغطية باكستان بشقيها الغربي والشرقي فقامت بإصدار ست صحف يومية موزعة في المدن الرئيسية ومجلة شهرية وأخرى أسبوعية .

أما من الناحية التنظيمية فقد أصبح للجماعة في باكستان ثلاثمائة فرع يقوم على قيادتها خمسمائة متفرغ لا عمل لهم الا التنظيم والدعوة الى الله .

**طبيعة ومصدر منهاج الجماعة :**

وتتلخص دعوة الجماعة الإسلامية في باكستان بمبادئ ثلاثة كما أعلنوها

وهي :

١ - دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره .

---

(٢) للاستاذ فتحي يكن مجلة الشهاب اللبنانية العدد الرابع السنة الاولى ١٩٦٧ وقد أفرج عن الاستاذ المودودي مؤخراً ثم أعيد اعتقاله ثم أفرج عنه .

٢ - ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالاسلام ديناً أن يخلعوا دينهم لله ويتركوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض .

٣ - ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا اصلاحاً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً وأن ينزعوا هذه الامامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر الاستاذ المودودي طبيعة ومصدر منهاج الجماعة في العمل الاسلامي فقال<sup>(٢)</sup> « الحقيقة ان منهاجنا - كدعوتنا - إنما هو مأخوذ من القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل أعبائها وتبليغ رسالتها معنا ، فإن أول ما نطالبهم به أن يدخلوا في دين الله كافة ويصطبغوا بصبغته بجملة شؤون حياتهم من فكرية وعملية ويجعلوا سلوكهم العام في الحياة هو الدليل على أخلاقهم وتجردهم ويبذلوا سعيهم لتزكية حياتهم وتطهيرها من كل شيء يخالف إيمانهم ومن هنا تأخذ أرواحهم تقوى ونفوسهم تعقل وأخلاقهم تهذب وسيرتهم تتزكى ويدخلون مرحلة الابتلاء والامتحان » .

ومن النتائج التي توصلت اليها الجماعة الاسلامية بعد مرورها بتجارب متنوعة واجتيازها مراحل عديدة ان الحركة الاسلامية ليست بغنى عن أمرين أساسيين بحال من الأحوال ، في صدد دعم قواعدها وتثبيت خطواتها وتحقيق غاياتها :

أحدهما : التخطيط والتنظيم .

والآخر : التربية من ناحيتين : فكرية وروحية .

---

(١) راجع الصفحة الاخيرة من كتب الاستاذ المودودي وقد وقعت هذه الصفحة باسم الجماعة الاسلامية في باكستان وراجع ايضاً تذكرة دعاة الاسلام للاستاذ المودودي ص ١٠٩  
(٢) تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٥ - ٢٦

« كما يلزم للعاملين للإسلام أن يكونوا مضطلمين بالثقافة العصرية والأفكار السائدة والدعوات الحديثة من مواطن الضعف والفساد والدمار إذ أن هذا يزيدهم إيماناً بنظرية الإسلام ودعوته ويؤهلهم لدحض الحجة بما هو أقوى منها وإفناء الأذهان بخطأ الخاطئ، وصحة الصحيح بينما تحلهم بالتربية الروحية يجذب اليهم التلويح . . وهذا أقوى سلاح وأنجح وسيلة وأوفق منهاج وأضمن عمل لنجاح صاحبه في الدنيا والآخرة » (١) .

### كتابات المودودي :

من أجل هذا عكف الأستاذ المودودي على تزويد أعضاء الجماعة والمسلمين في العالم بمباحث فكرية رصينة في مختلف مواضيع الحياة والحركة، ونستطيع أن نقرر بكل طمأنينة أن لمؤلفات الأستاذ المودودي أعظم الأثر في بلورة الفكرة الإسلامية ليس فقط في الجماعة الإسلامية في باكستان بل في كافة الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي وتعتبر كتابات المودودي مرجعاً غنياً للعاملين والمفكرين المسلمين .

ومن هذه المؤلفات :

في الحركة : تذكرة دعاء الإسلام والأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية .  
في العقيدة : مبادئ الإسلام - البينات - المصطلحات الأربعة في القرآن - الإسلام والجاهلية - الحضارة الإسلامية .

في الأنظمة : معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام - النظرية السياسية في الإسلام - الجهاد في سبيل الله - نحو دستور إسلامي - الربا - الحجاب - حركة تحديد النسل .

في الحضارة : الحضارة الإسلامية .

---

(١) خليل أحمد الحامدي معتمد دار العربية للدعوة الإسلامية بلاندر باكستان انظر تقديم كتاب تذكرة دعاء الإسلام ص ٧ - ٨ وقد كتب هذا التقديم في شباط ١٩٦٦ .

وله مقالات عديدة منشورة في مختلف المجلات الإسلامية تبث في  
انثقافة والتفسير <sup>(١)</sup> والرد على مفتريات المبطلين والخائفين ، وله أبحاث  
ودراسات موضوعية مختلفة .

وتعتبر الجماعة الإسلامية في باكستان من أقوى الحركات الإسلامية في  
العالم عدداً وتنظيماً .

خامساً : حزب ماشومي ( او مجلس شوري المسلمين ) في اندونيسيا :

للحركة الإسلامية في أندونيسيا تاريخ يختلف عن تاريخ يختلف عن تاريخ  
الحركات الإسلامية من حيث التكوين ، ومن حيث العدد والتنظيم . فحزب  
ماشومي مثلاً يقدر أعضاؤه منذ عام ١٩٥٤ بأحد عشر مليوناً <sup>(٢)</sup> وهو عدد  
ضخم يمكنه التأثير بسياسة أندونيسيا بشكل طبيعي . وهذا ما حدث فعلاً  
فقد قادت الحركة الإسلامية الجهاد ضد المحتلين اليابانيين ثم الهولنديين ، وقد  
تولى المفاوضات على المائدة المستديرة التي انتهت باستقلال تام ومنجز لأندونيسيا  
ممثلون عن حزب ماشومي قائد الثورة <sup>(٣)</sup> ثم كان للحزب ممثلون في البرلمان  
والوزارة واستلم رئاسة الوزارة لفترة من الزمن ثم بدأ الصراع عنيفاً بينه وبين  
الرئيس سوكارنو مما أدى الى اشتعال ثورة هائلة في أواسط سومطرة . . .  
وظل الحزب بعيداً عن الحكم يقاوم الشيوعيين وحكم سوكارنو حتى أذن  
الله بزوال حكم سوكارنو وكشف مؤامرة الشيوعيين الأخيرة في أندونيسيا .  
وقد كتب الأستاذ علي الطنطاوي تحليلاً للحركة الإسلامية في أندونيسيا

---

(١) للاستاذ المودودي تفسير يسمى (تفهيم القرآن) وقد بدأ به منذ أكثر من خمس وعشرين  
سنة وظهر منه حتى الآن ثلاثة أجزاء من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الروم . ويكتب  
الاستاذ المودودي مؤلفاته بالاردية وقد عربت أكثرها .

(٢) راجع الحركة الإسلامية في أندونيسيا للاستاذ علي الطنطاوي والنشور في مجلة المسلمين  
المجلد السادس ص ٦٣٦ ولعله أراد بالأعضاء مآزري الحزب ومؤيديه فضلاً عن المنتظمين .

(٣) من نصريح للاستاذ محمد ناصر زعيم الحزب .

على أثر زيارته لهذه الدولة واطلاعه على الأوضاع الخاصة للأحزاب هناك  
نقتطف منه ما يلي :

« لتاريخ الجمعيات والأحزاب في أندونيسيا مراحل كثيرة :

١ - أما مرحلة التأسيس ، فالفضل كله فيها لرجل واحد ، هو الذي  
شق للناس هذا الطريق ، هو الذي قادم الى العمل وهو الأستاذ الأكبر عمر  
سعيد شكروامينوتو الذي أسس أول حزب في أندونيسيا سنة ١٩١٠ وهو  
( شركة إسلام ) وشركة في اللغة الأندونيسية تستعمل بمعنى ( جمعية )  
وكان هذا الحزب هو الساق الذي تفرعت منه الأحزاب والجمعيات كلها ولا  
يزال موجوداً الى اليوم .

« وكان شكروامينوتو شعلة حماسة وكنز اخلاص ومنار هداية ، ولقد  
بذل الهولنديون المستعمرون كل شيء ليصرفوه عن غايته : المناصب ،  
والأموال ، والمتع ، فوجدوه جبلاً لا يتزحزح .

وفي هذا الوقت أسست جمعيتان وان لم تنصرفا للسياسة والجهاد كما فعلت  
شركة اسلام ، فلقد عملت عملاً أثبت وأبقى ، وهو - وفتح المدارس واعداد  
نشء صالح يكون عدة للمستقبل ( الجمعية المحمدية ) أسسها الحاج أحمد  
دملان سنة ١٩١٢ و ( جمعية الارشاد ) \* أسسها السوكرتي الانصاري وهو  
سوداني الأصل سنة ١٩١٢ .

وفي سنة ١٩٣٠ أسست جمعية وحدة العلماء ، وفي سنة ١٩٣٥ أسس  
الدكتور سوكيمان الحزب الإسلامي الأندونيسي و ثم سنة ١٩٣٦ أسس الحاج  
أوغست سالم ( وزير خارجية أندونيسيا ) حزب التنوير الإسلامي وجمعية  
الشبان المسلمين .

وبدأت بعد ذلك حركة تقارب وتعاون بين هذه الجمعيات والأحزاب -

---

\* راجع محور الجمعيات الخيرية من هذا الفصل .



وتكون منها بين الحربين شبه اتحاد باسم المجلس الإسلامي الأعلى ، عقد مؤتمرات إسلامية عامة واشتغل بمسألة الخلافة \* . . . واشتغل المجلس بقضايا العرب في فلسطين وفي برقة وعمل على مقاطعة إيطاليا . . . وانشأ فرعاً للصحافة لرد مفتريات المجلات الأوروبية والصينية . . . والمجلات الاحادية . وجاهد جهاداً رائعاً لابطال القوانين الاستعمارية ومنها قانون الزواج المدني المخالف للإسلام . . . وسمي الجبل القائم في منطقة المؤتمر باسم ( جبل شركة اسلام ) ولا يزال اسمه الى اليوم تخليداً لهذا المؤتمر .

٣ - وكان الاحتلال الياباني لأندونيسيا والملايو . . . وتشكلت الخلايا العسكرية ومنها فرق الدفاع الوطني بقيادة « الجنرال سوديرمان » وهو في الأصل من العلماء وأكثر ضباطه من الجمعية المحمدية ومنها أيضاً ( حزب الله ) بقيادة زين العارفين ( من جمعية نهضة العلماء ) .

٤ - وأيام حكم اليابان اجتمعت الجمعيات وكونت منها اتحاداً أوثق وأقوى وكان مجلس الشورى الإسلامي بدلاً من المجلس الإسلامي الأعلى .

٥ - ولما استلقت أندونيسيا وصارت فرق الدفاع الوطني هي الجيش وبقي حزب الله واعتزل وألف شبه حكومة داخلية باسم دار الإسلام وهي موجودة الى اليوم في جبلية من جاوة تضم ملايين من السكان وتقيم حكم الله . إلا أن المؤتمر الأكبر الذي جمع الأحزاب والجمعيات كلها كان قد قرر توحيد الصفوف في حزب واحد دعي ( ماشومي ) \* .

٦ - ثم كان مؤتمر جوكجا في ١٥/١٢/١٩٤٩ وقد دام خمسة أيام بلياليها وكان أعظم مؤتمر إسلامي شهدته سبعمائة مندوب وقرر :

١ - تثبيت ماشومي وتكوين مكتب تنفيذي له واعتبار جميع الأحزاب

---

\* في أعقاب إلغاء الخلافة في استانبول .

\* تكون اسم ماشومي من الحروف الاولى والاخيرة « المجلس الشوري الاسلامي » .

والجمعيات أعضاء فيه .

٢ - جعل للحزب أقساماً للدعاية والنشر والنساء والاجتماعيات والاقتصاد والتربية والثقافة .

٣ - تأليف جبهة تضم جمعيات الشباب كلها باسم ( جبهة الشباب الأندونيسي ) .

٤ - تأليف لجنة دائمة للحج .

٥ - توحيد الصحافة الإسلامية في أندونيسيا .

٦ - اعداد لجنة من العلماء لوضع الدستور الاسلامي .

٧ - تأييد فلسطين وتونس والجزائر ومراكش عملياً ومالياً .

٨ - انشاء وقف بخمسين مليون روبية لانشاء مدارس اسلامية .

٧ - ولكن الاتحاد هذا لم يدم . وكان ان انشقت جمعية نهضة العلماء وشركة اسلام والتربية الاسلامية وألفوا فيما بينهم حزباً واحداً ( اسمه مسلم ليك ) أي الجماعة الاسلامية . . وأعلنوا ان الخلاف بينهما وبين ماشومي خلاف شكلي خلاف في الطريقة فقط لا في المبدأ ولا في الغاية . . فصار في أندونيسيا جبهتان اسلاميتان ماشومي ورئيسها محمد ناصر، وهو رجل عالم فاضل متواضع ويقدر عدد المنتسبين الى ماشومي بأكثر من أحد عشر مليوناً . ( ومسلم ليك ) ورئيسها دملان <sup>(١)</sup> .

اهداف حزب ماشومي ونظرته للكون والحياة :

وقد نشرت مجلة المسلمون في مجلدها السادس سنة ١٩٥٨ النص الكامل للخطاب الذي ألقاه محمد ناصر زعيم حزب ماشومي في الهيئة التأسيسية التي انتخبت لوضع الدستور وقد أعلن محمد ناصر في الخطاب ( أن

---

(١) المسلمون ، المجلد السادس ص ٦٣٦ وما يليها .

فكرة دعوتنا . . تهدف الى بناء دولة اسلامية أي أن تكون أندونيسيا دولة اسلامية ) .

وقد جاء خطابه جامعاً شاملاً لأكثر مناحي الصراع وجعل له عنواناً ذهب شعاراً في التحليل السياسي لأوضاع المسلمين (اختاروا احدى السبيلين : سبيل الدين أو سبيل اللادينية ) وقد تكلم في مستهل خطابه عن مفهوم الدولة وتطورها وآراء الاتجاهات الفكرية المعاصرة والقديمة ثم نقد المبادئ الخمسة التي دعا اليها سوكارنو لبناء أندونيسيا وهي :

١ - الايمان بالله ( بمعناه العام ) .

٢ - القومية .

٣ - الديمقراطية .

٤ - الانسانية .

٥ - العدالة الاجتماعية .

ثم قال : « ليس مجال للحياة الانسانية يمكن فصله عن الدين أو فلسفة الحياة ، فلا بد لنا أن نختار سبيلين : سبيل الدين أو سبيل اللادينية . أما سبيل اللادينية كما قد شاهدناها طوال هذه الفترة لا يمكنها ان تعطي أساساً راسخاً لحياة المجتمع بل انها تقوض أسس حياة الأفراد والجماعات » .

ثم مضى قائلاً : « مما لا يختلف فيه اثنان ان للدين ميزة خاصة فما هي حقيقة الدين ؟ الدين هو عقيدة ونظام للحياة يشتمل على عدة عوامل منها :

الايمان بالله كمصدر للحكم وقيم الحياة .

الايمان بالوحي المنزل على الرسول .

الايمان بوجود صلة العبودية .

الايمان بأن هذه الصلة تؤثر في حياة الأفراد .

الايمان بوجود حياة أخرى بعد الممات .

الايان بأن العبادات هى وسيلة للتقرب الى الله .  
الايان بالله كمصدر للقيم العليا .  
الايان برضى الله كهدف أسمى في هذه الحياة .

ثم راح يقارن بين المبادئ الخمسة وبين مبادئ الإسلام وعقب بقوله :  
( فأنى لهذه المبادئ ( أي الخمسة ) أن تكون أساساً لدولة . . ليس في  
مقدور - هذه المبادئ - أن تخاطب أرواح المسلمين ، هؤلاء الذين لهم فكرة  
واضحة المعالم كاملة البناء تمتد جذورها الى أعماق نفس الشعب كهدف لحياته  
ومصدر لكيانه المادي والروحي ، الا وهي فكرة الإسلام . اما أن ينتقل  
المسلم من فكرة الإسلام الى ( المبادئ الخمسة ) فمثل ذلك كمثل من ينتقل  
من أرض يطؤها بقدمه الى فضاء خال ) .

وبعد ذلك اختار سوكارنو طريق اللادينية وحل حزب ماشومي ثم قام  
بجل المجلس التأسيسي الذي وافق ، مبدئياً على ألا تتصادم القوانين مع  
الشريعة الإسلامية سنة ١٩٥٩ ثم حل البرلمان ورشح أعضاء يرضى عنهم  
وأكثرهم من اليساريين الشيوعيين .

وخلال هذه الفترة ، نشأ فراغ هائل في أندونيسيا خلفه تشتت الأحزاب  
الإسلامية وتوغلها في السياسة . . فتداعى فريق من الأندونيسيين الغيورين  
الى مؤتمر عقدوه في مربانا - أندونيسيا - في السابع من رمضان سنة ١٣٨٢  
واتفقوا على ( انشاء مؤسسة إسلامية غير سياسية ، لا تخوض في المسائل  
الخلافية المذهبية التي هي سبب انشقاق المسلمين بأندونيسيا ، مؤسسة تعترف بها  
الحكومة على الرغم من شيوعيتها ) كما جاء في التقرير الذي أذاعه في مكة  
بتاريخ ١٩٦٧/٩/٣ الأستاذ حسين الحبشي بالنيابة عن مؤسسة الدعوة  
الإسلامية ويقول :

« هكذا اخترنا لها الاسم الذي بها عند الحكومة ثم ركزنا جهودنا على

طبع رسائل ندحض بها مزاعم الاشتراكيين وندحض فيها خرافات الأناجيل \* .

وقد لخص الأستاذ الحبشي في تقريره منهاج المؤسسة فقال :

١ - السعي في توحيد كلمة المسلمين المنتشرين في شتى الأحزاب الاسلامية وتسوية كل خلاف نشأ بينهم .

٢ - عدم الخوض في المسائل الفقهية المختلفة بين المذاهب الاسلامية .

٣ - إيجاد جبهة إسلامية في أندونيسيا مكونة من الأحزاب الاسلامية على اختلاف مناهجها السياسية ، وفي هذه نؤمل أن يسعدنا الحظ لدعوة قادة الفكر الاسلامي المنتشرين في جميع الأقطار الاسلامية لعقد مؤتمر تحضره الأحزاب الاسلامية .

٤ - حد الغزو الثقافي الصليبي والاشتراكي .

وبعد أن أطيح بسوكارنو تنفس الاسلاميون الصعداء وصار بإمكانهم التحرك والتفاعل والتوحد وقد لاحت بالآفاق تباشير ذلك .

\*\*\*

وبعد . .

فان هذا العرض السريع وهذه الصفحات المحدودات لا يفيان بالجهد الكريم الذي بذله ويبدله الدعاء الى الله في كل مكان من أرجاء وطننا الاسلامي الكبير إزاء الهجوم الصاعق الماكر .

---

\* كان المبشرون تدعمهم سفارة أمريكا وأوروبا قد نشطوا نشاطاً كبيراً خلال عهد سوكارنو الاسود راجع ص ١٠٩ من هذا الكتاب وكذلك الشيوعيون .

ان خط المجاهبة خط صعب المراس والقياد والثابتون على الثغور المنافحون  
عن هذا الدين الخالد لا يلتفتون الى السهام السامة التي يرمون بها عن كل قوس  
بل إنهم ليمضون في طريق الجهاد والكفاح مدركين تبعات العمل وثقل  
المسؤولية ومخاطر الصراع بين الجاهلية والاسلام .

ومما لا ريب فيه ان أن ثبات المجاهدين على طول خط المجاهبة أول علائم  
النصر القريب . . ولا يوجد ثبات دون إيمان ولا إيمان دون استعلاء ولا  
استعلاء ، دون تمرد ولا تمرد دون عناد . . والعناد صفة أصيلة من صفات  
المرابطين المجاهدين .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



## الفصل الثامن :

كَيْفَ تُقَيِّمُ  
حُكْمَ الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ



انتهينا في الفصول الأولى ، من هذا القسم ، وخاصة في فصل النظام والحضاره الى أن الانسانية المعذبة الحائرة ستلقي رحالها ، في يوم من الأيام قريب ، على عتبة الاسلام تبغي عنده الراحة والطمأنينة والعدل والنظام .

وبالرغم من أن الاسلام العظيم قد راشقه أبناءه ومختلف دول العالم بالسهام المسمومة القاتلة - كما رأينا في فصل الهجوم الماكر - فإنه على استعداد تام لابدال السهام القاتلة بالأنوار المحيية يشعها من قرآنه المبين ليضيء بها قلوب التائهين الحيارى وليخرجهم من جديد من ظلمات الجاهلية الى وضاء الاسلام .

ان الاسلام لن يحقد على الانسانية ولن ينتقم منها كما انه لن يبخل عليها ، متى آبت الية ، بمعطيائه الأصيلة بغية إنشاء إنسانية سعيدة ، وإذا كان هذا شأن الاسلام مع العالم بأسره ، فحري به أن يكون كذلك مع أبنائه . فهؤلاء قد أخذوا على حين غرة ، وخدعوا بآلام الانسانية المعذبة وظنوها عنى جهل منهم آمالاً كباراً يجب أن يسموا لهاكاتهما بكل قوام ولو ضحوا بإسلامهم العظيم .

ورأينا في الفصل السابق ، كيف أن الله سبحانه من على المسلمين في كل بلد من جدد لهم دينهم ونهض بخط المجاهبة على مختلف محاوره حتى غدت الحركة الاسلامية بالرغم من المحن والضربات ، قوة لا يستهان بها وتياراً أصيلاً نابعاً من ضمير هذا الشرق المغلوب على أمره .

أو كما يقول برنارد لويس « وبالرغم من أن كل الحركات الاسلامية قد هزمت ، حتى الآن ، غير انها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة » .

ان التيار الاسلامي يتحرك في كل مكان بالرغم من النكبات ، ويسمى  
جاهداً بالرغم من المعوقات والتحديات ، لاقامة حكم الله في أرض الله .

ان الحركات الاسلامية لم تقل بغد كلمتها كما يقول المراقبون ، لكنها ستقو لها  
في ساعة الصفر - أو بمعنى أدق - في لحظة القدر الموعودة « ويومئذ يفرح  
المؤمنون بنصر الله » ( إلا إن نصر الله قريب ) .

ولا نكون غلاة في التفاؤل ان قلنا : ان إيماننا بمستقبل هذا الدين في  
الشرق المسلم وفي الانسانية جمعاء إيمان لا يرتابه شك ولا تزغزعه قوى  
الشر العاتية .

ان نور الاسلام سيشرق من جديد ليبدد الظلمات فحلقة الليل البهيم  
سيكشفها فجر الاسلام القريب ان الليل لا يمكن أن يبقى ليلاً ، والظلام لا  
يمكن أن يدوم ، وان موعدم الصبح أليس الصبح بقريب ؟

أخي ستبید جیوش الظلام	ويشرق في الكون فجر جديد
فاطلق لروحك أشواقها	تر الفجر يرمقنا من بعيد
أخي انني ما سئمت الكفاح	ولا أنا القيت عني السلاح
وان طوقتي جيوش الظلام	فاني على ثقة بالصبح
أخي فامض لا تلتفت للوراء	طريقك قد خضبه الدماء
ولا تلتفت ها هنا أو هناك	ولا تتطلع لغير السماء
فلسنا بطير مبيض الجناح	ولن نستذل ولن نستباح
واني لأسمع صوت الدماء	قوياً ينادي: الكفاح الكفاح
سأثار لكن لرب ودين	وامضي على سنتي في يقين
فإما الى النصر فوق الأنام	واما الى الله في الخالدين <sup>(١)</sup>

---

(١) من قصيدة طويلة معزوة للاستاذ سيد قطب .

وإيماننا بـ « مستقبل هذا الدين » يواجهه - طبعاً - الهزء الساخر من « مثقفي الشرق المنكود » ممن ران على قلوبهم ظلام الغرب الدامس وجاهليته الرعناء بيد ان هذه السخرية القارصة لن تمنعنا من المضي قدماً في الطريق يحدونا الأمل بالنصر الأكيد القريب .

ولن تكون حالنا - عندما نرنو ببصرنا الى الفجر الجديد - بأحسن من حال رسوله ﷺ والصدیق ابی بکر عندما كانا يوم الهجرة مختبئين في غار ثور وأعداؤهما على باب الفار يطاردونها . . ومع هذا فقد نطق قلب رسول الله ( لا تحزن ان الله معنا ) . . وكذلك عندما طاردهما وهما في الفلاة، سراقه بن مالك، طمعاً بمائة من البعير فما ان كبت فرسه حتى وعده رسول الله ﷺ بكنوز كسرى<sup>(١)</sup> واليوم كالأمس فمهما كان الهجوم الماكر شديداً والحكام العتاة بنماة فان النصر قريب « وسيشرق في الكون فجر جديد » .

#### الارتفاع الى مستوى الدين والواقع :

أمر واحد يجب أن يكون في حسابنا . . ان أمامنا كفاحاً مريراً شاقاً طويلاً لاستنفاد الفطرة من الركام ، ثم لتغليب الفطرة على هذا الركام .

كفاحاً مريراً يجب أن نستعد له استعداداً طويلاً يجب أن نستعد بأن نرتفع الى مستوى هذا الدين . . نرتفع الى مستواه في حقيقة إيماننا بالله . وفي حقيقة معرفتنا بالله فاننا لن نؤمن به حق الايمان حتى نعرفه حق المعرفة . ونرتفع الى مستواه في عبادتنا لله . فاننا لن نعرف الله حق المعرفة إلا اذا عبدناه حق العبادة .

ونرتفع الى مستواه في وعينا بما حولنا ، ومعرفتنا لأساليب عصرنا ، ورحم الله رجلاً عرف زمانه واستقامت طريقته .

ونرتفع الى مستواه في احاطتنا بثقافة عصرنا وحضارته وممارسة هذه

---

(١) راجع سيرة ابن هشام .

الثقافة وهذه « الحضارة » ممارسة اختيار واختبار . . فأننا لا نملك الحكم على ما ينبغي أن نأخذ منها وما ينبغي أن ندع ، إلا إذا سيطرنا عليها بالمعرفة والخبرة ، فمن المعرفة والخبرة نستمد سلطان الاختبار . ونرتفع الى مستواه في ادراكنا لطبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الحقيقية المتجددة . فنرفض ما نرفض من هذه الحضارة ، ونستبقي ما نستبقي عن خبرة بالحياة ذاتها تعادل خبرتنا بهذه الحضارة كذلك .

« وهذا كفاح مرير . . وكفاح طويل . . ولكنه كفاح بصير وكفاح أصيل » (١) .

× × ×

من أجل هذا . .

من أجل انبثاق الفجر من قلب الظلام الحالك ، ومن أجل استئناف الحياة الاسلامية قامت نظريات مختلفة ، ووجدت « أشكال » و « أساليب » عديدة ، إلا أنها مع اختلافها وتعددتها تخدم غاية واحدة مشتركة : الاسلام . ونحن هنا ، في هذا الفصل ، سنستعرض ان شاء الله ، أكثر هذه الطرق في إقامة الحكم الإسلامي .

ولا بد قبل البدء في تحديد مضمون هذه النظريات من القول ان المعنى هنا ، هو الحكم الاسلامي بذاته أي مضمون الدولة الاسلامية لا شكلها بمعنى اننا لا نقصد في دراسة هذه النظريات شكل الدولة : هل هي دولة تجمع كافة المسلمين في العالم في وحدة مركزية أم في اتحاد أم في جامعة ؟ وسنتحدث عن هذا ، في القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله . إنما نقصد الحكم الاسلامي مجرداً من هذه الأشكال أي الحكم في أية دولة من الدول الاقليمية في الشرق المسلم . فالسؤال المطروح الذي تسود جوابه نظريات العمل المختلفة : كيف نقيم حكم الاسلام في أية دولة من الدول الحالية . . أو في أي مكان في العالم ؟

---

(١) المستقبل لهذا الدين ص ١١٧ - ١١٨ للاستاذ سيد قطب .

## اولا : نظرية الحاكم المسلم :

تقول هذه النظرية اننا إذا استطعنا أن نوصل الى سدة الحكم رجلاً يؤمنون بالاسلام إيماناً عقيدياً صحيحاً على انه نظام حياة واجب تطبيقه أمكننا أن نبني حكم الإسلام . . فعن طريق التشريع والتوجيه الرسميين تستقيم حياة الناس ويعودون الى دينهم . . إذ ان امكانات الدولة خاصة في العصر الحديث ، امكانات هائلة وتملك هذه الأساليب في تقويم الناس ما لا تمكن أن يحققه الأفراد العاديون أو الحركات الإسلامية المنظمة .

وهذا الطريق - بنظر أصحاب هذه النظرية - أقصر الطرق وأفضلها إذ لا يمكننا أن ننتظر حتى يعتقد جميع أفراد الشعب بصلاح حكم الإسلام - كما تذهب الى ذلك النظريات الأخرى - ولا بد من أن نحمل الناس حملاً الى الإسلام . . فهؤلاء - بفطرتهم - مسلمون وليسوا بحاجة إلا الى نظام مسلم يخطط لهم سبل الحياة الإسلامية ..

ويستدل أصحاب هذه النظرية على واقعية نظريتهم ما حدث في الهند عندما انحرفت الدولة الإسلامية فيها وشاع الفساد بين الناس خاصة في عهد جمال الدين اكبر وكان مضطرب العقيدة فاسد التصور . ووصف الإمام أحمد السرهندي حالة المسلمين وقتئذ فقال : « واحزناته واحسرته وامصيباته ان أتباع محمد ﷺ غرباء مهانون في بلادهم وأعداؤه مكرمون . . ان الباطل بارز منصور وان الحق مخذول مقهور . . . ولقد أتى على الإنسان والمسلمين حين من الدهر في هذه الديار - يعني به عهد الملك أكبر - إذا عمل مسلم بحكم شرعي يسجن ويعاقب ويهان ويعذب ، والديانات كلها حرة متمتعة بكل حق . لقد شتم بالمسلمين الأعداء . وسخروا منهم وأصبخوا هدفاً لكل تجريح وإهانة<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند للأستاذ أبي الحسن الندوي ص ١٦ - ١٧ .

## الامام احمد السرهندي ودولة الاسلام في الهند :

وصمم الشيخ على الإصلاح ... ووجد ان السبيل الوحيد هو التأثير على الملك والحاشية . ويموت السلطان جلال الدين اكبر ويؤول الحكم الى ابنه جهان كير .. وينشط الشيخ في التأثير في بلاط الملك ورجال دولته وجيشه ويستثير هم رجال الدولة المسلمين ويستنهضهم لخدمة الإسلام وإقالته من عثرته فيكتب الى خانخاتان - وهو قائد الجيش والركن الأعظم للدولة - « ان ميدان البطولة الإسلامية لا يزال خالياً ينتظر فارساً من فرسان الإسلام فهل تسبق الى هذه السعادة وتحرز قصب السبق وتنصر هذا الدين المظلوم وتغضب لهذا الحق المهضوم وتبلغ يجهادك الى حيث لا يبلغه المتعبدون الصائمون القائمون . فحِينَهَا يا أهل الغيرة والفتوة ويا أهل الشهامة والمروءة » وظل الشيخ مثابراً على دعوته الى وفاته حتى تغير اتجاه الدولة وتغيرت سيرة الملك ونفسيته وأصبحت الدولة تتقدم كل يوم من حسن الى احسن فخلف جهان كير ابنه شاه جهان الذي قال : « عجباً لفرعون جلس على عرش من الآبنوس فقال : أنا ربكم الأعلى ، وما أنا ذا أسجد لله شكراً وأقع له ساجداً مقراً بعبوديتي وضعفي وقدرته وكبريائه » .

## الملك الصالح صاحب الفتاوى الهندية :

وخلف شاه جهان السلطان العظيم الملك الصالح أورنگ زیب عالم كير وهو ممن غني أولاد المجدد ( الشيخ أحمد السرهندي ) بتربيته وثقافته فنشأ متعبداً متبعاً للشريعة فقيهاً في الدين غيوراً عليه حريصاً على تطبيق أحكامه واصلاح المجتمع الفاسد وتقويم الحكومة الزائفة . ويذكر المؤرخون من استقامة أورنگ زیب على الشريعة الإسلامية ومن عبادته وصلاحه ما يدهش رجال هذا العصر فقد حفظ القرآن بعد جلوسه على العرش وجمع أربعين حديثاً وشرحها وأمر بتدوين الفتاوى لتكون دستوراً للمملكة وألف له لجنة كبيرة من العلماء وكان يشرف على هذه اللجنة ويطلع على عملها يومياً

ويقرأ قبل النوم كل ما كتب في هذا الموضوع وهي الفتاوى المشهورة  
( بالفتاوى الهندية )<sup>(١)</sup> .

وهذه التجربة قريبة العهد وقد تكللت بالنجاح إذ استقامت الدولة على  
الحق وباستقامتها استقام الناس ولم يكلف ذلك جهداً كبيراً ... فالتأثير إذن  
على الحكم وجهاز الحكم يؤدي الى تغيير كلي ويقلب الأوضاع رأساً على عقب ،  
وهو تغيير سابي لا يتسم بالعنف .

#### وسيلة اصحاب نظرية الحاكم :

ويتوسل أصحاب هذه النظرة في أيماننا الحاضرة بالتأثير المباشر على  
الرؤساء ، وخاصة على الملوك ، في الأقطار الملكية وهذا ما حاوله جمال  
الدين الأفغاني مع السلطان عبد الحميد بالنسبة لفكرة الجامعة الاسلامية ...

وأيضاً ينتهج أصحاب هذه النظرية سبيل البرلمان في محاولة تغيير معالم  
الدولة . فهؤلاء يؤمنون ان البرلمان — بالنسبة للدول الحالية البرلمانية —  
أفضل طريق . . فعن البرلمان تصدر التشريعات والقوانين وهو الذي يرسم  
سياسة البلاد العامة ويؤثر في مختلف أنظمة الدولة . . فاذا كان للاسلاميين  
ممثلون ونواب أمكنهم على الزمن ، إحداث انقلاب اسلامي صحيح  
فالإسلاميون سيعارضون القوانين التي تخالف الاسلام ثم يقترحون قوانين تحد  
من الانحراف وتقوّم الاعوجاج ثم أخيراً يقترحون قوانين اسلامية .. وهكذا  
يتدرّج الحكم الاسلامي في الظهور حتى يصل الى منتهاه .

وقصر هذا الطريق وحسناته دفعا كثيراً من الاسلاميين من أصحاب محور  
العمل الفردي أو من أصحاب العمل الحركي الى سلوكه فكان ولا يزال بعض  
الاسلاميين يتقربون من عظماء الدولة في محاولة لاصلاحهم وتقويمهم وهدايتهم

---

(١) المرجع السابق الصفحات ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ . ويراجع أيضاً

كتاب رجال من التاريخ فصل الملك الصالح للأستاذ علي الطنطاوي ص ١٨٩ وما يليها .

الى طريق الاسلام . كما ان عديداً منهم وخاصة من الحركيين الاسلاميين قد دخلوا البرلمان في دول عديدة .

### الجماعة الاسلامية في باكستان والبرلمان :

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الاسلامية في باكستان في رسالته « واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم » ص ٦١ بعد ان عرض لمنهج الاسلام قال : « اما كيف يتأتى هذا التفسير ، فليس له من سبيل في نظام جمهوري الا السعي في الانتخابات . وذلك أن نربي الرأي العام في البلاد ونغير مقياس الناس في انتخابهم لمثليهم ، ونصلح طريق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والفسح والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون ويقدررون أن ينهضوا بنظام البلاد على أسس الاسلام الخالص . ومن حسن حظنا ان قرار مبادئ الدستور قد أزاح من طريقنا جميع العقبات الدستورية التي كانت تحول الى الآن بيننا وبين اختيار هذا الطريق فبمجرد زوال هذه العقبات في سبيلنا بدأنا نشترك في معتك الانتخابات<sup>(١)</sup> .

ويمكن هنا أن نقرر - بصورة عامة وقبل انتهاء معركة الانتخابات في باكستان - ان التجربة البرلمانية للحركة الاسلامية لم تنجح نجاحاً هاماً .

---

(١) بعد الانقلاب الاخير في باكستان تحدد يوم ٥ - ١٠ - ١٩٧٠ موعداً لانتخابات عامة في باكستان لوضع دستور دائم للبلاد ، وقد خاضت الجماعة الاسلامية الانتخابات بقوة وتصدت فيها لختلاف خصومها في عملية مجابهة خطيرة وأذاعت منهاجها الانتخابي بتاريخ ١٢/٢/١٩٦٩ تضمن مقترحاتها في الاصلاحات التي تسمى لإيجادها في حقول العدالة الاقتصادية والعمال والحقول الزراعي والاصلاح الاجتماعي والتعليم والعدل والحرية والمساواة والسياسة الخارجية، وقد أعلنت الجماعة في بيانها « ان عليها تثقيف الشعب وإقناعه بالطرق العلمية ان الاسلام هو الحل الوحيد للمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه باكستان ».

راجع جريدة الشهاب البيروتية ١٥ - ٣ - ١٩٧٠ . بيد انه اثناء طباعة هذا الكتاب - أعلنت الحكومة الباكستانية إرجاء الانتخابات مدة شهرين تقريباً .



## التجربة البرلمانية الضخمة في اندونيسيا :

ولعل أضخم تجربة اسلامية برلمانية كانت في اندونيسيا فقد استطاعت الحركة الاسلامية هناك أن تحتل عدداً كبيراً من مقاعد البرلمان والهيئة التأسيسية وقد وصل قادتها أيضاً الى منصب رئيس الوزراء والوزراء فالدكتور محمد حتا شكل الوزارة الأندونيسية وأسند مناصب هامة وزارية الى اسلاميين .. ومع هذا استطاع سوكارنو أن يغير الأوضاع مما أدى الى نشوب ثورة هناك وقد علّق الثوار شرط انهاء ثورتهم على اعادة تكليف الدكتور حتا ، ولكن .. اختار سوكارنو سبيل اللادينية<sup>(١)</sup>.

## مباحث فكرية وفقهية حول جواز دخول البرلمان او عدمه ؟

وقد نشأت في الدعوة الإسلامية مباحث فكرية وفقهية حول المدى الذي يجوز معه التعاون مع السلطات القائمة على غير ما أنزل الله ؟ وفريق ذهب الى إباحة دخول البرلمان وقبول المناصب الوزارية . وفريق ثان أصر على رفض المناصب الوزارية على اعتبارها مشاركة في أعباء الحكم الاسلامي إلا انه قبل بفكرة دخول البرلمان .. وفريق ثالث حظّر البرلمان والوزارة حتى تستقيم الدولة على حكم الله ..

ولا ريب ان نهج البرلمان - والوزارة أيضاً - يستلزم الاهتمام بأمور ليست من صلب الدعوة أو من جوهر العمل الاسلامي .. مما يشل جهود البرلمانين - والقائمين على أمر الحركة - ويحول اتجاه الدعوة الأصيل الى عمل حزبي كبقية الأحزاب والشخصيات الزعامية . ولا شك ان هذا من مساوئ العمل البرلماني ولا يخفف من مضارها إلا وجود كفايات قيادية داخلية تتولى العمل الاسلامي المباشر والتوجيه .

---

(١) راجع المسلمون المجلد السادس صفحة ٢٠٠ و ٩٦ وانظر خطاب محمد ناصر في الهيئة التأسيسية وقد اقتطفنا منه أجزاء في الفصل السابق ص ١٨٠ وقد أخزى الله سوكارنو مؤخراً .

وهذه المساواة وسواها وعدم نجاح التجربة البرلمانية في الحركات الإسلامية أدى الى بروز اتجاه يقول بعدم جواز دخول البرلمان أو المشاركة في الوزارة، فكلاهما يدعمان الحكم الجاهلي القائم بما يفرض هذا الوجود البرلماني أو الوزاري من مساومات واعتبارات أخرى .. أو انها يلحقان الضرر بالفكرة الإسلامية عندما يطبقون - وهذا في أحسن الظروف - حكماً إسلامياً على شعب لم يستقم بعد على مفاهيم الإسلام ..

ويضيف هؤلاء في تدعيم وجهة نظرهم الى ان الرسول عليه الصلاة والسلام رفض تسلم الملك عندما عرض عليه المشركون علماً بأنه ربما قيل : ( ان محمداً ﷺ كان خليفاً بعد أن يستجيب له العرب هذه الاستجابة ، وبعد ان يولوه فيهم القيادة والسيادة ، وبعد استجتماع السلطان في يديه والمجد فوق مفرقيه أن يستخدم هذا كله في إقرار عقيدة التوحيد التي بعث بها ، في تمبيد الناس لسلطان ربهم بعد ان عيبدوهم لسلطانه البشري .

« ولكن الله - سبحانه - وهو العلي الحكيم لم يوجه رسوله ﷺ هذا التوجيه انما وجهه الى أن يصدع بلا إنه إلا الله وأن يحتمل هو والقلة التي تستجيب له كل هذا العناء » (١) .

والحقيقة ان الرأي لم يستقر بعد - ومن الصعب أن يستقر - لتعقد البعث وتضارب وجهات النظر - وكلها هامة ومخلصة - خاصة بعد ان تماظمت سلطات الدولة وكثر تدخلها في كثير من المجالات والقضايا الخاصة .. الأمر الذي يدعو الى مزيد من التفكير والتدبر ..

إذ لا يجوز للحركة أن تتخلى - عن رضى منها - عن أجهزة الحكم والتوجيه ، وعليها - في أسوأ الظروف - أن تعتبر طريق البرلمان سبيلاً للدعاية عن نفسها ، فالبرلماني يتمتع بحصانة لا يتمتع بها سواه ، كما انه

---

(١) انظر معالم في الطريق - سيد قطب ص ٣٠ .

بإمكانه ، أن يعلن مفهوم الاسلام للتضاييا في أكبر محافل المجتمع الذي يعيش فيه . . والدعوة دوماً تسعى للاعلان عن نفسها في أي مجال ، فكيف بأكبره ؟ هذا فضلاً عما يمكن أن تطلع عليه الحركة من أسرار الدولة في مختلف مؤسساتها السياسية والتشريعية والعسكرية والمالية ما لا يمكنها الوقوف عليه دون دخول البرلمان .

فعندي ، ان الحركة ، ولو لم تعتمد طريق البرلمان سبيلاً للوصول الى الحكم فان عليها ألا تنسلخ عنه ، فان اعتبرت ان الانتخابات بالرغم مما تفسحه من الدعاية لمنهج الاسلام في الحياة تلهيها عن طريقها الخاص بها لإقامة حكم الله ، فان سلوك طريق البرلمان ولو بأعداد قليلة جداً فيه من العون للحركة على طريقها ما يكفي لتجاوز سيئاته . . علماً انه يمكن التقليل من السيئات بالتخطيط والتنظيم الحركيين .

#### ثانياً : نظرية التوعية والمشاريع الاسلامية :

تعتمد هذه النظرية - أساساً لها - بث الوعي الإسلامي في مختلف طبقات الناس والتأكيد على فكرة الحكم الإسلامي على انه « المخلص » الوحيد مما يعانيه المسلمون من ضعف وتفرقة وضياع ..

والنظرية في سبيل اعطاء فكرة واضحة عن نجاح الحكم الإسلامي في حال قيامه تدعو الى إنشاء مؤسسات اسلامية في المجتمعات الحالية كالمعاهد العلمية والشركات التجارية ودور النشر والطباعة والمكاتب الهندسية والحقوقية والمستشفيات والمستوصفات الخ ..

وتذهب النظرية الى القول ان الوعي الإسلامي لدى الناس المقرون بنماذج حية من المشاريع الإسلامية كقيل بقيام حكم اسلامي سليم . فعندما يتبلور الوعي العام الإسلامي في قلوب وعقول المسلمين ، وعندما تتضخم مؤسساتنا الاسلامية وتكثر حتى تشمل مرافق كثيرة من المجتمع نكون قد هيأنا

المجتمع بكافة نواحيه لإقامة حكم إسلامي ، وينبثق هذا الحكم ، بصورة تلقائية لأنه عندئذ يكون التعبير الوحيد لرغبات الناس وأمانهم .

### اتجاهات ثلاثة في نشر الوعي :

وأصحاب هذه النظرية مختلفون ، خاصة ، فيما يتعلق بنشر الوعي الإسلامي فبينما يرى فريق ان نشر الوعي والتأكيد على شعار « الدولة والحكم الإسلامي » دون تمهد الناس أو مطالبتهم بالتزام الاسلام في حياتهم العامة والخاصة الى أبعد المستطاع يكفل لنا تحقيق الحكم المنشود في أسوأ الاحتمالات أو يحمل الناس على التزام اسلامي كامل ، نرى فريقاً آخر يؤمن بضرورة التزام الناس لمبادئ الاسلام وتطبيقها انما لا يرى ما يراه الفريق الثالث وهو تنظيم نشر الوعي ضمن عمل حركي .

ولا ريب ان الرأيين الأولين أي نشر الوعي بلا التزام التطبيق أو بالتزامه بلا تنظيم غير صحيحين ان من حيث المضمون ( عدم الالتزام ) أو من حيث الشكل ( الالتزام بلا تنظيم ) . وفي الصفحات السابقة في فصل المجابهة تكلمنا عن طبيعة العمل الفردي ( أي نشر الوعي بالتزام دون تنظيم ) وناقشناه مما أغنى عن إعادته هنا<sup>(١)</sup> ، أما الرأي الأول ( أي عدم الالتزام ) فهو باطل مردود على أصحابه ..

ويتوسل أصحاب هذه النظرية خاصة فيما يتعلق بالوعي العام بالكلمة . فالكتابة والخطابة والمحاضرة والتدريس والمناقشة كلها وسائل فعالة في نشر الوعي الإسلامي . بيد انه من المحقق ان ذلك دون تنظيم لا يؤدي الغرض المقصود منه أي إقامة حكم اسلامي مهما سوت الصفحات في ذم أنظمة الحكم الأخرى وتبيان حسنات وفرضية الحكم الإسلامي .

---

(١) راجع فصل المجابهة ص ١٤٠ .

## قيمة المؤسسات :

أما بالنسبة للمؤسسات الإسلامية فالقول فيها مختلف .. إلا أنها بوجه عام ليست - بحد ذاتها - يطريق لإقامة الحكم الإسلامي . فمهما تضخمت هذه المؤسسات فلن تعدو إلا جزءاً يسيراً من مؤسسات المجتمع الجاهلي أو من مؤسسات الدولة الرسمية .

ولن تتضخم أصلاً إلا إذا كان وراءها تنظيم يربط فيما بينها وينسق خطواتها ويخضعها إلى مخططه في معالجة شؤون المجتمع وإقامة حكم الإسلام . فالمؤسسات الإسلامية ، إذن ، وسيلة ضمن مجموعة الوسائل التي قد يعتمد عليها التنظيم في سعيه لإقامة الحكم .

وفائدة هذه المؤسسات وخاصة في ميدان التعليم أنها تعد التنظيم بعناصر جديدة تكون قد نشأت منذ الصغر في توجيه وتربية هادفين أو بعناصر قد تأثرت بالخدمات الاجتماعية في المؤسسات الأخرى<sup>(١)</sup> .

ولكن لا بد من ملاحظة هنا وهي أن إنشاء مثل هذه المؤسسات وتضخيمها يجب ألا يكون على حساب عمل الحركة الأصيل وهي الدعوة المباشرة وحمل الناس على تفهم الإسلام وإخضاعهم إلى تنظيم حركي ويتوجب على خط العمل الحركي أن « يقرر » القدر الذي يراه مناسباً لتضخيم هذه المؤسسات وذلك دون المساس بفاعلية الحركة .

## ثالثاً : نظرية المجتمع الإسلامي والعمل الحركي المنظم :

لعل هذه النظرية أوضح النظريات وأقربها للتصور الإسلامي عن الحكم والسياسة فهي تقول بعدم جدوى العمل الفردي وبضرورة تلاقي كافة الجهود في بوتقة التجمع الحركي . . فان يد الله مع الجماعة « وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

---

(١) راجع فصل المجاهبة محور التعليم والخدمات الاجتماعية ص ١٤٣ .

## محاكاة تجمع الرسول في مكة :

وتحاول هذه النظرية أن تحاكي تجمع الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة<sup>(١)</sup> ومراحل انتقال هذا التجمع وأساليب العمل وطرق التكوين ووسائل الانتشار والتضخم . . حتى تكاد هذه النظرية تكون مقتبسة بكاملها عن تجربة القرآن في إقامة حكم الله في الأرض . . فأصحاب هذه النظرية يقولون : ان الخط الذي اتبعه القرآن في إقامة الدولة خط صحيح واضح وليس علينا - وقد نجحت التجربة في الماضي نجاحاً هائلاً - إلا أن نبدأ من النقطة الأولى ونسير مع تدرج هذا الخط حتى نصل الى نهايته حيث تكون الحاكمية المطلقة في الأرض لله . . ولذلك فإن علينا أولاً أن نختار الأفراد أعضاء التجمع الأول الذين يكونون نواة ومحور التجمع الحركي . . ويتضخم هذا التجمع حتى نستطيع أن نحيله - في لحظة القدر الموعودة - الى تجمع اسلامي كامل أي الى مجتمع اسلامي حيث ينبثق عنه الحكم الاسلامي بصورة تلقائية<sup>(٢)</sup> .

فلا بد أولاً من اصلاح الأفراد ثم اصلاح الأسر ثم اصلاح المجتمع . . ولا يمكن أن يقوم حكم الله في الأرض دون اتباع هذا الخط السوي .

وإذا حاكمنا هذا المنهج في إقامة حكم الاسلام الى ما قررناه ( في مفهوم الدولة ) و ( النظام والحضارة ) لوجدنا استقامة هذا الخط في محاولتنا الجديدة لإقامة الحكم الاسلامي . . فقد قررنا هناك ان الحكم الاسلامي الذي هو « عطاء الله » لا يظهر في دولة إلا بعد أن يوجد التجمع الذي يعطي الله العقد والمهد . . أي ان استقامة التجمع على نهج الله وأمره دليل أكيد على اقتراب الوصول الى عطاء الله في الأرض . .

---

(١) راجع فصل ( كيف أقام الاسلام دولته ) من هذا الكتاب .

(٢) راجع فصل ( مفهوم الدولة ) من هذا الكتاب .

## الطليعة المؤمنة المنظمة :

وعلى نحو ما رأينا في التجربة الأولى في اقامة حكم الاسلام . . من ان لأعضاء التجمع الحركي أثراً كبيراً في المجتمع الجاهلي وفي اقامة المجتمع الاسلامي مع ان مجتمع يثرب لم يكن كله مجتمعاً اسلامياً أي كانت هناك عناصر أخرى غريبة عن التجمع الاسلامي . . فان أصحاب النظرية في التجربة الجديدة يمكنهم أن يقرروا بكل حزم : اننا نريد الآن فقط طليعة مؤمنة منظمة تتقدم الصفوف ، وتضطلع بمهام القيادة وتستطيع هذه الطليعة - بأذن الله - احداث الانقلاب المنشود وانشاء المجتمع الاسلامي الجديد ..

ومن هنا ، يتبين ، خلافاً للصورة المتبادرة في بعض الأذهان ، ان أصحاب هذه النظرية لا يؤقتون حكم الاسلام باسلام كافة قطاعات المجتمع الحالي اسلاماً كاملاً . . انما ينيطون ذلك بطليعة تنبثق من هذا المجتمع الجاهلي فتخلع عنها كل ارتباط وتتمثل الاسلام عقيدة وسلوكاً وتتحرك به تنظيمياً وتخطيطاً ..

ان الطليعة المؤمنة هي قاعدة هذه النظرية لا المجتمع بكامله إذ من غير الطبيعي أن تتأخر الحلقة الأولى في الحكم الاسلامي الى الزمن الذي يرجع فيه جميع المسلمين الى عقيدة الاسلام ومنهاجه . . لكن لنا أن نقول ان كافة حلقات الحكم الاسلامي لا تتجسد بكاملها إلا في مجتمع استقام أمره على الاسلام ..

إذن ، لا بد من طليعة - تكون قوة بذاتها - تتسلم مقاليد الحكم وتخطو خطوات أولى نحو مجتمع اسلامي كامل .. وهذا ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقد تسلم الحكم في يثرب وأقر له الجميع بما فيهم اليهود ، بالسيادة والحاكمية<sup>(١)</sup> فاستطاع أن يقود يثرب أولاً والعرب ثانياً الى مجتمع اسلامي كريم .

---

(١) راجع كيف أقام الاسلام دولته .

ان جميع الحركات الاسلامية في العالم اليوم ، تلتقي ، على هذه النظرية ..  
أو بمعنى أدق ، ان أصحاب هذه النظرية هم الحركات الاسلامية . . . فهم  
يعملون في تكتيل القوى وتنظيم الجهود ويحاولون ايجاد الطليعة التي يمكنها  
تسلم الحكم وخطو الخطوات الأولى الحاسمة .

حركة الاخوان المسلمون والجماعة الاسلامية تعبير عن مضمون النظرية :  
ولعل حركة الأخوان المسلمين في العالم العربي والجماعة الاسلامية في  
باكستان أوضح هذه الحركات في التعبير عن مضمون النظرية . . فقد أعلن  
الأخوان المسلمون<sup>(١)</sup> انهم يريدون : (١) الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته وفي  
خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه فهذا هو تكويننا الفردي . (٢) ونريد بعد  
ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه  
ونحن لهذا نعني بالمرأة عنايتنا بالرجل ونعني بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا  
هو تكويننا الأسري . (٣) ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله ،  
أيضاً نحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا الى كل بيت وان يسمع صوتنا في  
كل مكان وان تنتشر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز  
والحواجز والأمصار لا نألوأ في ذلك جهداً ولا نترك وسيلة . (٤) ونريد بعد  
ذلك « الحكومة المسلمة » التي تقود هذا الشعب الى المسجد وتحمل به الناس  
على هدى الاسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ وأبي  
بكر وعمر من قبل .

ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الاسلام  
ولا يستمد منه ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ولا بهذه الأشكال التقليدية  
التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الاسلام على الحكم بها والعمل عليها وسنعمل  
على احياء نظام الحكم الاسلامي بكل مظاهره وتكوين الحكومة الاسلامية  
على أساس هذا النظام .

---

(١) أنظر دروس في دعوة الأخوان المسلمين ص ٢٠٦ .



## مراحل العمل الاسلامي في دعوة الاخوان :

ويؤمن الاخوان المسلمون - شأن بقية الحركات الاسلامية - بالتدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات .. فلذلك فهم يعتقدون كما أعلن الإمام الشهيد حسن البنا<sup>(١)</sup> ان كل دعوة لا بد لها من مراحل ثلاث :

« مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وايصالها الى الجماهير من طبقات الشعب » .

« ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعويين » .

« ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والانتاج ، وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنباً الى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً فالداعي يدعو وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك . ولكن لا شك في ان الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين » .

### الغاية والوسيلة :

ويكتب حسن البنا عن غاية الاخوان المسلمين ووسيلتهم فيقول<sup>(٢)</sup> :  
« ان غاية الاخوان تنحصر في تكوين جيل جديد من المؤمنين بآلهام الاسلام الصحيح \* يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الاسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها \* .. وان وسيلتهم في ذلك تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه الآلهام حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها » .

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس للأخوان المسلمين ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد نشر دار الاندلس .

بيروت ص ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

\* أي الطبيعة انؤمنه .

\* تسلم الحكم .

ويجب حسن البناء عن سؤال<sup>(١)</sup> : « هل في منهاج الأخوان المسلمين أن يكوّنوا حكومة وان يطالبوا بالحكم وما وسيلتهم الى ذلك ؟ فيقول : « ان الأخوان المسلمين يسرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدي الاسلام الحنيف كما فهموه . . وهذا الاسلام الذي يؤمن به الأخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه . . لذلك فان قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف ، وعلى هذا فالأخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فان وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء واداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج اسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه وان لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله .

وعلى هذا فالأخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادئ الأخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

#### هل القوة وسيلة للوصول الى الغاية ؟

« ويتساءل<sup>(٢)</sup> كثير من الناس : هل في عزم الأخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ؟ وهل يفكر الأخوان المسلمون في اعداد ثورة عامة على النظام السياسي والاجتماعي . . »

ويجب حسن البناء بعد ان شرح شعار القوة في الاسلام فيقول : « ولكن الأخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا الى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها فهم يعلمون ان أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان وبلي

---

(١) المرجع السابق ٢٧١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٩ .

ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح ، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً ، وانها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان سيكون مصيرها الفناء والهلاك . هذه نظرة ونظرة أخرى هل أوصى الإسلام والقوة شعاره باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال ؟ أم حدّد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدوداً ؟

ونظرة ثالثة هل تكون القوة أول علاج أم ان آخر الدواء الكي ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟

هذه نظرات يلقيها الأخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه ، والثورة أعنف مظاهر القوة ، فنظر الأخوان إليها أدق وأعمق . . وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين ان الأخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء حرصاء وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح .

المفهوم الحركي الجديد في دعوة الاخوان :

ولم تتضح المبادئ التي حددها الإمام الشهيد إلا « بالمعالم » التي رسمها سيد قطب ، فكتابات « سيد » خاصة بعد عام ١٩٦٢ أحدثت مفهوماً حركياً واعياً عميقاً في دعوة الأخوان ، ف « سيد » بعد ان عاش في ظلال القرآن مدة من الزمن خرج على الناس وعلى الحركة بتوضيح عميق جديد لمفاهيم الدعوة الأولى فهو يرى ان ( قاعدة انطلاق المجتمع الإسلامي وطبيعة تكوينه العضوي ، تجعلان منه مجتمعاً فريداً لا تنطبق عليه أية من النظريات

التي تفسر قيام المجتمعات الجاهلية وطبيعة تكوينها العضوي . . المجتمع الإسلامي وليد الحركة والحركة فيه مستمرة ، وهي التي تعين أقدار الأشخاص فيه وقيمهم ومن ثم تحدد وظائفهم ومراكزهم .

والحركة التي يتولد عنها هذا المجتمع ابتداء حركة آتية من خارج النطاق الأرضي ، ومن خارج المحيط البشري . . انها تتمثل في عقيدة آتية من الله للبشر ، تنشيء لهم تصوراً خاصاً للوجود والحياة والتاريخ والقيم والغايات ، وتحدد لهم منهجاً للعمل يترجم هذا التصور . . الدفعة الأولى التي تطلق الحركة ليست منبثقة من نفوس الناس ، ولا من مادة الكون . . انها - كما قلنا - آتية من خارج النطاق الأرضي ومن خارج المحيط البشري . . وهذا هو المميز الأول لطبيعة المجتمع الإسلامي وتركيبه . انه ينطلق من عنصر خارج عن محيط الانسان وعن محيط الكون المادي .

وبهذا العنصر القدري الغيبي الذي لم يكن أحد من البشر يتوقعه أو يحسب حسابه ، ودون أن يكون من شأن يد فيه - في ابتداء الأمر - تبدأ أولى خطوات الحركة في قيام المجتمع الإسلامي . ويبدأ عمل الانسان أيضاً . . انسان يؤمن بهذه العقيدة الآتية له من ذلك المصدر الغيبي بقدر الله وحده . . وحين يؤمن هذا الانسان الواحد بهذه العقيدة يبدأ وجود المجتمع الإسلامي ( حكماً ) . . ان الانسان الواحد لن يتلقى هذه العقيدة وينطوي على نفسه ، انه سينطلق بها ، هذه طبيعتها ، طبيعة الحركة الحية ، ان القوة العليا التي دفعت بها الى هذا القلب تعلم انها ستجاوزه حتماً . . ان الدفعة الحية التي وصلت بها هذه العقيدة الى هذا القلب ستمضي في طريقها قدماً . . . . . وحين يبلغ المؤمنون بهذه العقيدة ثلاثة نفر ، فان هذه العقيدة ذاتها تقول لهم : أنتم الآن مجتمع ، مجتمع اسلامي مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي الذي لا يدين لهذه العقيدة ، ولا تسود فيه قيمها الأساسية . . وهنا يكون المجتمع الإسلامي قد وجد ( فعلاً ) .

« والثلاثة يهبحون عشرة »

« والعشرة يصبحون مئة »

« والمئة يصبحون ألفاً »

« والألف يصبحون اثني عشر ألفاً »

« ويبرز ويتقرر وجود المجتمع الاسلامي » .

وفي الطريق تكون المعركة قد قامت بين المجتمع الوليد الذي انفصل بعقيدته وتصوره ، وانفصل بقيمه واعتباراته ، وانفصل بوجوده وكيونته عن المجتمع الجاهلي - الذي أخذ منه أفراد - وتكون الحركة من نقطة الانطلاق الى نقطة الوجود البارز المستقل قد ميّزت كل فرد من أفراد هذا المجتمع - حسب الميزان والاعتبار الاسلامي - ويكون وزنه هذا معترفاً له به من المجتمع دون أن يزكي نفسه أو يعلن عنه ، بل أن عقيدته وقيمه السائدة في نفسه وفي مجتمعه لتضغط عليه يومئذ ليؤاري نفسه عن الأنظار المتطلعة إليها في البيئة !.

ولكن - الحركة - التي هي طابع العقيدة الاسلامية ، وطابع هذا المجتمع الذي انبثق منها ، لا تدع أحداً يتواري ! ان كل فرد من أفراد المجتمع لا بد أن يتحرك الحركة في عقيدته ، والحركة في دمه ، والحركة في مجتمعه وفي تكوين هذا المجتمع العضوي .. ان الجاهلية من حوله ، وبقيّة من رواسبها في نفسه وفي نفوس من حوله ، والمعركة مستمرة والجهاد ماض الى يوم القيامة .

على إيقاعات الحركة ، وفي أثناء الحركة ، يتحدد وضع كل فرد في هذا المجتمع وتتحدد وظيفته ويتم التكوين العضوي لهذا المجتمع بالنساق بين مجموعة أفراد ومجموعة وظائفه .

هذه النشأة ، وهذا التكوين خاصيتان تميزان نظامه والاجراءات التنفيذية لهذا النظام أيضاً وتجملان هذه الملامح كلها مستقلة ، لا تعالج

مفاهيم اجتماعية أجنبية عنها ولا تدرس وفق منهج غريب عن طبيعتها ولا تنفذ بإجراءات مستمدة من نظام آخر<sup>(١)</sup>.

وقبل هذا التفصيل كان سيد قد كتب في عام سنة ١٩٦٢ عن (الاسلام ومشكلات الحضارة) ضمنه رأيه ، في اختصار ، عن موضوع إقامة مجتمع إسلامي بتمثيل الاسلام في كل مناحي حياته ووجوده فهو يرى<sup>(٢)</sup> أن (الأمر في اختصار وإجمال) ..

توجد نقطة البدء . نقطة استقرار هذه الحقيقة في قلب .. في عدة قلوب .. في قلوب العصبية المؤمنة .. ثم تضي القافلة في الطريق .. في الطريق الطويل .. الشائك .. الغريب اليوم على البشرية غربته يوم جاءها الهدى في أول مرة - فيما غدا بعض الاستثناءات - ثم تصل القافلة في الطريق الطويل الشائك .. كما وصلت القافلة الأولى ..

#### الطريق طويل لكن النتيجة مضمونة :

ويعتق سيد على هذا الطريق في إقامة المجتمع الاسلامي فيقول « لست أزعم أنها مسألة هينة . ولا أنها معركة قصيرة .. ولكنها مضمونة النتيجة .. كل شيء يؤيدها .. كل شيء حقيقي ، وفطري ، في طبيعة الكون وفي طبيعة الانسان .. ويعارضها ركام كثير .. ويقف في طريقها واقع بشري ضخم ولكنه غثاء ! ضخم نعم . ولكنه غثاء » .

وسيد يرى أن الجماد بأجمعه يجب أن ينصب في هذا المجال وفي الحركة .. وفي الإعداد .. ولذلك فهو ينصح بعدم إضاعة الجهود والأوقات في ( معرفة كيف يواجه المجتمع الاسلامي « في حالة قيامه » الحياة الحاضرة ) وكيف يتصرف في أوضاعها القائمة - وعلى الأخص صياغة هذا

(١) معالم في الطريق - سيد قطب ١٥٦ - ١٥٩ - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .

(٢) المشكلات ص ١٩١ .

في قالب فقهى مقنن فهذا ما أعتقد أن كل كلام فيه - في غير الإطار العام - سابق لأوانه .. بل أشبه شيء باستنبات البذور في الهواء <sup>(١)</sup>.

وهناك سبب آخر دفع سيد الى هذا التصور وهو أن المشكلات التي سيواجهها المجتمع الاسلامي الجديد (سينشأ بشكل خاص وبمجم خاص وفق ظروف في عالم الغيب ووفق ملابسات لا يمكن التكهن بها الآن .. <sup>(٢)</sup>

### المجتمع المسلم حتمية :

ويجب سيد أن يؤكد أن إيجاد مجتمع إسلامي ليس ضرورة إسلامية فقط بل ضرورة انسانية لإنقاذ البشرية فوجود المجتمع المسلم حتمية .. حتمية بوصفه ضرورة انسانية لإنقاذ الانسانية وبوصفه الترجمة العملية للنهج الالهي الذي لا بد غالب ..

ويؤكد أيضاً على أن هذه الحتمية ليس معناها ، ان الطريق اليه نزهة مريحة ولا أنه هناك على قيد خطوات .

كلا ان حتمية الميلاد لا تغني عن آلام المخاض .

« والطريق الى المجتمع الإسلامي طويل وشاق .. ومليء بالأشواق وأعسر ما في هذا الطريق هو أن نرتفع نحن بتصوراتنا وبأفكارنا وبأخلاقنا وبسلوكنا - ثم بواقفنا الحضاري المادي - الى مستوى الإسلام .

« ولكنه - بعد هذا كله - ضرورة إنسانية وحتمية فطرية ولا بد من ميلاد ولا بد للميلاد من مخاض ولا بد للمخاض من آلام » <sup>(٣)</sup> .

وسيد - وهو يرسم معالم الطريق التي تؤدي الى قيام مجتمع إسلامي - اقتنع يحدوى تكتيل الجهود في جميع الحركات الإسلامية لإيجاد مجتمع إسلامي

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٢ .

- ولو كان صغيراً - في أية بقعة في العالم . . . فإيجاد مثل هذا المجتمع الصغير هو الذي سيحدث الانقلاب الأكبر في الكون بأسره ، والبشرية لا تستجيب عادة لمنهج مقروء أو مسموع . . . إنما تستجيب لمنهج حي متحرك بجسم ، ممثل في حياة جماعة من البشر ، مترجم الى واقع تراه العين وتلمسه اليد وتلاحظ آثاره العقول .

ولذلك فهو يرى ان ألف كتاب عن الإسلام . وألف خطبة في مسجد أو قاعة أو ميدان وألف فلم في الدعاية للإسلام ، وألف بعثة من الأزهر أو غير الأزهر في كل مكان . كل أوائك لا يغني غناء مجتمع صغير يقوم في ركن من أركان الأرض ، يعيش بمنهج الإسلام ويعيش لمنهج الإسلام وتتمثل فيه صورة الحياة في الإسلام <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

#### الجماعة الإسلامية في باكستان :

أما الجماعة الإسلامية في باكستان فقد كتب أميرها رسالتين « منهاج الانقلاب الإسلامي » و « واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم » .  
ووجهة النظر هذه - كما سنرى - لا تختلف من حيث الأساس مع نظرة الاخوان المسلمين .

فالأستاذ المودودي يقول بعد شرح معنى الانقلاب وهو العمل الذي تتكون منه « الحكومة الإسلامية » كنتيجة طبيعية <sup>(٢)</sup> . ان الذين لهم أدنى إلمام بعلوم العمران يعرفون ان الحكومة مهما كان من هيئتها لا تتكون ولا توجد بالطرق المصطنعة فليست هي مما تصنع في مصنع ثم تنقل منه وتثبت في

---

(١) المرجع السابق ١٨٠

(٢) منهاج الانقلاب الإسلامي ص ٣



موضع آخر، بل انها منشأة في الهيئة الاجتماعية والتاريخية بتفاعلها في ما بينها شعور، طبيعياً .

« لا بد من جمع أسباب ثلاثم طبيعة الهيئة المنشودة للحكومة وفطرتها الخاصة وانتاج طريق يوصل الى ما يقصدون . فلا جرم أن تقوم حركة توافق تلك وتلائمها في طبيعتها وأن تنهأ السيرة الفردية والأخلاق الاجتماعية التي تقتضيها تلك الهيئة المطلوبة المنشودة . وكذلك لا بد لها من زعامة وعمل اجتماعي تستدعيها هيئة ذلك النظام الذي نحن بصدد إيجادها <sup>(١)</sup> .

وبعد ان عرض الاستاذ المودودي للفساد وذكر أن لها أصلاً متأسلاً وان مفسد الشعب المختلفة متساندة في ما بينها استناداً قوياً محكماً . قال تحت عنوان ماذا نريد <sup>(٢)</sup> فلا أرى بعد كل ذلك رجلاً قد أوتي حظاً من العلم والبصيرة يمتنع عن التسليم بأن مشروعاً من مشاريع الإصلاح الجزئي لا يكاد يجدي شيئاً في هذا الشأن وقصارى ما يمكنكم بإنشاء المدارس الدينية وتلقين الناس الشهادتين والصلاة ووعظهم بالإقلاع عن الفسق والعصيان ومحاربة الفرق الضالة ان تحولوا بعض الحيلولة دون مصير الدين الى الهلاك وتمسكوا بعنانه حتى ينسأ في عمره قليلاً وتحظى الحياة الدينية العامة بأنفاس قليلة أخرى .

« ولكن كيف يرجى من مثل هذه التدابير أن تعلو كلمة الله وتذل بأزائها كلمات الجاهلية ؟ لا بد لإزالة فساد شامل للحياة كلها من برنامج جامع يقوم بعمل الإصلاح من الجذور الى الفروع بغاية من الاتزان والتناسب فماذا ينبغي أن يكون هذا البرنامج وما هو عندنا . »

### برنامج الإصلاح والانقلاب :

ثم يذكر الأستاذ المودودي أجزاء هذا البرنامج فهي <sup>(١)</sup> :

(١) المرجع السابق صفحة ٤ - ٥ - ٦

(٢) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم صفحة ٥٠

- ١ - الجزء الأول : تطهير الأفكار وتمهدها بالفرس والتنمية .
- ٢ - الجزء الثاني : استخلاص الأفراد الصالحين وجمعهم في نظام واحد وتربيتهم .
- ٣ - الجزء الثالث : السعي في الإصلاح الاجتماعي وهو يشمل اصلاح كل طبقة في المجتمع حسب أحوالها وتتسع دائرته على قدر ما تتوافر وسائلنا . فنقسم أعضاءنا والعاملين من أذصارنا الى مختلف شعب العمل على حسب كفاءاتهم ومواهبهم ونوسد الى كل منهم من العمل ما يلائم فطرته .
- ٤ - الجزء الرابع : هو اصلاح الحكم والادارة ذلك بأنه من عقيدتنا اذ لا يمكن أن ينجح تدبير من التدابير في اصلاح مفسد الحياة الحاضرة ما دامت لا تبذل المساعي لاصلاح نظام الحكم والادارة مع المساعي الأخرى للاصلاح .

\* \* \*

وبعد هذا الاستعراض لمختلف أساليب وأشكال العمل الإسلامي الهادف لاستئناف حياة إسلامية يتعين علينا أن نؤكد إيماننا بجدوى العمل الحركي المنظم.. ويبدو أن هذا العمل أقرب النظريات الى واقع الشرع وواقع الحياة. فقد رأينا في الفصول السابقة كيف أقام الإسلام دولته وكيف اعتمد على طليعة تكاملت فيها الشروط والمواصفات . . وكيف جرى العقد والعهد بينها وبين الله ؟ !

الحركة اسلوب الشرع والعصر :

ونرى اليوم كيف ان أكثر الدول في العالم تقوم على أكتاف طلائع هي أحزاب وتجمعات تلك الدول . . فروح العصر أيضاً تنبع عن مصدر تجمعي لا عن أعمال فردية .

لذلك كان التجمع الحركي الإسلامي الطريق الأسلم والأوفق لإقامة حكم الإسلام .

بيد ان الحركات الإسلامية، لم توفق بعد، وحتى تاريخه، الى إقامة حكم إسلامي في أي قطر من الأقطار .

ومرد ذلك الى أسباب كثيرة وقفنا على معطياتها في فصل الهجوم الماكر، وتلمسناها من خلال فصل المجابهة .

فالغزو الفكري والاعلامي والارهاب السياسي والحزبي والتنكيل المستمر بطلائع البعث الاسلامي أسباب أصيلة في تخلف الحركة عن غايتها الأساسية . لكن ليست هذه الأسباب الوحيدة في هذا الصدد . . فهناك أسباب أخرى قد تكون ناشئة عن الأسباب الأولى . . وقد تكون نتيجة طبيعية لنوع من التفكير ؟ !

اسباب عدم نجاح الحركة باقامة حكم الاسلام :

ان الحركة الإسلامية اليوم ، وبصورة خاصة في البلاد العربية ، تعاني حالة من الضياع والتردد أمام تبدل الزمن وتغير المواقف وتعدد محاور العدو . وهي بدل أن تعدل استراتيجيتها في العمل والمجابهة جمدت على مواقف قديمة لم تعد تتلاءم في الأيام الحاضرة ، إذ أن الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان وما يصلح للثلاثينات والأربعينات . زمن ابتداء الحركة في أكثر مناطق العالم الإسلامي، لا يصلح للستينات والسبعينات ؟ ! والواقع اليوم ، ان كثيراً من الإسلاميين . . يتخوفون من استخدام وسائل جديدة في العمل العام . . ويترددون في أخذ زمام المبادرة في القضايا العامة . . كما انهم لا يتخذون القرار المناسب في الوقت المناسب .

ان تعديل استراتيجية العمل لا يكون الا بعد إقامة تصور سليم عن المجتمع الذي نعيشه .

التصور السليم لمجتمع اليوم :

وعندي ، ان معطيات هذا التصور يجب أن تصدر عن مفهوم واضح يحدد العلاقة مع هذا المجتمع . فالمجتمع هو مجتمع مسلم في أصله . وفي غفلة من أصحاب الحق وعبر الزمن ، كما رأينا في الفصول السابقة ، أقدم سارقو السلطات على اغتصاب السلطة فيه وبفعل هذه السلطة تمكنوا من تحريفه وتمويه محاولة منهم لتغطية سرقتهم وطمساً لمعالم الجريمة النكراء .

بيد ان أصحاب الحق بعد أن أدركوا ان مجتمعهم قد سرق منهم يرفضون باصرار ويعملون بقوة لاسترجاع ما سلب منهم .

وهذا المفهوم يحدد ضربين من الناس في المجتمع : القمة والقاعدة . . . . فأصحاب القاعدة هم أبناء هذا المجتمع وهم بغالبيتهم طيبون ضلّهم الهجوم الماكر وهم بعد ذلك بيئة الحركة منها تستخلص عناصرها وفيها تنشط وتمارس وجودها . . فلا يجوز بحال معاملة هؤلاء بأسلوب الحقد والكراهية ولا يجوز اعتبارهم الا مرضى بحاجة الى عطف ومحبة والى صدق ومودة .

ان أبناء المجتمع هم ممن سرقوا منا بمعنى انهم هم المعنيون في الهجمة الماكرة . . فما يصيبهم يصيبنا وما يؤذيهم يؤذينا ولا بد لنا من الدفاع عنهم ونحن بينهم ، ثم لا بد من بناء ثقتهم بنا بكوننا دعاة انقاذ وخلص .

ان خلاف هذا الفهم يعطل كثيراً من أحكام الإسلام التي طوّل بها المؤمنون في كل زمان ومكان كالبر والصدقة والزكاة وفعل الخير والنجدة والمروءة والمودة والرحمة ؟ !

أما القمة - رأس الحربة - اللصوص الذين سلبوا حقنا وطمسوا وجودنا .

أما هؤلاء فلا بد من حربهم بلا هوادة ولا بد من فضحهم ولا يجوز التهاون معهم . .

أما رأيت رسول الله ﷺ كيف لم يستنكف عن الدعاء على الأسياد عتبه وربيعه وأمية ثم كيف لم يتوان عن استباحة دماء آخرين (١) .

### بين الانفتاح والانغلاق :

ان هذا المفهوم للمجتمع الذي نعيش فيه يحتم على الحركة الانفتاح وتركيز الخطوات ومن ثم الانقضاء على السلطة واستعادتها من مفترسيها .

ولا يتناقض هذا المفهوم مع ما ذهب اليه سيد قطب في العالم . فسيد يرى وجوب العزلة الشعورية لأعضاء التنظيم . . هذه العزلة التي لا غنى عنها لكل عضو من أعضاء الحركة وخاصة أولئك الذين يريدون الانقضاء على السارقين . . لكنها عزلة في المفاهيم والشعور لا في العمل والحركة .

ان العمل والحركة لا يعيشان ، الا في جو متفتح ولا يمكن تصورهما منعزلين . . ان العزلة تعدمها من الوجود وتقضي على كل نشاط فعال .

ومن الواجب هنا التأكيد على ان العزلة بمعنى البناء النفسي والتصوري ، يجب ان ترافق الداعية في شتى مجالات التفكير والتقويم . . ترافقة وهو طالب وترافقه وهو عامل وترافقه وهو خطيب وترافقه وهو في أعلى مناصب المجتمع الذي يعيش .

وسيد - رحمه الله - يرى كما رأينا في مستهل هذا الفصل الارتفاع الى مستوى وعي عميق بما حولنا ومعرفتنا لأساليب عصرنا . . ورحم الله رجلاً عرف زمانه واستقامت طريقته . ويرى الارتفاع ايضاً الى مستوى الاحاطة

---

(١) ابن هشام مجلد واحد - دار الريحاني ص ٥٠٦

بثقافة عصرنا و « حضارته » وممارسة هذه الثقافة وهذه « الحضارة » ممارسة اختبار واختيار . . فاننا لا نملك الحكم على ما ينبغي أن نأخذ منها وما ينبغي أن ندع الا اذا سيطرنا عليها بالمعرفة والخبرة .

وهذه الرؤيا الصادقة لسيد هي الحركة الفاعلة فلا يجوز الانعزال عن ممارسة الاختبار والاختيار ولا يجوز العمل دون معرفة عميقة بالواقع الذي نتعامل معه . . ولا يجوز أخيراً الجمود على طريقة واحدة وعدم التقويم فيها والتغيير اذ رحم الله رجلاً عرف زمانه واستقامت طريقته .

بيد ان التفتح هذا لا يعني حتماً الانغماس في كل شيء والتلهي بأمور جانبية عن جوهر العمل أو القيام بأمور حظرها الشرع أو لا تتلائم مع روح الإسلام . . إذ أن هذا يغدو انحرافاً والتواء كما ان العزلة في العمل وكراهية التحرك بجدية ومحبة انحراف والتواء .

ان كلنا السيئين التلهي بأمور جانبية وكراهية التحرك خطر على الحركة وعلى سيرها العام .

### الخطوة الاولى في طريق الحكم الاسلامي :

لذلك كان لا بد من محاكمة هادئة لأساليب العمل الاسلامي وطرقه .

ولا بد من مراجعة ناضجة لمناهج العمل الحركي في مختلف الحركات عالمية ومقارنتها بما عند الحركات الاسلامية بعد أخذ طبيعة هذه الحركات و البيئة التي تواجهها بعين الاعتبار .

ولا بد بالنتيجة من الاهتمام الى سياسة في العمل وطريقة في الحركة كثر دقة وأشد عمقاً وأقرب الى تفهم الواقع مما لدى الحركات اليوم .

ان المحاكمة هذه تؤدي بالحركة والدعاة الى العيش في قلب العمل

وتبصرهم بحقيقة الصراع الناشب في أعماق الحياة. . وبهذا « العيش » وبهذه « البصيرة » يبقى دعاة الحكم الاسلامي سائرين على خط مستقيم .

وهذه هي الخطوة الأولى في الطريق الطويل !

### الخطوة الثانية : وحدة الحركات الاسلامية

أما الخطوة الثانية فلا بد من إيجاد ترابط بين الحركات الاسلامية في العالم . . ترابط يشير الى وحدة في الأهداف ووحدة في السياسة الحركية ووحدة في التنظيم .

ان ترابط الحركات في حركة واحدة ضرورة اسلامية كبرى يفرضها الفهم الاسلامي ويوجبها العمل الحركي وتحتها فوق ذلك كله ظروف المجابهة في الشرق المسلم .

فاذا كانت غاية جميع الحركات الاسلامية في العالم تعبيد الناس لربهم !  
واذا كان العمل الاسلامي طريقاً لها لا مفر من سلكه للوصول الى الغاية المنشودة .

واذا كانت جميع الحركات تتمنى قيام مجتمع مسلم في أي مكان في العالم بل ترى ضرورة قيامه وانه خير - في دعوة سائر المجتمعات في العالم وجذبها اليه ، من مليون موعظة ومليون كتاب ومليون خطبة وكلام .

واذا كان ذلك كله فلم لا تتحد الحركات في عمل بناء مشترك تتبادل فيه التجارب وتحشد فيه الامكانيات والطاقات ؟ ولم لا يكون على رأس هذا العمل قيادة واحدة تخطط بعمق وتتحرك بسرعة وتوزع التبعات والمسؤوليات في مختلف الأقطار وتحدد المواقف وتجاوبه من يريد السوء بأي فرع من الفروع مجابهة واحدة ؟ !

الخطوة الثالثة : دراسة قدرات مجتمعات الشرق وتخير المجتمع الملائم :  
والخطوة الثالثة في الطريق الطويل أن تحزب الحركة الاسلامية أمرها  
وتدرس أفضل الأمكنة لإقامة مجتمع مسلم .

ولعل أول من دعا الى أخذ المبادرة في إقامة مجتمع إسلامي ولو كان  
صغيراً ، سيد قطب ، وظهر ذلك باجمال واختصار في كتابه مشكلات  
الحضارة الصادر سنة ١٩٦٢ .

وهذا التفكير جدير بالتأمل والتمحيص ويستدعى مزيداً من التجارب  
والتفاعل رغم الصعاب والمعوقات ، خاصة عندما تطرح أسئلة تتعلق بمكان  
هذا المجتمع وزمانه ؟

ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نقل في - اللحظة المناسبة - تجمعه  
في مكة الى تجمع يثرب وعندما التقى التجمعان وتلاحما تولد عنها مجتمع  
المدينة المسلم . بيد انه هنا لا بد من تقرير حقيقة وهي ان يثرب مستقلة عن  
مكة بمعنى انها غير خاضعة لسلطانها ولو انها كانت تابعة لها لتغير الوضع  
ولتبدلت الظروف وبالتالي الكيفية .

ولا ريب ان ظروف مجتمعاتنا الحالية والأوضاع الاقليمية والقانونية  
والدولية تزيد المشكلة تعقيداً وتعسر عملية المخاض . . بيد ان هذا لا يعدم  
الولادة فالولادة ستم لا محالة . . ولو تعاظمت آلام المخاض حتى تقطعت  
الأوصال .

ويعود السؤال يطرح نفسه من جديد : كيف ستم الولادة وأين ومتى ؟  
والحقيقة ان هذا التساؤل خطير للغاية وهو بداية جدية للخطوة الثالثة  
في طريق اقامة حكم الاسلام الطويل .

وطبيعي أن لا يكون الجواب عليه بالسهل اليسير فليس لدى أحد بعد ،



جواب . بيد ان هذا لا يمنعنا من تحديد بعض الخطوط ونحن نحاول رسم الطريق .

فأول الأمر لا بد من استطلاع أوضاع جميع مجتمعات الشرق المسلم والوقوف على أسسها ومتناقضاتها وعلى طاقاتها الاقتصادية ومراكزها الاستراتيجية ولا بد ايضاً من معرفة أصيلة لوعي جماهيرها واستعدادهم لأن يكونوا قاعدة أولى للطليعة الاسلامية .

وبعد ذلك لا بد من الاختيار . . فأي المجتمعات توافرت فيها المواصفات الاصلية تغدو قاعدة للانطلاق . . ويتعين حشد الطاقات والامكانيات فيها تمهيداً لعملية الانقضاض على السلطة . . سواء كان الانقضاض بطريقة ثورة اسلامية لاهبة أم بطريق انتخابات برلمانية .

وفي كلتا الحالتين لا بد من قوة عسكرية ذاتية للحركة الاسلامية تستعملها في ساعة الصفر وفي لحظة القدر الموعودة تحمي بها انطلاقها أو تختطف بها السلطة من أيدي أولئك الذين سرقوا من الاسلاميين حقهم في الحكم والسيادة .

ان امتلاك القوة الذاتية أمر محتوم في التحرك نحو حكم اسلامي . . اذ أن قيام مثل هذا الحكم ليس بالأمر الهين أو المقبول من سارقي السلطات في الشرق المسلم أو من اعيانهم وأشياعهم وأسيادهم في العالم .

وقد يُجَابَه هذا المجتمع الوليد بهجمة بربرية من قبل أعدائه . . فان لم يكن بإمكانه الذود عن نفسه طوته الأحداث وتجاوزه الزمن .

وقد لا يولد إلا في ظل ظروف دولية معقدة غاية التعقيد فقد لا يأتي المخاض إلا حين يكون العالم في غمرات أحداث ضارية . . وحينها قد يكون مدعواً لإثبات رجولته من أول يوم كما حدث للثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧ وكما حدث للمجتمع المسلم في المدينة فها هو يخوض حرباً خفيفة في بدر مع تجمع العدو ولقد كان وليداً لكن كان عليه أن يظهر بأسه وشدته منذ اللحظة الأولى وقد فعل . .

ان أحداث العالم اليوم أحداث ضخام وبإمكان الحركة الإسلامية في العالم أن تخطك للافادة منها في ولادة المجتمع المسلم المنشود .  
وفضلاً عن ذلك فان الانسانية التائهة - كما رأينا في فصل الحضارة والنظام - تستطلع منهج حياة جديد رشيد ينقذها من برائن الدمار والخراب والتيه والعذاب .

والمجتمع المسلم كفيل بإعطاء القدوة الصالحة لمنهج الاسلام الخالد .. فلا بد إذن من قيامه ..

وقد يقوم في باكستان والحركة الاسلامية هناك تخطط من زمن وبروية لهذا الأمر الخطير وتخوض اليوم انتخابات لوضع دستور اسلامي وقد يقوم هذا المجتمع في فلسطين فيما لو استخلصت الحركة الاسلامية الجهاد والفداء والتحرير لأن فلسطين لمن يحررها .. وقد يقوم في أقطار أخرى عربية أو آسيوية أو أفريقية ..

وقد يقوم هنا أو هناك .. فقيامه ضرورة إسلامية أو إنسانية - ودولية - لكن لن يقوم إلا اذا توافرت الشروط والمواصفات في جيل الدعوة الى الله .. فهل تحقق الحركات الاسلامية رجاء الاسلام فيها وهل يحقق الشرق المسلم رجاء العالم فيه ؟؟ ..

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين .

« حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً .

« قل ان أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً . . . »

صدق الله العظيم

## فهرست الطريق

الفصل الثالث	٥	بين يدي الطريق
٣ - مفهوم الدولة في الاسلام ٤٩ - ٦٥	١١	توطئة في فصلين
انبثاق الدولة وضبطها لتصرفات		الفصل الاول
٥١ الناس	١ - غاية الوجود الانساني ١٣ - ٣٠	
ليس بين الفرد والدولة عقد مباشر ٥٢	١٣ مشكلة الوجود	
٥٣ الدولة في أوروبا	١٤ تشويه التصور	
الدولة في الاسلام تخضع للشرع	١٨ أشكال التصور البشري	
٥٤ لا للشعب	٢٠ التصور الإيماني	
٥٧ اقليم وشعب الدولة	٢١ الروح أداة المعرفة	
٥٨ عقوبة الانحراف	٢٣ تسبيح الكون وتسخير	
الانحراف ليس جزءاً من حياة الدولة ٥٩	٢٥ صراع الافكار	
٦١ الدولة في الإسلام نمو وتصاعد	٢٦ الإنسان خليفة مستناب	
دعوة القرآن الى دراسة شأن	٢٨ غاية الخلافة تحقيق العبودية	
٦١ الأمم الغابرة	٢٩ العبودية دليل الوجود	
الفصل الرابع		الفصل الثاني
٤ - كيف اقام الاسلام دولته ٦٧ - ١٠٠	٢ - الحضارة والنظام : ٣١ - ٤٧	
٧١ أسلوب التجمع	حضارة العصر صدرت عن جهل	
وعمي الذات وبدء التحول والانقلاب ٧٣	٣٢ بطبيعة الإنسان	
٧٦ شروط ومواصفات التجمع	٣٣ فكرة أخرى للتقدم	
٧٨ العزلة الشمورية	٣٤ ربط العلم بنظام ضابط من الله	
٧٩ التجمع يكشف الهوية	٣٨ النظام وليد الفكرة	
المجاهمة بين التجمع والمجتمع الجاهلي ٨٠	٣٩ الانسان واحد لم يتغير	
القرآن يحابه الجاهلية ويقرر قواعد	٤٠ أنظمة الإسلام ثابتة متطورة	
٨٢ التصور الجديد	الحضارة وحي هابط والشرود	
٩٠ دراسة ظروف المكان والزمان	٤٣ عنه تخلف	
٩٣ التشريع ضبط الارتباط بالله		

[illegible]

حزب ماشومي في أندونيسيا ٢٤٢

### الفصل الثامن

٨ - كيف نقيم حكم الاسلام من

جديد : ٢٥١ - ٢٨٥

الارتفاع الى مستوى الدين والواقع ٢٥٤

٢٥٦ نظرية الحاكم المسلم

٢٥٨ وسيلتها

التجربة البرلمانية وجواز دخولها

٢٦٠ أو لا

نظرية التوعية والمشاريع

### الإسلامية

نظرية المجتمع الإسلامي والعمل

الحركي المنظم

هل القوة وسيلة للوصول الى الغاية

أسباب عدم نجاح الحركة بإبقاء

حكم الإسلام

بين الانفتاح والانغلاق

وحدة الحركات الإسلامية

دراسة قدرات مجتمعات الشريعة

وتخير المجتمع الملائم